

١٤٢٢ هـ
٢٠٠١ م
١٤٢٢ هـ
٢٠٠١ م
١٤٢٢ هـ
٢٠٠١ م
١٤٢٢ هـ
٢٠٠١ م
١٤٢٢ هـ
٢٠٠١ م

الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

التفسير وعلوم القرآن في مؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي (دراسة وتحليل)

إعداد الطالب
زكريا علي محمود الخضر

إشراف الدكتور
مصطفى إبراهيم المشني

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التفسير بكلية الدراسات العليا
في الجامعة الأردنية

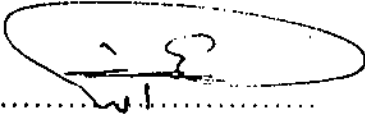
تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع: التاريخ: ١٤/١٩/٢٠٠١

العام الدراسي
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٥ / ٨ / ٢٠٠١م وأجيزت.

التوقيع



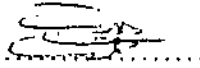
مشرفاً

١- الدكتور مصطفى إبراهيم المشني

د. فهد حسن عباس


عضواً

٢- الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس



عضواً

٣- الدكتور أحمد شكري



عضواً

٤- الدكتور شحادة العمري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

أهدي رسالتي هذه إلى والديَّ

العزيزين، وإلى كل من طلب العلم

بأمانة وإخلاص.

شكر وامتنان

أتوجه بالشكر وخالص الامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور "مصطفى إبراهيم المشني" - حفظه الله تعالى - على تفضله بالإشراف على هذه الرسالة، ولما قدمه لي من وقت ونصح وتوجيه كان له الأثر الكبير في هذا البحث، فجزاه الله خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناته.

وأقدم بجزيل الشكر للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول تقييم هذا البحث ومناقشته.

ولا يفوتني أن أقدم امتناني لأساتذة كلية الشريعة في الجامعة الأردنية الذين لم يبخلوا علي بالعون والنصح، ولجميع من أسهم في إنجاز هذا البحث ببارك الله فيهم وأجزل لهم العطاء.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء
ب	الشكر والتقدير
ج-و	المحتويات
ز-ح	ملخص الرسالة
ط-م	المقدمة
٢١-١	الفصل الأول: ترجمة حياة الغزالي ✓
٥-١	المبحث الأول: نسب الإمام الغزالي ولقبه ومولده ونشأته العلمية ←
١	المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه
٤-٢	المطلب الثاني: مولده ونشأته وعوامل نبوغه العلمي
٩-٥	المبحث الثاني: بيئته وعصره ←
٦-٥	المطلب الأول: البيئة السياسية في عصر الإمام الغزالي
٧-٦	المطلب الثاني: البيئة الدينية
٨-٧	المطلب الثالث: البيئة العلمية والثقافية
٩-٨	المطلب الرابع: البيئة الاجتماعية
-١٠	المبحث الثالث: آثاره ومكانته العلمية ←
١٨-١٠	المطلب الأول: مؤلفاته
٢٠-١٩	المطلب الثاني: تلاميذه
٢١-٢٠	المطلب الثالث: مكانته العلمية
٢١	المطلب الرابع: عقيدته وأخلاقه ووفاته

٢٢-	الفصل الثاني: التفسير وأنواعه في مؤلفات الإمام الغزالي
٢٥-٢٢	تمهيد
٥٧-٢٥	المبحث الأول: مصادر التفسير عند الغزالي
٣٤-٢٦	المطلب الأول: مصادره في التفسير وعلوم القرآن
٣٧-٣٤	المطلب الثاني: مصادره في الحديث الشريف
٤٥-٣٧	المطلب الثالث: مصادره في اللغة
٥٢-٤٦	المطلب الرابع: مصادره في العقيدة والتصوف
٥٧-٥٣	المطلب الخامس: مصادره في الفقه وأصوله
٧٨-٥٨	المبحث الثاني: التفسير بالمأثور عند الإمام الغزالي
٦١-٥٩	المطلب الأول: حديثه حول التفسير بالمأثور نظرياً
٧٨-٦٢	المطلب الثاني: بيان بعض الأمثلة التطبيقية للتفسير بالمأثور عند الإمام الغزالي
١٠٦-٧٩	المبحث الثالث: التفسير بالرأي عند الإمام الغزالي
٨٧-٨٠	المطلب الأول: التفسير بالرأي عند الإمام الغزالي من الناحية النظرية
١٠٦-٨٧	المطلب الثاني: مسلك الإمام الغزالي في التفسير بالرأي الجائز
١٣٧-١٠٧	المبحث الثالث: التفسير اللغوي عند الإمام الغزالي
١١٦-١٠٨	المطلب الأول: بيان معاني الالفاظ القرآنية
١٢٠-١١٦	المطلب الثاني: الاشتقاق والصرف
١٢٧-١٢٠	المطلب الثالث: الاستشهاد بالشعر
١٣٧-١٢٧	المطلب الرابع: البلاغة العربية
١٥٤-١٣٨	المبحث الرابع: التفسير العلمي عند الغزالي
١٤٤-١٤٠	المطلب الأول: الناحية النظرية

١٥٤-١٤٥	المطلب الثاني: الجانب العملي في التفسير العلمي عند الإمام الغزالي.
١٧١-١٥٥	المبحث الخامس: التفسير الصوفي عند الإمام الغزالي
٢١٩-١٧٢	الفصل الثالث: موضوعات تفسيرية عند الإمام الغزالي.
١٩٣-١٧٢	المبحث الأول: تفسير آيات العقيدة عند الإمام الغزالي
٢١٩-١٩٤	المبحث الثاني: تفسير آيات الأحكام عند الإمام الغزالي
٢٠٢-١٩٤	المطلب الأول: أصول الأحكام عند الإمام الغزالي
٢٠٨-٢٠٢	المطلب الثاني: الموضوعات الأصولية التي عرض لها الإمام الغزالي
٢١٩-٢٠٨	المطلب الثالث: منهج الإمام الغزالي في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات.
٢٧٠-٢٢٠	الفصل الرابع: علوم القرآن في مؤلفات الغزالي.
٢٢٢-٢٢٠	تمهيد: نشأة علوم القرآن حتى القرن السادس الهجري.
٢٢٥-٢٢٣	المبحث الأول: القرآن: تعريفه، كتابته، آداب تلاوته.
٢٢٤-٢٢٣	المطلب الأول تعريف القرآن
٢٢٥-٢٢٤	المطلب الثاني: كتابة القرآن ونقطه
٢٣٧-٢٢٥	المطلب الثالث: آداب تلاوة القرآن الكريم
٢٤٣-٢٣٨	المبحث الثاني: فضائل القرآن.
٢٤٩-٢٤٤ ٢٤٤	المبحث الثالث: إعجاز القرآن.
٢٥٥-٢٥٠	المبحث الرابع: موهم التعارض والاختلاف.
٢٦٠-٢٥٦	المبحث الخامس: النسخ.
٢٧٠-٢٦١	المبحث السادس: المحكم والمتشابه.
٣٠١-٢٧٠	الفصل الخامس: القيمة العلمية لأراء الغزالي في التفسير وعلوم القرآن.
٢٨٤-٢٧١	المبحث الأول: أثر الإمام الغزالي في من جاء بعده من المفسرين.
٢٨٧-٢٨٥	المبحث الثاني: أهمية آراء الإمام الغزالي في التفسير وعلوم القرآن

٢٠١-٢٨٨	المبحث الثالث: الاستدراكات على الإمام الغزالي في التفسير وعلوم القرآن.
٢٠٦-٢٠٢	الخاتمة
٢٢٠-٢٠٧	فهرس الآيات الكريمة
٢٢٣-٢٢١	فهرس الأحاديث الشريفة
٢٥٤-٢٢٤	فهرس المصادر والمراجع
	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.

ملخص

التفسير وعلوم القرآن في مؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي

(دراسة وتحليل)

إعداد الطالب: زكريا علي محمود الخضر

إشراف الدكتور: مصطفى إبراهيم المثني

قدمت هذه الدراسة أحد أعلام التراث الإسلامي الزاهر، الذين كان لهم دور بارز في

خدمة القرآن وعلومه؛ ألا وهو حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله تعالى -.

وقد عالجت جهود الإمام الغزالي في التفسير وعلوم القرآن في مختلف كتبه المطبوعة

والمنداوله، وفق أصول بحثية ومنهجية مُعتمَدة في مجال البحث العلمي.

وتناولت مفردات عديدة، فجاءت في خمسة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: خُصِّصَ لدراسة وتحليل سيرة الإمام الغزالي في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياة الإمام الغزالي الشخصية.

المبحث الثاني عصره وبيئته وأثرها فيه.

المبحث الثالث: درس ثقافة الإمام الغزالي العلمية.

الفصل الثاني: تناول التفسير وأنواعه في مؤلفات الإمام الغزالي، وجاء مقسماً إلى ستة مباحث:

المبحث الأول: تناول مصادره في التفسير.

المبحث الثاني: عرض منهجه في التفسير بالمأثور.

المبحث الثالث: بيّن منهجه في التفسير بالرأي.

المبحث الرابع: بيّن منهجه في التفسير اللغوي.

المبحث الخامس: بين منهجه في التفسير العلمي.

المبحث السادس: بين منهجه في التفسير الصوفي.

الفصل الثالث: عرض لموضوعات التفسير عند الإمام الغزالي: وجاء في مبحثين:

المبحث الأول: بين أثره في تفسير آيات العقيدة.

المبحث الثاني: تناول أثره في تفسير آيات الأحكام (الفقه وأصوله).

الفصل الرابع: خصص لدراسة علوم القرآن عند الإمام الغزالي.

وجاء في تمهيد وستة مباحث، تحدث التمهيد عن نشأة علوم القرآن حتى القرن السادس الهجري.

أما المبحث الأول: فقد تناول الحديث عن القرآن وآداب تلاوته.

المبحث الثاني: بين فضائل القرآن عند الغزالي.

المبحث الثالث: بين أثره في إعجاز القرآن.

المبحث الرابع: بين موهم التعارض والاختلاف عند الغزالي.

المبحث الخامس: كان حول النسخ عند الغزالي.

المبحث السادس: تناول المحكم والمتشابه.

وأما الفصل الخامس: فقد كان حول القيمة العلمية لأراء الغزالي في تفسير وعلوم القرآن، إذ جاء في ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: أثر الغزالي في المفسرين والعلماء.

المبحث الثاني: فقد تناول أهمية آراء الإمام الغزالي في التفسير وعلوم القرآن.

وأما المبحث الثالث: فقد تناول الاستدراكات على الإمام الغزالي في التفسير وعلوم القرآن، وقد تضمنت الدراسة خاتمة فيها أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

بعد حجة الإسلام- الغزالي - رحمه الله تعالى - واحداً من علماء الإسلام الأفاضل، ومن أهم ما قدم التاريخ الإسلامي للأجيال، وموسوعة علمية وفكرية، ومحطة من المحطات العلمية في المجالات العلمية كافة، وقد نقل إلينا عنه تراث ضخم، وإرث لا يمكن تجاهله أو الاستغناء عنه، وإن المكتبة الإسلامية اليوم لتزهو وتفخر باحتضانها هذه المؤلفات الرائعة والأسفار الثمينة، بما تحمله من علم نافع وآراء نيرة، ينهل منها القاصي والداني، وحسبك أن علماء الغرب جعلوا كتبه ومؤلفاته من مصادر المعرفة المهمة، لما حازت عليه هذه المؤلفات من شهرة ولما انطوت عليه من أهمية.

والحق أن دراسة آراء الغزالي ليست دراسة سهلة ميسرة، ذلك لأن كل مؤلف من مؤلفاته له ترتيبه الخاص وهدفه الذي رمى إليه واضعه، وإن الباحث ليجتاج إلى معايشة هذه المؤلفات ودراستها كتاباً كتاباً دراسة متأنية؛ لينتصر الأفكار التي أراد طرحها وإيصالها إلى القارئ، هذا فضلاً على ما يتسم به من عمق ودقة لا سيما وأنها جاءت حصيلة تجارب ومناظرات علمية وجدل فلسفي وبعد نفسي، قائم على قاعدة واسعة من العلوم والمعارف المختلفة.

وإذا عرف الغزالي من خلال الرسائل والأبحاث الجامعية والكتب التي قام بتأليفها المفكرون والباحثون حوله، أقول إذا عرف من خلال ذلك عالماً فيلسوفاً، وأصولياً فقهياً متكلماً ومتصوفاً فهل عرف الإمام مفسراً، عالماً بالقرآن؟ هل بحثت آراؤه في فهم الآيات القرآنية؟ أتم الكشف عن عنانيته بالدراسات القرآنية بجوانبها المتعددة؟ هل له جهود في التفسير تذكر؟ ثم ما حجم هذه الجهود وما هو الجديد الذي جاء به وقدمه في هذا المجال؟ ثم ما هي ألوان التفسير التي عرض لها؟ وهل تستحق هذه الجهود الدراسة والبحث والكشف والتقيب ثم التحليل والمناقشة؟ وهل ترك مؤلفات في هذا الصدد وأثر في غيره من العلماء تأثيراً بالغاً؟ هذه التساؤلات وغيرها من الأفكار دفعتني للعناية بمؤلفات الإمام الغزالي والبحث فيها، وترتيب منهج خاص لدراسة آراء الغزالي والأقوال التي جاء بها في تفسير النصوص القرآنية في ثنايا عرضه للموضوعات التي احتوتها مؤلفاته، محاولاً إبراز الشخصية العلمية المفسرة، التي اتخذت النص القرآني أساساً ومنبعاً للعلوم.

الدراسات السابقة

لم يكن إلى عهد قريب - على حد اطلاعي - وتتبعي لفهارس الرسائل الجامعية في جامعات الدول العربية والأردنية، التي عنيت بالدراسات القرآنية ما يخدم هذا الموضوع، إلى أن ظهرت رسالة في جامعة ال البيت تحمل عنوان "منهج الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين" الباحث : "عدنان محمد يوسف يعقوب"، وقد اطلعت على هذه الرسالة ، وهي من عنوانها حصرت موضوع الدراسة في كتاب الإحياء فقط، وجعلت منه مجال الدراسة والبحث، و حاول الطالب أن يضع منهجاً عاماً للتفسير عند الإمام الغزالي من خلال كتاب الإحياء، وإن تعرض في بعض الأحيان إلى الإشارة إلى بعض كتب الغزالي الأخرى.

وهناك موضوعات في التفسير أغفلها الباحث، كالتفسير العلمي، وموضوعات التفسير عند الإمام الغزالي كتفسير آيات العقيدة، و تفسير آيات الأحكام، يضاف إلى هذا أنه لم يتطرق للحديث عند علوم القرآن عند الغزالي، وفي بيان أثر الغزالي في المفسرين اقتصر الباحث على أربعة من مشاهير المفسرين الذين نقلوا عن الغزالي دون بيان لطريقة النقل، والموضوعات التي تم نقلها على وجه التفصيل والتحديد، وإن كان -- مشكوراً - أشار إلى تأثير بعض المفسرين بالإمام إشارة سريعة.

وهي رسالة مفيدة ظهر فيها جهد الباحث وجده، وقد أدت بالغرض السذي هدف إليه الباحث، أرجو أن يبارك الله له فيها ويجعلها في ميزان أعماله. وقد أفدت منها في بعض المباحث في رسالتي.

هذا وقد ظفرت -- لدى البحث والمتابعة - ببحثين جميلين في التفسير عند الإمام الغزالي: أحدهما للدكتور زياد الدغامين بعنوان: "نظرية الغزالي في التعامل مع النص القرآني"، نشرته مجلة المسلم المعاصر، وهو بحث مختصر كانت من خلاله نظرات عامة وإلماحات سريعة إلى طريقة حجة الإسلام الغزالي في التفسير، وهو بحث غلب عليه طابع العموم، بيد أنه فتح لي بعض الآفاق في دراسة الموضوع.

ثانيهما: بحث للدكتور محمد بن تاويط طنجي، بعنوان "قواعد التفسير للقرآن مقتبساً من كلام الغزالي"، نشرته مجلة وعد الحق المغربية، وهو بحث مختصر فيه إضاءات طيبة حول قواعد التفسير عند الغزالي.

هذا ولم أعتز على رسالة حملت هذا العنوان "التفسير وعلوم القرآن في مؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي (دراسة وتحليل)"، ولعل أحداً لم يسبقني إلى الكتابة في هذا الجانب العام والشمولي، ولعلي أكون بذلك حققت شيئاً يستحق الذكر في الدراسات القرآنية المتخصصة.

منهج البحث:

وقد اتبعت في سير هذا البحث منهجاً يقوم على ما يلي:

أولاً: جمع المادة العلمية المطلوبة من كتب الغزالي المطبوعة والتي صحت نسبتها إليه.

ثانياً: تيوب هذه المعلومات تحت عنوانات التفسير وعلوم القرآن المختلفة.

ثالثاً: تحليل آراء الغزالي واستخلاص مقاصده من كلامه.

رابعاً: دراسة الموضوعات بعمق وتخصص، للاطلاع بدقة على مدى فهم الغزالي لأصول

التفسير وقضاياها ومسائل علوم القرآن وفروعه.

خامساً: وضع خلاصة لكل موضوع عرضت له لدى الدراسة والبحث.

سادساً: الالتزام بمقتضيات البحث العلمي ومنهجيته، وقد اقتضت طبيعة البحث العلمي

تقسيم هذه الرسالة إلى ما يأتي: (خط الرسالة لم يورد في فهرسها)

المقدمة

الفصل الأول: ترجمة حياة الإمام الغزالي.

المبحث الأول: أسمه ونسبه ولقبه ومولده ونشأته العلمية.

المبحث الثاني: البيئة السياسية والدينية والعلمية والاجتماعية في عصره

المبحث الثالث: مكانته العلمية وأثاره.

الفصل الثاني: التفسير وأنواعه في مؤلفات الإمام الغزالي وألوانه:

المبحث الأول: مصادر التفسير عند الإمام الغزالي.

المبحث الثاني: التفسير بالمأثور عند الإمام الغزالي.

المبحث الثالث: التفسير بالرأي عند الإمام الغزالي.

المبحث الرابع: التفسير اللغوي عند الإمام الغزالي.

المبحث الخامس: التفسير العلمي عند الإمام الغزالي.

المبحث السادس: التفسير الصوفي عند الإمام الغزالي.

الفصل الثالث: موضوعات التفسير عند الإمام الغزالي.

المبحث الأول: تفسير آيات العقيدة عند الإمام الغزالي.

المبحث الثاني: تفسير آيات الأحكام عند الإمام الغزالي.

الفصل الرابع: علوم القرآن في مؤلفات الإمام الغزالي.

المبحث الأول: القرآن: تعريفه، كتابته، آداب تلاوته.

المبحث الثاني: فضائل القرآن.

المبحث الثالث: إعجاز القرآن.

المبحث الرابع: موهم الاختلاف والتعارض.

المبحث الخامس: النسخ

المبحث السادس: المحكم والمتشابه.

الفصل الخامس: القيمة العلمية لأراء الإمام الغزالي في التفسير وعلوم القرآن:

المبحث الأول: أثره فيمن جاء بعده من المفسرين والعلماء.

المبحث الثاني: أهمية آراء الإمام الغزالي في التفسير وعلوم القرآن.

المبحث الثالث: الاستدراكات على الإمام الغزالي في التفسير وعلوم القرآن.

الخاتمة

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث.

فهرس المصادر والمراجع.

الملخص بالإنجليزية.

أمل أن يكون هذا الجهد خالصاً لوجه الله تعالى، فإن وفقت في ما قدمت من عمل فذلك
الفضل من الله جل و علا - ، وإن كنت قد جانبت الصواب و انتابني الخلل و الزلل فأسأل الله
العفو و المغفرة و الله موفق و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

الطالب: زكريا علي محمود النضر.

الفصل الأول: ترجمة حياة حجة الإسلام

الإمام الغزالي

المبحث الأول: نسبه ومولده ونشأته العلمية

المبحث الثاني: بيئته وعصره

المبحث الثالث: آثاره ومكانته العلمية

المبحث الأول: نسبه ومولده ونشأته العلمية

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته

المطلب الثاني: مولده ونشأته وعوامل نبوغه العلمي

المبحث الأول: نسب الغزالي ولقبه ومولده ونشأته العلمية

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه^(*)

هو محمد بن محمد بن محمد الطوسي^(١) الغزالي^(٢) أبو حامد حجة الإسلام ومحجة الدين جامع أشتات العلوم والميرز في كل العلوم.

يكنى بـ (أبي حامد) مع انه لم يعقب إلا البنات كما تشير كتب التراجم^(٣)، ولعل السبب في تكتيته بهذه الكنية راجع لكثرة عبادته وحمده، أو أنه كان له ابن يسمى بهذا الإسم ثم توفي قبل وفاته، أو كني بذلك تفاؤلاً بأن يولد له حامد، على انه ليس عندنا دليل على هذا الرأي.

(*) تنظر ترجمة حياة الغزالي بتوسع في تبين كذب المفتري لابن عساكر، ص ٢٨٤، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢١١/٦)، وفيات الأعيان لابن خلكان، (٢١٦/٣)، الوافي بالوفيات/ للصفدي، (٢٧٤/١)، البداية والنهاية/ لابن كثير، (١٧٢/١٢)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ لابن تغري بردي، (٢٠٣/٥)، مفتاح السعادة/ لطاش كبرى زاده، (١٩٦/٢)، إتحاف السادة المتقين/ للزبيدي، (٦/١)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ لابن الجوزي، (١٦٨/٩)، الكامل في التاريخ/ لابن الأثير (١٧٣/١٠)، شذرات الذهب/ لابن العماد الحنبلي، (١٠/٤)، معجم البلدان/ للحموي، (٤٩/٤)، الكواكب الدرية/ للمناوي، (٧٠٣/١)، الأخلاق عند الغزالي/ لركي مبارك، كتاب (أبو حامد الغزالي - حياته ومصنفاته)/ لمحمد رضا، مؤلفات الغزالي/ لعبد الرحمن بدوي، الغزالي/ للشرباصي، الغزالي/ لأحمد الرفاعي، الغزالي/ لطفه عبد الباقي سرور، في صحبة الغزالي/ لأبي بكر عبد الرزاق، الذكرى المئوية التاسعة لوفاة الغزالي بأقلام نخبة من العلماء والأساتذة في جامعة قطر، وغيرها.

(١) نسبة إلى طوس وهي مدينة بخراسان، تشتمل على بلدتين: الطابران و نوقان، ولهما أكثر من ألف قرية، ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، (٤٩/٣)، وتعرف اليوم بمشهد وهي في الجهة الشمالية الشرقية من إيران، د. يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٢٨٣.

(٢) نسبة إلى حرفة والده، إذ كان يغزل الصوف ويبيعه في دكان بطوس، والمعتمد عند المتأخرين من أئمة الأنساب أن اسم الغزالي بالتشديد (الغزالي)، ينظر الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، (١٨/١).

(٣) ينظر السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (٢١١/٦).

المطلب الثاني: مولده ونشأته وعوامل نبوغه العلمي.

ولد الغزالي بطوس سنة (٤٠٥هـ)، ونشأ في أسرة ذات علم ودين، فكان والده رجلاً صالحاً محباً للعلم والعلماء، كما أن أخاه أبا الفتح أحمد كان عالماً كبيراً وواعظاً مثيراً، وعم أبيه أحمد بن محمد على درجة من العلم والورع، وقد دعا والد الغزالي الله تعالى أن يرزقه ولداً يكون فقيهاً لشدة حبه للعلم، وقبل وفاته أوصى بولديه أحمد ومحمد إلى صديق له متصوف ليتعهدهما بالعلم والنشأة الصالحة، وأودع معه بعض المال ليعينه على ذلك، ونشأ الغزالي يتيماً محباً للعلم ومجالسة العلماء، إذ صرف همهته إلى ذلك منذ نعومة أظفاره^(١).

وقد تضافرت عدة عوامل في تكوين شخصيته العلمية والثقافية يمكن حصرها في قسمين:

أ. البيئة الخاصة، ب. البيئة العامة وسيأتي الحديث عنها فيما بعد.

أ. البيئة الخاصة: وقد تمثلت هذه فيما يلي:

أولاً: طلبه للعلم وتلقيه على شيوخه:

عهد والد الغزالي إلى صاحب له بابنه محمد لتحصيل العلم منذ نعومة أظفاره وليسلك هذا السبيل منذ البداية، فكان أن تعلم الغزالي فترة زمنية عند ذلك العالم، ثم انتقل إلى مدرسة^(*) بطوس^(٢) وقرأ في صباح طرفاً من الفقه على شيخه أحمد الراذكاني^(٣)، وكانت هذه بداية طيبة للإمام حيث دفعه والده وصديقه العالم للمضي قدماً في طريق العلم.

بعد ذلك تلقى العلم على أيدي كوكبة من العلماء الأجلاء الذين كان لهم الأثر الكبير في

تكوين شخصيته العلمية والثقافية، ومن أشهر هؤلاء:

-
- (١) ينظر السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (١٩٣/٦)، الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، (١٨/١).
 (*) كان نظام المدارس آنذاك يقضي بأن يكفل للطالب حاجته من المأكل والملبس والمبيت، ينظر د. أحمد الرفاعي، الغزالي، (٨٧/١).
 (٢) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، (١٩٧/٢).
 (٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٣٥ / ١٩).

- أبو القاسم إسماعيل بن مسعدة بن إسماعيل، أخذ عنه الغزالي علوماً كثيرة وأخذ عنه بعض التعليقات^(١).
- إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوية الجويني النيسابوري، أخذ عنه الأصول والفقه، وأثر كثيراً في شخصية الغزالي حيث لازمته حتى وفاته^(٢).
- أبو علي الفضل بن محمد الفارمذي، أخذ عنه كثيراً من التعاليم الصوفية^(٣).
- أبو الفتيان عمر بن سعدويه الدهستاني الرواسي، وكان من أهل الحديث، روى عنه الغزالي وصحح عليه الصحيحين^(٤).
- أبو سهل محمد بن أحمد بن عبيد الله بن عمر بن سعيد بن حفص المروزي الحفصي، وأخذ الحديث أيضاً عن أبي الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي، وأبي محمد عبد الله بن محمد الخوارزمي، ومحمد بن يحيى بن محمد السجاعي الزوزني، ونصر بن إبراهيم المقدسي، وأما علوم الفلسفة فلا شيخ له فيها، إذ درسها بنفسه^(٥).

ثانياً: الرحلة في طلب العلم

تذكر كتب التراجم أنه كان للغزالي رحلات خارج طوس قصد من خلالها البحث عن العلم والمعرفة والتلقي عن الشيوخ، فسافر إلى جرجان حيث لقي فيها الإمام أبا نصر الإسماعيلي فأخذ عن علمه ودون عنه، ثم قصد نيسابور فلزم إمام الحرمين الجويني وجد واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصليين - أصول الدين وأصول الفقه - والمنطق وأحكم كل ذلك، وقد بلغ عمره آنذاك الثامنة والعشرين، وقد فهم كلام أرباب هذه

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٣٥/١٩).

(٢) المصدر نفسه، (٣٢٣/١٩).

(٣) المصدر نفسه، (٣٢٣/١٩).

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، (٩١٩/١٥).

(٥) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، (١٩/١).

العلوم، وتصدى للرد على مبطلهم وإبطال دعاويهم، وصنف في كل فن من هذه الفنون كتباً أحسن التأليف فيها، وأجاد وضعها وترصيفها^(١).

وقد ظهرت علامات نبوغ الإمام الغزالي وذكائه بخاصة أثناء تلقيه على الجويني، فبان تفوقه على أقرانه، فاختاره على زملائه مدرساً في غيبته عن المجلس^(٢)، ولما توفي الجويني ناظر الغزالي الأئمة الكبار في مجلس نظام الملوك فاعترفوا بفضله، ودرس بالمدرسة النظامية^(٣) في بغداد، واستقر فيها -بغداد-، ودرس العلوم وتصدر إمامة العراق ثم بعد ذلك إمامة خراسان، فكان عالي الرتبة مسموع الكلمة تضرب به الأمثال^(٤)، وفي سنة (٤٨٨) هـ، ترك التدريس في المدرسة النظامية وسلك طريق الزهد، وخرج من بغداد عازماً على الحج إلى بيت الله الحرام، ثم ذهب إلى دمشق بعد عودته من الحج واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع الأموي، واتخذها محلاً للعبادة والتأليف، فألف فيها الإحياء وغيره من المؤلفات والرسائل^(٥).

وبعد ذلك قفل راجعاً إلى بغداد فعقد فيها مجلساً للوعظ وغادرها إلى خراسان عائداً إلى وطنه طوس فلزم بيته إلى أن توفي رحمه الله سنة (٥٠٥) هـ^(٥).

ومما تقدم يلاحظ أن الغزالي درس فنوناً متنوعة، ونهل من شيوخه علوماً مختلفة ومعارف متعددة، وقد أسهم ذلك كله في بناء شخصيته العلمية، الأمر الذي جعله حجة في مختلف فروع الثقافة الإسلامية ومعارفها.

(١) ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٢٣/١٩).

(٢) ينظر د. أحمد الرفاعي، الغزالي، (٩٩/١).

(٣) مدرسة عريقة لم يكن يحاضر بها إلا من علت رتبته في العلم، ينظر محمد الخضري، الغزالي - ترجمته وتعاليمه -، ص ٤٧٩.

(٤) ينظر ابن السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (٢٠٥/٦).

(٥) ينظر المصدر نفسه، (٢٠٦/٦).

(٥) ينظر المصدر نفسه، (١٠٥/٤) طبعة دار المعرفة.

المبحث الثاني: بيئته وعصره

المطلب الأول: البيئة السياسية في عصر الغزالي.

عاش الغزالي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري أي في العصر العباسي الثالث الممتد من سنة (٣٣٤هـ) إلى سنة (٤٧٤هـ)، ابتداءً من الحكم البويهى الفارسي ونهايتهم على يد السلاجقة الأتراك سنة (٤٧٤هـ)، وكانت هذه الفترة من التاريخ الإسلامي مسرحاً للأجواء السياسية المضطربة، والخلافة العباسية في أوضاع متردية نظراً للخلافات في شؤون الحكم داخلياً وللهجمات الصليبية خارجياً، هذه هي حال المشرق الإسلامي^(١).

أما المغرب فكانت تحت ولاية يوسف بن تاشفين قائد الملمثين التابعين لدولة المرابطين الذين بسطوا سيطرتهم على المغرب والأندلس، وتميز عهدهم بالأمن والاستقرار السياسي الذي أظهر عزة الدولة وقوتها^(٢). وفي هذه الأوساط المضطربة في المشرق العربي، سجل التاريخ للغزالي مواقف سياسية صارمة يمكن أن تعد بصمة واضحة الأثر في الصراع السياسي، حيث عمل مستشاراً عند الملوك والوزراء، وكان راية عندهم مسموعاً، فقدم النصيح للخلفاء، وشدد النكير عليهم في محاربة الظلم والفساد، والحث على العدل بين الرعية، وسعى أيضاً لدى الخليفة حتى يمنح يوسف بن تاشفين لقب أمير المسلمين فاستجاب له^(٣).

ثم أصدر فتوى للخليفة المقتدي بأمر الله بعدم جواز تولية ابن السلطان ملكشاه الذي لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره ملكاً بعد أبيه، في حين أفتى غيره من العلماء بجواز ذلك، ولم يعمل الخليفة إلا بقول الغزالي^(٤).

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، (١٧/٤)، أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، (٣٠٨/٣).

(٢) ينظر المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٢٢٧.

(٣) ينظر ابن كثير، البداية والنهاية، (١٣٩/١٢).

(٤) ينظر المصدر نفسه، (١٣٩/١٢).

وهكذا نرى الغزالي لم يكن في معزل عن الأوضاع السياسية في عصره التي كان لها أثر في شخصيته وثقافته، وقد تمثل هذا بالكلمة والدعوة إلى العدل ومحاربة الفساد والظلم وبالنصح والإرشاد، وبالتصنيف والتأليف في ذلك ومنها، كتابة إحياء علوم الدين الذي جاء رداً على تلك الأوضاع المتردية في زمنه، ثم كتابه أنبر المسبوك في نصائح الملوك، وكتائب مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء.

وقد هاجم زكي مبارك حجة الإسلام في كتابه "الأخلاق عند الغزالي" لأنه لم يظهر منه موقف إزاء الحملات الصليبية، وبين أنه كان غارقاً في خلوته منكباً على أوراقه لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة والجهاد^(١).

وقد أجاد الدكتور سميح دغيم محقق "إلجام العوام عن علم الكلام" بقوله: (إن الغزالي كان في خراسان بعيداً عن ضوضاء المعركة وجلبتها وهو كان في عزلة وخلوة يصنف الكتب في الدفاع عن عقيدة أهل السلف، ولو كان في الشام لاتخذ موقفاً آخر، أضف إلى ذلك أن البلاد الإسلامية جميعها كانت غارقة في الفتن والمؤامرات والمعارك على السلطة بين الأمراء بحيث انشغل المسلمون في كل قطر عن أحوال المسلمين في الأقطار الأخرى مع ما كان بينهم من عداوات)^(٢).

المطلب الثاني: البيئة الدينية.

كان هناك مذهبان سائدان في عصر الغزالي: مذهب أهل السنة والجماعة، وهو مذهب الدولة العباسية، ومذهب الشيعة في مصر التي تحتلها الدولة الفاطمية، وكان بين أتباع هذين المذهبين من التنازع والتناحر ما سجله التاريخ وسطرته أقلام المؤرخين من أحداث دامية وظروف عصيبة كانت تحف بالمجتمع بكل فئاته، ولعل هذا أبرز ما يميز الناحية الدينية في

(١) زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص ٢٨.

(٢) الدكتور سميح دغيم، تحقيق إلجام العوام عن علم الكلام لحجة الإسلام الغزالي، ص ٩، نقلاً عن الكاتب فريد جبر في مقالة له في M. I-DEO عن حياة الغزالي.

المبحث الثاني: بيئته وعصره

المطلب الأول: البيئة السياسية في عصر الغزالي.

عاش الغزالي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري أي في العصر العباسي الثالث الممتد من سنة (٣٣٤هـ) إلى سنة (٤٧٤هـ)، ابتداءً من الحكم البويهى الفارسي ونهايتهم على يد السلاجقة الأتراك سنة (٤٧٤هـ)، وكانت هذه الفترة من التاريخ الإسلامي مسرحاً للأجواء السياسية المضطربة، والخلافة العباسية في أوضاع متردية نظراً للخلافات في شؤون الحكم داخلياً وللهجمات الصليبية خارجياً، هذه هي حال المشرق الإسلامي^(١).

أما المغرب فكانت تحت ولاية يوسف بن تاشفين قائد الملتهمين التابعين لدولة المرابطين الذين بسطوا سيطرتهم على المغرب والأندلس، وتميز عهدهم بالأمن والاستقرار السياسي الذي أظهر عزة الدولة وقوتها^(٢). وفي هذه الأوساط المضطربة في المشرق العربي، سجل التاريخ للغزالي مواقف سياسية صارمة يمكن أن تعد بصمة واضحة الأثر في الصراع السياسي، حيث عمل مستشاراً عند الملوك والوزراء، وكان راية عندهم مسموعاً، فقدم النصح للخلفاء، وشدد النكير عليهم في محاربة الظلم والفساد، والحث على العدل بين الرعية، وسعى أيضاً لدى الخليفة حتى يمنح يوسف بن تاشفين لقب أمير المسلمين فاستجاب له^(٣).

ثم أصدر فتوى للخليفة المقتدي بأمر الله بعدم جواز تولية ابن السلطان ملكشاه الذي لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره ملكاً بعد أبيه، في حين أفتى غيره من العلماء بجواز ذلك، ولم يعمل الخليفة إلا بقول الغزالي^(٤).

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، (١٧/٤)، أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، (٣/٣٠٨).

(٢) ينظر المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٢٢٧.

(٣) ينظر ابن كثير، البداية والنهاية، (١٣٩/١٢).

(٤) ينظر المصدر نفسه، (١٣٩/١٢).

وهكذا نرى الغزالي لم يكن في معزل عن الأوضاع السياسية في عصره التي كان لها أثر في شخصيته وثقافته، وقد تمثل هذا بالكلمة والدعوة إلى العدل ومحاربة الفساد والظلم وبالنصح والإرشاد، وبالتصنيف والتأليف في ذلك ومنها، كتابة إحياء علوم الدين الذي جاء رداً على تلك الأوضاع المتردية في زمنه، ثم كتابه أئبر المسبوك في نصائح الملوك، وكتيب مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمرأ.

وقد هاجم زكي مبارك حجة الإسلام في كتابه "الأخلاق عند الغزالي" لأنه لم يظهر منه موقف إزاء الحملات الصليبية، وبين أنه كان غارقاً في خلوته منكباً على أوراقه لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة والجهاد^(١).

وقد أجاد الدكتور سميح دغيم محقق "إلجام العوام عن علم الكلام" بقوله: (إن الغزالي كان في خراسان بعيداً عن ضوضاء المعركة وجلبتها وهو كان في عزلة وخلوة يصنف الكتب في الدفاع عن عقيدة أهل السلف، ولو كان في الشام لاتخذ موقفاً آخر، أضف إلى ذلك أن البلاد الإسلامية جميعها كانت غارقة في الفتن والمؤامرات والمعارك على السلطة بين الأمرأ بحيث انشغل المسلمون في كل قطر عن أحوال المسلمين في الأقطار الأخرى مع ما كان بينهم من عداوات)^(٢).

المطلب الثاني: البيئة الدينية.

كان هناك مذهبان سائدان في عصر الغزالي: مذهب أهل السنة والجماعة، وهو مذهب الدولة العباسية، ومذهب الشيعة في مصر التي تحتلها الدولة الفاطمية، وكان بين أتباع هذين المذهبين من التنازع والتناحر ما سجله التاريخ وسطرته أقلام المؤرخين من أحداث دامية وظروف عصيبة كانت تحف بالمجتمع بكل فئاته، ولعل هذا أبرز ما يميز الناحية الدينية في

(١) زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص ٢٨.

(٢) الدكتور سميح دغيم، تحقيق إلجام العوام عن علم الكلام لحجة الإسلام الغزالي، ص ٩، نقلاً عن الكاتب فريد جبر في مقالة له في M. I-DEO عن حياة الغزالي.

ذلك العصر^(١)، وظهر القرامطة الذين حاولوا تقويض بيتان المجتمع الإسلامي من خلال التشكيك في أصول العقيدة وفروعها، الأمر الذي كان له أثر سياسي هدام^(٢).

فجرد الغزالي قلمه وشحذ يراعه فأبان عن مخازيهم وتلاعبهم في فهم النصوص القرآنية، وأظهر للناس مؤامراتهم ودسائسهم في كتابه "فضائح الباطنية" الذي ألفه بطلب من الخليفة (المستظهر بالله)، وأشار ضمن كتابه "المنقذ من الضلال" إلى طرف من ضلالاتهم وانحرافاتهم، ثم أوضح موقفه الفكري والعقدي من الزندقة ومسألة التكفير في كتابه "قيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة"، و أوضح هذه القضية التي زلت فيها أقدام فئة ليست بقليلة من أهل عصره.

المطلب الثالث: البيئة العلمية والثقافية:

تعد الحركة العلمية في القرن الخامس الهجري امتداداً للثقافة الإسلامية التي ولدت بمولد الإسلام، وأينعت ثمارها وتوسعت حتى بلغت غايتها في القرن الثالث والرابع الهجريين، فانتشر العلم في أنحاء العالم الإسلامي، وظلت هذه الحركة نشطة وتمثلت في جوانب مختلفة حيث المؤسسات العلمية: الكتاتيب والمساجد وحلقات العلم من الفقه والتفسير والعقيدة وغيرها، وكان المسجد جامعة للعلوم والمعارف، ثم تجلت في التأليف والتصانيف في مختلف المجالات العلمية والمعرفية^(٣).

وإلى جوار المساجد كانت دور العلم والكتب مفتوحة للعلماء وطلبة العلم يتداولون فيها الأبحاث العلمية، وكانت المجالس العلمية والأدبية محطة للعلماء وطلاب العلم والأدب، وحظي

(١) ينظر ابن الجوزي، المنتظم، (٢٣/٩)، ابن الأثير، الكامل، (١٢٤/٨).

(٢) ينظر الدكتور يوسف القرضاوي، الغزالي بين مادحيه وقادحيه، ص ٥٧-٦٢.

(٣) د. شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص ١٧٦-٢٧٧.

العلماء في هذه الفترة بتقدير الأمراء والوزراء الذين عملوا على تحفيزهم وتشجيعهم على التأليف والتصنيف^(١).

ومما تميز به هذا العصر كثرة بناء المدارس لطلبة العلم، إذ تنوعت هذه المدارس بتنوع الفرق الإسلامية وتعددتها، فكل مذهب فقهي مدارسها التي تعنى ببيانه ونشره وترسيخه^(٢).

ونبع في هذا العصر علماء كثيرون في مختلف العلوم، ذكر السبكي منهم - في طبقات الشافعية في المجلد الرابع والخامس من أعيان الشافعية - ثلاثمائة وثمانية عشر عالماً^(٣)، هذا عدا علماء الحنفية والمذاهب الأخرى الذين خصصت لهم تراجم خاصة بهم.

وتنوعت معارف هذا العصر وثقافته الدينية منها كالتفسير والحديث والفقه والعقيدة، والعلمية منها والفلسفة التي دخلت عن طريق الترجمة، وظهر النوابغ في شتى أنواع المعارف العلمية البحتة كالطب والرياضيات وغيرها^(٤).

ووقف الغزالي أمام المد الطاعني للفكر الفلسفي، إذ كان هذا هو عصر الفلسفة الزاهرة، وقف رحمه الله رافضاً ما تبثه الفلاسفة من أفكار دخيلة غريبة على عقول الموحدين، ودافع عن الدين، وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت إلا حديثاً يفترى^(٥).

المطلب الرابع: البيئة الاجتماعية

عاصر الغزالي مجتمعاً طبقياً في بنيته، يتكون من طبقة عليا هي طبقة الخليفة والسلطان ثم الوزراء والأمراء والقادة والولاة فكبار الموظفين، وطبقة وسطى تتكون من القضاة

(١) ينظر حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (٤/٣٢٠) بتصرف.

(٢) أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٣٤٧، بتصرف.

(٣) ينظر السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، المجلد الرابع ص ٥-٤٠٤، والخامس ص ٧-٣٧١.

(٤) ينظر عبد النعيم محمد حسين سلاجقة إيران والعراق، ص ١٩٥-١٩٦.

(٥) ينظر السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (٦/١٩٣).

والعلماء وصغار الموظفين والصناع والأدباء، ثم بقية الشعب من الفلاحين والخدم والرقائق وأصحاب الحرف الخفيفة تتكون منهم الطبقة الدنيا^(١).

وسادت الخلفاء حياة الترف والبيذخ ومجالس اللهو، وانسحب الأمر في ذلك على الوزراء وكبار رجال الدولة^(٢) إزاء هذا الفساد العام نهض نفر من العلماء عمل على محاربة هذا الفساد والتصدي لموجات الانحلال، فطالبوا بهدم المواخير والحانات^(٣)، واستمر الأمر والحال هذه إلى عهد الخليفة المقتدي الذي حارب مظاهر الانحلال بمختلف أشكاله^(٤) ومن يطلع على كتاب "الإحياء في علوم الدين" يجد أن الإمام الغزالي في عرضه للموضوعات الأخلاقية كان يصف أحوال المجتمع الذي عاشه وما فيه من حياة اجتماعية سيئة، فأسهم في حل كثير من مشكلاتها، وألقى الأضواء على الأزمات الأخلاقية التي كانت تعاني منها الأمة آنذاك.

(١) ينظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (١٤٦/٨، ١٥٠، ١٨٥)

(٢) ينظر د. شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص ٥١٧.

(٣) ينظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٤٠٣/٨، ٤٠٤)

(٤) المصدر نفسه، (٨، ٤٩٤).

المبحث الثالث: آثاره ومكانته العلمية

المطلب الأول: مؤلفاته

المطلب الثاني: قلامه

المطلب الثالث: المكانة العلمية

المطلب الرابع: عقيدته وأخلاقه ووفاته

المبحث الثالث: آثاره ومكانته العلمية

المطلب الأول: مؤلفاته

ترك الإمام الغزالي تراثاً علمياً كبيراً قدمه للمكتبة الإسلامية والحضارة الإنسانية فسي مختلف صنوف المعرفة والثقافة، حيث حظيت هذه المؤلفات والمصنفات باهتمام الدارسين والباحثين والمحققين مما يدل على أهمية موضوعاتها، وقد قام الدكتور عبد الرحمن بدوي بدراسة نسبة الكتب والمؤلفات التي جاءت باسم الغزالي إلى مؤلفها التي ورد ذكرها في كتب المخطوطات والكتب التي أرخت لنشأة العلوم والمؤلفات، وظهر لديه أن مؤلفات الغزالي على كثرتها وعددها تقسم إلى سبعة أقسام:

- كتب مقطوع بنسبتها إلى الغزالي^(١).
- كتب يدور الشك في نسبتها إلى الغزالي^(٢).
- كتب من المرجح أنها ليست للغزالي^(٣).
- أقسام من كتب الغزالي أفردت كتباً مستقلة وكتب وردت بعنوانات متغايرة^(٤).
- كتب منحولة^(٥).
- كتب مجهولة الهوية^(٦).
- مخطوطات موجودة ومنسوبة إلى الغزالي^(٧).
- ومن الملاحظ أنه لا يوجد فرق بين بعض هذه الأقسام

(١) ينظر عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص ١-٢٣٨.

(٢) ينظر المرجع نفسه، ص ٢٣٩-٢٧٦.

(٣) ينظر المرجع نفسه، ص ٢٧٧-٣٠١.

(٤) ينظر المرجع نفسه، ص ٣٠٢-٣٥١.

(٥) ينظر المرجع نفسه، ص ٣٥٣-٣٨٨.

(٦) ينظر المرجع نفسه، ص ٣٨٩-٤٢٦.

(٧) ينظر المرجع نفسه، ص ٤٢٧-٤٦٨.

وفي هذا المقام لا يمكن لي استقصاء جميع مؤلفات الغزالي، لأن ما ذكره الباحثون فيه الغنية والكفاية وقد أوفت بالغرض، وسأعرض لأشهرها والمقطوع بنسبتها إلى الإمام، للدلالة على الثروة الهائلة التي أودعها رحمه الله- في أيدي العلماء والمفكرين لإثراء القضايا الفكرية والإنسانية.

أولاً: مصنفاته في التفسير وعلوم القرآن:

ترك الغزالي بعض المصنفات في التفسير وعلوم القرآن، ولكن مما يؤسف له أنها لم تر النور ولم يتداولها طلبه العلم وأهله، إذ ذهب معظمها وطمست معالمها، وإن كان بعضها ما زال مخطوطاً.

ومن أشهر هذه المؤلفات:

جواهر القرآن ودرره^(١): وهو كتاب نفيس عرض فيه الغزالي للحديث عن أسرار القرآن ومقاصده وأغراضه وكيفية انبثاق العلوم كلها عن القرآن الكريم على ترتيب لم يعهد من قبل، وقد قسم الكتاب إلى قسمين: قسم أسماء: جواهر القرآن وفيه بيان للآيات التي وردت في ذات الله - عز وجل - وصفاته وأفعاله الخاصة. واشتمل هذا القسم على سبعمائة وثلاث وستين آية.

- القسم الثاني: أسماء درر القرآن وقد اشتمل على سبعمائة وإحدى وأربعين آية، وفيه بيان للصرائط المستقيم الذي وردت في بيانه الآيات، وبيان ما يجب ملازمته في السلوك إلى الله تعالى، ويعد هذا الكتاب من أصول التفسير العلمي حيث اعتمده الباحثون في ذلك، وهو كتاب مطبوع ومداول.

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (٤/ ٤١٧)، وقد ذكره كارل بروكلمان في كتب العقيدة، تاريخ التراث العربي، (٤/ ٢٤٧).

- فضائل القرآن: وهو مخطوط بمكتبة القاهرة أول تحت رقم ٥٤٥/٧^(١)، وذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي أنه مخطوط في دار الكتب المصرية برقم ٤٩^(٢).
- مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار في تفسير سورة النور: وهو كتاب مطبوع متداول، ذكر الغزالي في المقدمة أن تأليفه جاء استجابة لأحد إخوانه الذي طلب منه أن يبين له أسرار الأنوار الإلهية التي تشير إليها ظواهر الآيات المتلوة والأخبار المروية، ولما رأى في هذا السائل الاستعداد لقبولها كتب إليه بإشارات مختصرة وتلويحات موجزة، ورتبه على ثلاثة فصول: أولها: بيان أن النور الحق هو الله تعالى، وأن اسم النور لغيره مجاز محض وهو تفسير قوله تعالى: «الله نور السموات والأرض»^(٣)، والثاني في بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة، والثالث: في بيان أصناف المحجوبين عن الله تعالى من الناس^(٤).
- ياقوت التاويل في تفسير التنزيل: وهو كتاب مفقود، ذكر العلماء أنه يقع في أربعين مجلداً^(٥) وذهب بعض الباحثين إلى أن هذا الكتاب هو بعينه "جواهر القرآن" إلا أننا إذا اطلعنا على مضمون كتاب "جواهر القرآن" نجد أنه ليس تفسيراً للقرآن، فلا يمكن أن يكون هو تفسير ياقوت التاويل كما ذكر العلماء^(٦).
- حقيقة القرآن: ذكره الغزالي في كتاب المستصفي في علم الأصول، قال رحمه الله: (أما ما هو من القرآن وهو مكتوب بخطه فالاجتهاد فيه يتطرق إلى تعيين موضعه وأنه من القرآن، وقد أوردنا ذلك في كتاب حقيقة القرآن، وتاويل ما طعن فيه على الشافعي رحمه الله - من ترديد القول في هذه المسألة)^(٧).

(١) بروكلمان، تاريخ التراث العربي، (٢٤٨/٤).

(٢) مؤلفات الغزالي، ص ٣٦٥. (٤) سورة النور، ٣٥. (٥) مشكاة الأنوار ص ٣-٤.

(٣) سورة النور (٣٥).

(٤) الإمام الغزالي، مشكاة الأنوار، ص ٣-٤.

(٥) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، (٤٣/١)، طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، (٢٤٨/٢).

(٦) عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص ١٩٩.

(٧) الإمام الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (١٩٨/١).

(على أنه يلاحظ أن الغزالي في المستصفي وغيره كثيراً ما يستعمل كلمة كتاب للدلالة على فصل أو قسم من كتاب آخر من كتبه أو من نفس الكتاب، لكننا وجدنا أن الفقرة التي وردت في المستصفي في حقيقة القرآن مقدارها نصف صفحة فقط بحيث لا يعقل أن يشير إليها بلفظ كتاب إلا مع التجاوز الشديد جداً، وقد عنونها بقوله: النظر الأول في حقيقته، أي حقيقة القرآن، يضاف إلى ذلك أنه لم يشر فيها للشافعي فمن المقطوع به إذن أنه إنما يشير إلى كتاب مستقل)^(١).

ثانياً: مصنغاته في الفقه وأصوله:

- ذكر أصحاب التراجم والطبقات الذين أرحوا لنشأة العلوم والآثار العلمية أن الغزالي قد صنف كتباً فقهية عديدة كانت جلها في المذهب الشافعي، ومن هذه المؤلفات:
- البسيط في فروع المذهب: وهو مخطوط في مكتبة الأسكوريال برقم ١١٢٥، والسليمانية برقم ٦٢٩، قلج علي برقم ٣٢٧^(٢)، وهو كالمختصر لنهاية المطلب في دراية المذهب للإمام الجويني^(٣)، وهو عمدة في مذهب الإمام الشافعي^(٤).
 - الوسيط في المذهب^(٥): وهو كتاب مطبوع متداول اختصر فيه الغزالي ما جاء في البسيط، (وهو عديم النظير في بابيه من حيث ترتيبه وتهذيبه)^(٦).
 - الوجيز^(٧): وهو كتاب مختصر في الفقه الشافعي اختصره الإمام من كتاب الوسيط، وعليه شروحات كثيرة، وهو مطبوع متداول.

(١) عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص ٢٥٨.

(٢) بروكلمان، تاريخ التراث العربي، (٢٧٢/٤).

(٣) د. عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص ١٧.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢١٧/٤).

(٥) بروكلمان، تاريخ التراث العربي، (٢٧٢/٤) مؤلفات الغزالي، ص ١٩.

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٧٦/١).

(٧) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، (٢٠٧/٢)، وفيات الأعيان، (٢١٧/٤).

الخلاصة:

وهو خلاصة ما كتبه في المذهب الشافعي، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ط ٣: ٢٧٣، وقطع في جوته* ٩٣٨، وهو موجود في السليمانية في تركيا برقم ٤٤٢، بمئة ورقة كتبت سنة ٥٩٨هـ^(١).

وقد ذكر بعضهم ما ألفه الغزالي من مؤلفات فقهية ببعض الأبيات:

شيد المذهب حبراً أحسن الله خلاصه

بسيط ووسيط ووجيز وخالصة^(٢)

وأما في ميدان أصول الفقه فقد كان للإمام مؤلفات عديدة كان لها أثر في تهذيب الأصول وتنقيحها ودقة الترتيب في مسائلها ومن أشهرها:

- المستصفي من علم أصول الفقه: وهو مطبوع متداول، وهو من أواخر مؤلفاته وقد قال ابن خلكان: إنه فرغ من تصنيفه في السادس من الشهر المحرم سنة ٥٠٣هـ^(٣) وقد حققه الدكتور محمد سليمان الأشقر.

- أساس القياس: وهو كتاب أصولي مختصر تناول فيه طرق القياس الصحيح في الشرع، وهو مطبوع وقد حققه الدكتور فهد السرحان.

- المنحول من تعليقات الأصول^(٤): ألفه في حياة أستاذه الجويني وقد ألفه قبل المستصفي، وهو الآن مطبوع وقد حققه الدكتور حسن هيتو.

- شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل: ذكره الغزالي في أساس القياس^(٥)، وهو مطبوع متداول وقد حققه الدكتور حمد الكبيسي.

* مكتبة جوته في ألمانيا.

(١) عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص ٣١.

(٢) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، (/ ٢٠٧).

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٤/ ٢١٧ - ٢١٨).

(٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (٤/ ١١٦).

(٥) ص ٦٠.

- حقيقة القولين: (القولين المنسوبين إلى الشافعي)، وهو مخطوط في بني جامع في اسطانبول برقم ٨٦٥ (ورقة ٧٧٥ أ - ١٧٩٨) (١).

تهذيب الأصول: ذكره الغزالي في المستصفى فقال رحمه الله: فاقترح علي طائفة من محصلي علم الفقه تصنيفاً في أصول الفقه أصرف العناية فيه إلى التفريق بين الترتيب و التحقيق، و التوسط بين الإخلال والإملاء على وجه يقع في الفهم دون كتاب تهذيب الأصول، لميله إلى الاستقصاء والاستكثار، وفوق كتاب المنحول لميله إلى الإيجاز والاختصار (٢)، وهو غير متداول.

ثالثاً: في العقيدة:

- الاقتصاد في الاعتقاد (٣): وهو كتاب مطبوع بحث فيه جوانب من علم الكلام، وبسط فيه بعض الأدلة النقلية والعقلية في مناقشة بعض مسائل الصفات وقد حققه سامي حجازي.

- إجماع العوام عن علم الكلام (٤): بين فيه حقيقة معتقد السلف في الصفات، وما يجب على عموم الخلق اعتقاده في كثير من مسائل العقيدة والمسائل التي ينبغي الإمساك عنسها وعدم الخوض فيها، وهو مطبوع و متداول وقد حققه الدكتور سميح دغيم.

- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٥): وهذا كتاب نفيس جليل في بيان معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، بين فيه لطائف الأسماء والصفات العلية وأسرارها النورانية، وأثرها في معرفة العبد لها، وهو من أجود ما صنف الغزالي، والكتاب مطبوع و متداول.

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (١١٦/٤)، د. عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص ٢١٢.

(٢) عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص ٢١٠، وينظر قول الغزالي في مقدمة المستصفى، (٣٣/١).

(٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (١١٦/٤).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٧٦/١).

(٥) ابن خلكان، الوافي بالوفيات، (٢١٨/٤).

- المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال^(١)، ألفه حجة الإسلام في أواخر حياته^(٢)، وتحدث فيه عن مراحل حياته العلمية ووصوله إلى برد اليقين وسلامة المعتقد وصفاء الفكر^(٣).
- الدررة الفاخرة في الكشف عن علوم الآخرة^(٤):
- بسط فيه الغزالي الحديث عن أحوال الآخرة ومشاهدها، وهو مطبوع ومداول.
- الحكمة في مخلوقات الله^(٥): ذكره السبكي باسم عجائب صنع الله^(٦)، أشار فيه إلى جوانب عديدة من صنع الله في الكون والنفس البشرية، واحتوى على تفسير علمي بحسب معطيات العصر العلمية، وقد أثرت إيراده تحت هذا العنوان لما له صلة وثيقة بالتوحيد، وهو مطبوع متداول.
- المعارف العقلية^(٧): وهو كتاب مطبوع، تناول فيه جوانب في علم الكلام.

رابعاً: كتب الأخلاق والتصوف:

- ألف الغزالي كتباً عديدة في الأخلاق والآداب العامة والتصوف الإسلامي والزهد كلن لها أبعد التأثير والأثر في نفوس الناس وقلوبهم، وكانت منار دراسة لطلبة العلم والدارسين، ومن أشهر ما ألفه في هذا:
- كتاب إحياء علوم الدين: وهو من أجل كتب الغزالي وأرفعها شأنًا وأسمها مقاماً، وأبعدها شأواً، إذ هو الكتاب الجامع الحاوي لخلاصة العلوم على تعددها واختلافها، وكان

(١) عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص ٢٠٢.
 (٢) الإمام الغزالي، المنقذ من الضلال، ص ٢٤.
 (٣) المصدر نفسه، ص ١٢.
 (٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (١١٦/٤).
 (٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢١٨/٤).
 (٦) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (١١٦/٤).
 (٧) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، (٢٠٧/٢).

للأخلاق والتصوف نصيب وافر منه، وقد سارت بذكره الركبان واشتهر على الألسنة، قسمه الغزالي إلى أربعة أقسام أو أرباع: ربع المنجيات، وربع المهلكات، وربع العبادات، وربع العادات، وقد تمدح به العلماء وأثنوا عليه ثناءً بالغاً^(١)، وهو مطبوع متداول وله شروح كثيرة.

- منهاج العابدين^(٢): كتاب في الأخلاق مزجه الغزالي بالتصوف، وهو مطبوع متداول.
- بداية الهداية^(٣): تحدث فيه عن بعض طرق التصوف وعن الأوراد والأذكار، وهو مطبوع.
- ميزان العمل^(٤): مطبوع متداول، ذكر فيه أنواع الفضائل وأقسامها وطرق اكتسابها.
- كيمياء السعادة^(٥): ذكر فيه آداب عامة في مختلف شؤون الحياة، وهو مطبوع.
- أيها الولد: وهو كتاب تربوي أصيل، عرض فيه لجوانب من الحياة التعليمية، وأدب العالم والمتعلم مما كان فتحاً في بابيه، وهو مطبوع.

خامساً: الفلسفة:

- معيار العلم^(٦): مطبوع متداول، بين فيه بعض أصول المنطق، وقد حققه الدكتور سليمان دنيا.
- مقاصد الفلاسفة^(٧): ذكر فيه آراء الفلاسفة وبين أقسام علومهم، وهو مطبوع.

(١) الزبيدي، إتحاف السادة المنقذين، (٢٧/١).

(٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (١١٦/٤).

(٣) المصدر نفسه، (١١٦/٤).

(٤) المصدر نفسه، (١١٦/٤).

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٧٦/١).

(٦) المصدر نفسه، (٢٧٦/١).

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢١٨/٤).

- تهافت الفلاسفة^(١): بين فيه تناقض الفلاسفة وكفرهم في مسائل ثلاث: العلم الكلي: ويقصد به قولهم بأن الله - تعالى - يعلم كليات الأشياء لا جزئياتها.
- بعث الجسمانيات: إذ أنكر الفلاسفة حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس، وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس، وقدم العالم: حيث قالوا بأزليته^(٢). وهو مطبوع متداول.
- فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية^(٣): وهو مطبوع، أظهر فيه بطلان معتقد الباطنية وفلسفتهم وأخاديعهم ورد على النافين لخلافة المستظهر بالله، إذ كانت منطلقاتهم في ذلك فلسفية منطقية فرد عليهم بما يلائم.
- القسطاس المستقيم^(٤): وهو مطبوع، ذكره في المنقذ من الضلال^(٥)، وبين فيه موازين العلوم، وبعد فهذه هي أشهر مؤلفات الإمام مما صحت نسبته إليه من بين خمسمائة مصنف نسبت إليه^(٦)، وقد نفع الله تبارك وتعالى بكتبه فأثرت المكتبة الإسلامية، ولعل هذا ببركة إخلاص العمل لله تعالى وببركة العلم النافع، مما كتب الله لهذه المؤلفات الشهرة والانتشار.
- وقد كان رحمه الله تعالى متفرغاً للعلم والتأليف، ومستجمعاً لكل ما يؤهله لهذه المهمة الصعبة من ملكات عقلية، وقدرات فائقة، وطاقت هائلة، وصبر منقطع النظر، واجتهاد وجلد، مع حدة الذكاء، والقدرة على التمييز والتمحيص، شهد له بذلك كله القاصي والدانسي على أنه العالم المتبحر الجامع لأنواع العلوم والمعارف، المتقدم فيها، شهدت مؤلفاته بذلك، حيث جاءت حصيلة تجارب علمية وعملية.

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٧٦/١).

(٢) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (١٣٦/١).

(٣) طاش زاده، مفتاح السعادة، (٢٠٧/٢).

(٤) المصدر نفسه، (٢٠٧/٢).

(٥) ص ٣٥.

(٦) ينظر الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، (٢٧/١).

المطلب الثاني: تلاميذه:

ترك الإمام ثروة علمية هائلة، تمثلت في ما صنفه من كتب ومؤلفات، ومن تلاميذ وأتباع ومحبين لعلمه وفكره، وقد تأثر به كثير من طلبة العلم النجباء الذين بلغ بعضهم مبلغاً من العلم والشهرة، ومن بين هؤلاء:

أبو طاهر إبراهيم بن المطهر الشباك الجرجاني: صحب الغزالي وسافر معه إلى العراق والحجاز والشام، ثم عاد إلى وطنه بجرجان، وأخذ في التدريس والوعظ وبنيت له مدرسة مات شهيداً سنة (٥١٣هـ)^(١).

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري الإشبيلي الإمام المفسر وقد صحب الغزالي سنتين^(٢).

أبو سعيد محمد بن يحيى بن منصور النيسابوري الإمام المعظم الشهيد: كان إماماً مناظراً ورعاً زاهداً متقشفاً، وكان من أشهر تلاميذ الغزالي، تفقه عليه وبه عرف، وشرح كتابه البسيط في الفقه، قتل شهيداً في رمضان سنة (٥٤٨هـ)^(٣).

أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السلمي الفقيه الفرضي جمال الإسلام، أحد مشايخ الشام الأعلام: برع في الفقه والأصول والتفسير والتذكير، والفرائض والحساب وتعبير الروى ولزم الغزالي مدة مقامه بدمشق، وكان يدرس بالزاوية الغزالية، وحكي أن الغزالي قال بعد خروجه من الشام: خلفت بالشام رجلاً إن عاش كان له شأن، فكان كما تقرر فيه، توفي ساجداً في صلاة الفجر سنة (٥٣٣هـ)^(٤).

(١) ينظر ترجمته في السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (٣٦/٧).

(٢) له ترجمة في الزركلي، فهرس الأعلام، (٢٣/٦).

(٣) ينظر ترجمته في الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣١٤-٣٢١/٢٠).

(٤) ينظر ترجمته في الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٤-٣١/٢٠).

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدي الهرغي: كان رجلاً صالحاً فقيهاً، رحل إلى المشرق في شبيبته لطلب العلم فأنتهى إلى العراق واجتمع بالغزالي وغيره من العلماء توفي سنة (٥٢٤هـ)^(١).

المطلب الثالث: مكانته العلمية

يعد الغزالي عالماً موسوعياً ودائرة معارف للعصر الذي عاشه، وبلغ غاية مرموقة بين مصاف العلماء الإجلاء، وكانت له مكانة علمية تمثلت في ما يلي:

أولاً: تقدمه في مختلف فروع العلوم الإسلامية وفنون المعرفة علماً وتصنيفاً، فهو العالم المنبجر الأصولي الفقيه الفيلسوف المربي الزاهد^(٢).

ثانياً: نشاء العلماء وأصحاب التراجم عليه، ومن ذلك ما وصفه الجويني قائلاً: (الغزالي بحر مخدق)^(٣).

وقال الإمام محمد بن يحيى تلميذ الغزالي: (الغزالي هو الشافعي الثاني)^(٤).
وقال الإمام أبو بكر بن العربي المفسر: (فانه كان رجلاً إذا عاينته رأيت جمالاً ظاهراً، وإذا عالمته وجدت بحراً زاخراً، وكلما اختبرت احتبرت)^(٥) وقال ابن خلكان: (لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله)^(٦). وقال طاش كبرى زاده: (جامع أشنات العلوم، والمبرز في المنقول منها والمفهوم، كان ضرغاماً إلا أن الأسود تتضاءل بين يديه وتتوارى، وبدراً تماماً إلا أن هداه يشرق نهاراً، وبشراً من الخلق ولكنه الطود العظيم، وبعض الخلق ولكن مثل ما بعض الحجر الدر النظيم، يناضل عن الدين الحنيف بحال ومقال، يناضل عن الدين الحنيفي

(١) ينظر ترجمته في السبكي طبقات الشافعية الكبرى، (١٠٩/٦-١١٧).

(٢) وقد مر بيان ذلك في أثناء الحديث عن تأليفه وتصنيفاته.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (٦٣/٦).

(٤) المصدر نفسه (٢٠٢/٦).

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢١٦/٤).

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢١٦/٤).

يقصد بذلك الدر المنظم والمرتب في أجزاءه.

٥٤٩٣٣٥

بحاله ومقاله ويحمي حوزة الدين لا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله حتى أصبح الدين وثيق العرى، وانكشفت غياهب الشبهات و ما كانت إلا حديثاً مفترى^(١).

المطلب الرابع: عقيدته وأخلاقه ووفاته.

كان الإمام على عقيدة أهل السنة والجماعة والسلف الصالح المستمدة من الكتاب والسنة، وصل إليها بعقله بعد مجاهدة النفس، والتقرب إلى الله تعالى، حيث وصل إلى برد اليقين، والسكينة والاستقرار بعد رحلة طويلة وشاقة، وبعد صراعات مريرة مع النفس، أدت إلى انتصاره عليها، والخروج من الشك إلى اليقين الثابت والعلم المستقر المكين حيث يقول: (وأحكي له ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب القرن، مع تباين المسالك والطرق، وما استأجرت عليه من الارتفاع من حضيض التقليد إلى بفاع الاستبصار)^(٢). وقد ألف قواعد العقائد وإجماع العوام عن علم الكلام وأوضح فيه قواعد عقيدة أهل السنة والجماعة. وكان رحمه الله إلى جانب هذا مثالاً للأدب والخلق والتواضع إلى جانب العلم الغزير.

وفاته: توفي رحمه الله - تعالى - يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة (٥٠٥هـ، في الطابران، ودفن هناك)^(٣).

(١) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، (٢/١٩٧).

(٢) الإمام الغزالي، المنقذ من الضلال، ص ٨٧.

(٣) ينظر الصفدي، الوافي بالوفيات، (١/٢٧٧).

الفصل الثاني: التفسير وأنواعه في مؤلفات الإمام

الغزالي

المبحث الأول: مصادر التفسير عند الإمام الغزالي

المبحث الثاني: التفسير بالمأثور عند الإمام الغزالي

المبحث الثالث: التفسير بالرأي عند الإمام الغزالي

المبحث الرابع: التفسير اللغوي عند الإمام الغزالي

المبحث الخامس: التفسير العلمي عند الإمام الغزالي

المبحث السادس: التفسير الإشاري عند الإمام الغزالي

تمهيد

نشأة التفسير من عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى القرن السادس الهجري

إن علم القرآن العظيم هو أرفع العلوم قدرا وأجلها خطرا ، وأعظمها أجرا وأشرفها ذكرا ، وقد بدأت العناية به منذ بداية العهد النبوي الميمون ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المفسر الأول لكتاب الله تعالى ، وأعلم أهل الأرض بكتاب ربه العليم الحكيم ، إذ كان يفسر لأصحابه الكرام ما شاء الله له أن يفسر ، وقد كان -عليه السلام- مصدرا لتفسير وبيان القرآن^(١) .

ثم جاء عصر الصحابة الكرام، فاعتمدوا على ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم - في التفسير ، واجتهدوا فيما لم ينقل إليهم أثر في بيانه ، وكانوا على تفاوت في الفهم بحسب معرفتهم للغة العربية ومعرفة مناحي العرب في القول، وقد كانوا على خلاف في مسألة التفسير بالرأي، فمنهم المتخرج الممتع، ومنهم من رأى في ذلك مزيد إيضاح، وتقديم لما هو جديد ، لا سيما أن حاجة الناس لتفسير وفهم القرآن متجددة، لا تقف عند حد أو نهاية .

وكان عصر الصحابة- عليهم رضوان الله - عصر النقاء في فهم وإدراك معاني التنزيل، ولم يكن هناك نقل عن الإسرائيليات على عمومها وعواهنها، بل كان هناك تخرج شديد وحيطة كبيرة إزاءها^(٢) .

وقد اتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث، بل كان جزءا منه وفرعا من فروعها ، وكانت مسائل التفسير تروى منثورة لأيات متفرقة كما كان الشأن في رواية الحديث، فحديث صلاة إلى جانب تفسير آية من القرآن إلى جانب حديث جهاد ... وهكذا^(٣) .

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٢/٢٩٢).

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١/٣٠)، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٢/١٢٢٧-١٢٣٠).

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١/٣١)، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٢/١٢٣١).

ثم جاءت مرحلة التفسير في عهد التابعين الذين أخذوا عن الصحابة الكرام، فكان ثمة مدارس للتفسير متنوعة ، قام بتأسيسها الصحابة الذين انتشروا في الأفق، وأشهر هذه المدارس مدرسة ابن عباس - رضي الله عنهما - في مكة ، ومن تلاميذها مجاهد وعكرمة مولى ابن عباس و طاووس وسعيد بن جبير و عطاء بن أبي رباح، ومدرسة أبي بن كعب في المدينة ، ومن تلاميذها زيد بن أسلم وأبو العالية ومحمد بن كعب ، ومدرسة ابن مسعود في العراق، ومن تلاميذها علقمة بن قيس والأسود بن يزيد وعامر الشعبي والحسن البصري و قتادة بن دعامة السدوسي .

وقد كان لكل مدرسة شيوخها وتلاميذها - كما تقدم - وخصائصها ومميزاتها ومقوماتها التي انفردت بها عن غيرها ، مع اتفاقها جميعا في الطابع العام وهو الرواية.

وكان التابعون -رحمهم الله - يسرون على خطى الصحابة ، وينهجون نهجهم في التفسير مع وجود بعض الفوارق بين العهدين ، حيث اتسعت رواية الإسرائيليات لدخول كثير من أهل الكتاب في الإسلام ، وكثرت الاختلافات والأقوال في تفسيرهم للأية الواحدة ، واتسع نطاق التفسير لمقتضيات لم تكن في الفترة السابقة ، لدخول الناس في دين الله ، ولوجود أصحاب النزعات والفلسفات القديمة ، فكانت الحاجة ماسة لأن يُبين لهم ما لم يتم بيانه من قبل، فاتسع بهذا مجال التفسير عمقا ومساحة^(١) .

وفي هذا العصر أيضا ظهرت نواة الخلاف المذهبي، فكانت بعض النزعات العقلية واضحة عند بعض التابعين أمثال مجاهد و قتادة ، إلا أن الطابع الذي احتفظ به التفسير كان طابع التلقي والرواية ، ولكن غلب عليه طابع الاختصاص، حيث كان أهل كل عصر يتلقون روايات التفسير عن إمام عصرهم بوجه خاص ، وقد كان مصدر التفسير في هذا العصر : القرآن الكريم ، وتفسير النبي عليه السلام -، وتفسير الصحابة - رضوان الله عليهم - ، وما أخذ عن أهل الكتاب ، ولم تظهر في هذا العهد مؤلفات في هذا الفن^(٢) .

(١) الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (١/١٤٢).

(٢) المرجع نفسه، (١/١٤٤).

ثم تلت هذه المرحلة مرحلة التدوين : وهي مرحلة تدوين الحديث النبوي مبوتاً ، فصار التفسير باباً من أبواب الحديث، حيث نشط في عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - ، فكانت الرواية بالإسناد ، وكان التفسير الذي يروى بعضه مرفوعاً إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - ، وبعضه موقوفاً على الصحابة ، ومقطوعاً على التابعين ، وفي هذه المرحلة اتسعت الرواية عن مسلمة أهل الكتاب ، وكثرت الروايات الإسرائيلية ، كما اتسع التفسير بالرأي (١) .

ثم جاءت بعد ذلك خطوة متقدمة ، انفصل بها التفسير عن الحديث ، فأصبح علماً قائماً بذاته ، ووضع تفسير لكل آية من آيات القرآن ، ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف الشريف ، ثم ذلك على أيدي طائفة من العلماء الأفاضل ، منهم ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣هـ ، وابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري المتوفى سنة ٣١٨هـ وابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ ، وغيرهم من الأئمة الكبار (٢) .

وهذه التفسيرات كلها مروية بالإسناد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإلى الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ومعظم هذه التفسيرات كان يُعنى بالمأثور ، باستثناء تفسير الإمام الطبري ، فإنه كان يذكر في تفسيره الأقوال ثم يوجهها ويرجح بعضها على بعض ، ويضيف إليها الأحاديث والاستنباطات في الأحكام الشرعية وغيرها من علوم التفسير ، وفي هذه المرحلة تم تدوين التفسير على أنه باب مستقل ولكن بطريقة أهل الحديث (٣) .

ولم يقف التفسير عند هذه الخطوة ، بل تجاوزها ليزداد توسعاً عن النطاق السابق ، فاختصرت الأسانيد ، ونقلت الأقوال المأثورة عن المفسرين دون أن ينسب إليهم ما قالوه ، فدخل الوضع في التفسير ، والتبس الصحيح بالعليل ، وأصبح من ينظر في هذه الكتب يظن أن كل ما

(١) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، (١٢٣٤/٢) .

(٢) ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، (٣١/١) .

(٣) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، (١٢٣٥/٢) .

فيها صحيح، فنقله كثير من المتأخرين في تفاسيرهم، ونقلوا ما جاء في هذه الكتب من إسرائيلييات على أنها من التفسير، وكان ذلك هو مبدأ خطر الوضع والإسرائيلييات^(١).

وهكذا حتى دخل القرن الخامس الهجري، حيث نحا العلماء في التأليف في التفسير مناحي متعددة، وخطا التفسير خطوات واسعة، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصوراً على الرواية، تجاوز ذلك إلى مرحلة اختلط فيها الفهم العقلي بالتفسير النقلي على تدرج ملحوظ، فصنف في ذلك قوم برعوا في علم مختلفة فكان كل منهم يقتصر على الفن الذي يغلب عليه، فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه والأخباري- من يعنى بنقل القصص والأخبار- ليس له شغل إلا القصص وإستيفائها، والفقهاء يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات الأولاد، وظهر أيضاً هناك تأليف في مجال التفسير لم تقتصر على المفسرين على وجه الخصوص، بل تعدت إلى غيرهم من المؤلفين والمصنفين، ومن هؤلاء الإمام الغزالي، حيث كان له مؤلفات عديدة ومصنفات مفيدة، أودع فيها تفسير كثير من آيات القرآن الكريم، كما فعل غيره من المؤلفين، وكان هذا الحال أيضاً بالنسبة للقرن السادس الهجري^(٢).

المبحث الأول : مصادر الغزالي في التفسير

لا شك أن تنوع المصادر في الفنون والعلوم، واختلاف المنامح للباحثين وأساليب المؤلفين ولغتهم الكتابية، وتباينهم في تنظيم وعرض المعلومات يجعل من الصعب إعطاء وصف عام دقيق لها، (وإن المصادر التي يعتمد عليها الباحث في دراسته تعد من أهم المقاييس في تقدير صحة البحث وجودته)^(٣)، وفي رؤية الدكتور مصطفى المشني وتقديره لقيمة المصادر، فإنه يعدها (من الركائز الأساسية التي يقوم عليها تفسير المفسر، ومن الأصول التي يبنى عليها منهجه الخاص به، لذا فإنه من الضرورة بمكان التحدث عن مصادر المفسر باعتبارها مقدمة لا بد منها لإلقاء مزيد من الضوء على مدى اعتماده، وتأثره بتلك المصادر، ثم لتوضيح أثرها على ميوله واتجاهاته)^(٤).

(١) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (٤/٥٥٦).

(٢) ينظر الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون (١/١٤٠-١٥١)، الدكتور صلاح الخالدي، تفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص ١٩-٢٤.

(٣) الأستاذ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، كتابة البحث العلمي (صياغة جديدة)، ص ٧٠.

(٤) الدكتور مصطفى المشني، ابن العربي المالكي وتفسيره أحكام القرآن، ص ٤٣.

تنوعت مصادر الغزالي - رحمه الله - في مختلف فنون العلم الشرعي على وجه العموم، وفي التفسير بشكل خاص ، ولكن مما يلفت النظر ههنا أنه أورد النقولات على وجه العموم (على الأعم الأغلب) فيما يخدم قضايا التفسير، فقل أن تجده يعزو القول إلى المصدر الذي استقى منه مادته، بل يشير إلى صاحبه أو مؤلفه فقط، على معنى أنه قد يكون الكتاب الذي استقى منه مادته مفقودا أو مازال مخطوطا فيتعسر الرجوع إليه أو قد يكون نقل عن مفسر نقل عنه المفسر الناقل من كتبه، وهي قضية تجعل من الصعوبة بمكان أن يرجع الباحث لتوثيق المادة العلمية إلى مصنفات من أشار إليهم، وكثيرا ما كنت أراه ينقل الآراء هكذا بقوله: وقيل، وروي، قال أهل اللغة، قال المفسرون، وسأعرض في هذا المقام لبعض هذه المصادر والنقولات التي أشار إليها في ثنايا عرضه لقضايا التفسير وبحثه في ميدانه.

المطلب الأول : مصادره في التفسير وعلوم القرآن

يبدو من خلال الاطلاع والتتبع أن الغزالي نقل عن أهل التفسير في عصره، وعمّن تقدمه من علماء ومصنفين ، حيث تأثر بأرائهم ودون أقوالهم، ومما يلحظ أن هذا النقل جاء على وجه العموم دون عزو وتحديد لأرباب المصنفات كالإمام الطبري^(١) ، وأبي الليث السمرقندي^(٢) صاحب بحر العلوم ، والثعلبي^(٣) صاحب الكشف والبيان ، وأبي علي الجبائي^(٤) وأبي هاشم الجبائي^(٥) من المعتزلة ، وغيرهم ممن سبقوه ، ثم لم يشر إلى أي واحد من هؤلاء، ولا إلى أي مصدر من مصادر التفسير، ولعله يكون اطلع عليها ، ومما يدعوني إلى

(١) هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، من مؤلفاته جامع البيان في تأويل أي القرآن، تاريخ الأمم والملوك، وغيرها ، توفي سنة ٣١٠هـ، ينظر السيوطي، طبقات المفسرين ، ص ٨٢ .

(٢) هو نصر بن محمد بن إبراهيم الحنفي، من مؤلفاته: تفسير بحر العلوم ، تنبيه الغافلين في الوعظ ، توفي سنة ٣٧٣هـ، ينظر الداودي طبقات المفسرين، ص ٣٢٧.

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ،صاحب التفسير المشهور والعرائس في قصص الأنبياء ، كان عالما بارعا في علم القرآن والعربية ، توفي سنة ٤١٧هـ، ينظر السيوطي، طبقات المفسرين ، ص ١٧ .

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أحد شيوخ المعتزلة، ألف في التفسير ، ولكن لم نر هذا التفسير ، توفي سنة ٣٠٣هـ ، ينظر السيوطي ، طبقات المفسرين ، ص ٨٨-٨٩.

(٥) هو عبد السلام بن أبي علي، ذكر السيوطي أنه ألف تفسيراً وقال : إنه رأى جزءاً منه ، ولكن للأسف لم نطلع عليه، توفي سنة ٣٢١هـ، ينظر السيوطي ، طبقات المفسرين ، ص ٣٣ .

القول بذلك ما قاله الغزالي في الإحياء: (فالإقتصار في التفسير: ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار.

كما صنّفه الواحدي النيسابوري^(١) وهو الوجيز، والاقتصاد: ما بلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنّفه من الوسيط، وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر^(٢) فهذا النص يشير إلى أن الغزالي قد اطلع على كتب النيسابوري في التفسير وهي الوسيط والوجيز، وهذا يؤكد اطلاعه على غيرها. والذي يؤكد هذه النتيجة أن الإمام الغزالي نقل عن أرباب المدرسة المكيّة في التفسير، وعن أصحاب المدرسة الكوفية، وعن مدرسة أبي بن كعب، وقد وردت آراء أرباب هذه المدارس في كتب التفسير بالمأثور، صنّفت في جمعها المصنفات العديدة، ولكن الغزالي لم يصرح بذكر هذه المصنفات التي نقل عنها، وإن كان صرح بذكر آراء الصحابة والتابعين على ما سيأتي بيانه في بحث التفسير بالمأثور - إن شاء الله تعالى -، على أنه ينبغي أن يشار هنا إلى أن الغزالي ظهر في كثير من نقولاته ناقلاً متأثراً بما أورده، وكان في ذات الوقت ينقد ويناقش ويرجح على ما سيأتي بيانه في موضعه - إن شاء الله -، وفيما يلي بعض الأمثلة على نقله عن غيره وتأثره بما أورده عنهم:

أ- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يظنوا يحتسبون﴾^(٣)، قال الغزالي: (قيل في التفسير: عملوا أعمالاً ظنوا أنها حسنة فكانت في كفة السيئات)^(٤) ونلاحظ أن الإمام الغزالي لم يعز هذا التفسير إلى قائله.

ب- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ولدينا مزيد﴾^(٥)، قال الغزالي: (قال بعض المفسرين فيه: يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين. الأولى: ﴿فلا تطعم

(١) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن، صنّف التفسير الثلاثة، البسيط، والوسيط، والوجيز، وأسباب النزول، وشرح أسماء الله الحسنى، توفي سنة ٤٦٨هـ، ينظر السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٦٧.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٥٥).

(٣) سورة الزمر ٤٧.

(٤) الغزالي، قواعد العقائد، ص ١٢٨، وهذا هو تفسير السدي، ينظر ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (١٨٧/٧).

(٥) سورة ق، ٣٥.

نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين»^(١)، والثانية : السلام عليهم من ربهم ، فيزيد ذلك على الهدية فضلا ، وهو قوله تعالى : ﴿ سلام قولا من ربا رحيم ﴾^(٢)، والثالثة : يقول الله تعالى : إني عنكم راضٍ، فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم، فذلك قوله تعالى : ﴿ورضوان من الله أكبر﴾^(٣)، أي من النعيم الذي هم فيه ، فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد).^(٤)

فهنا يلحظ أن طابع النقل قد بدا واضحا على الإمام الغزالي، إذ لم يتعقب الأقوال ولم يورد رأيه فيها ، مما يدل على رضاه وموافقته على هذه الأقوال .

ومما جاء من أمثلة على تعقبه رحمه الله لما يورده من أقوال ومناقشته للأراء التي يأتي بها عن غيره ما يلي :

أ- عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم ﴾^(٥)، قال الغزالي: (قيل في تفسير هذه الآية : إنه مثل ضربه الله ليوم القيامة في حشر المؤمنين والكافرين ، أي؛ مشاة على وجوههم كما قال تعالى : ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾^(٦)، هذا قول بعض المفسرين ، وليس الأمر كما حكاها، وإنما السر في ذلك أنه تارة يمشي ، وتارة يكبو على وجهه ، والذي تأوله بعيد ؛ لأن الله تعالى ذكر الأرجل فقال : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾^(٧)، وقوله: ﴿ عميا وبكما وصما ﴾^(٨)، غير المقصد الذي أراده ، وترك الإشارة التي نبهك عليها، فقد رأيت العرب يتمثلون بها ويقولون : هذا يمشي على وجهه إذا كان

(١) سورة السجدة، ١٧.

(٢) سورة يس، ٥٨.

(٣) سورة التوبة، ٧٢.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٥/٢٤١)، وينظر الإمام الطبري، جامع تأويل أي القرآن، (٢٦/١٧٤).

(٥) سورة الملك، ٢٢.

(٦) سورة مريم ، ٨٦.

(٧) سورة النور، ٢٤.

(٨) سورة الإسراء، ٩٧.

يكبو، ومعناه: عموا عن النور الذي يشعشع بين أيدي المؤمنين وعن أيمانهم ، وليس العمى الكلي إرادتهم، لأنه لا خلاف أنهم ينظرون السماء تتشق بالغمام والملائكة تنزل ، والجبال تسير ، والكواكب تنتثر ، وكل أهوال القيامة تفسر قوله تعالى : «أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون»^(١)، فمعنى العمى في القيامة: الخوض في الظلمة^(٢) ، والمنع عن النظر إلى الكريم، إذ نور الله - سبحانه وتعالى - تشرق به الأرض البيضاء^(٣) ، وهم قد ضرب الله على أبصارهم غشاوة لا ينظرون إلى شيء من ذلك ، كذلك ضرب على آذانهم فلا يسمعون كلام الله والملائكة الذين ينادون: «لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون»^(٤) ، وكذلك منعوا من الكلام كأنهم بكم ، يفسره قوله تعالى: «هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون»^(٥) ، والممنوع من الشيء موصوف بالضعف عن قدرته عليه ، وإن كانت الصفة فيه موجودة كأنها معدومة الوجود في حال دون حال) ،^(٦) وفي هذا المثال يخرج الغزالي برأي مستقل عن القول الذي أورده في تفسير الآية ، ونجده يناقش ويستند فيما يصل إليه من رأي إلى القرآن ، إذ يسوق ما يعززه من أدلة وردت في كتاب الله عز وجل ، كما وأنه يستند إلى اللغة لبيان المعنى وتجليته .

(١) سورة الطور، ١٥

(٢) قال الزمخشري: (يجوز أن يراد الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيعتسف، فلا يزال ينكب على وجهه، وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي إليه، وهو مثل للمؤمن والكافر)، الكشاف، (٤/٥٨٦-٥٨٧).

(*) يعني بذلك أرض المحشر، حسبما ورد في الحديث الشريف: " يحشر الناس يوم القيامة، على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد"، مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم ٢٧٩٠، (١١١/١٧)، ومعنى عفراء: بيضاء إلى حمرة، وقرصة النقي: الدقيق الحوري وهو الدرملك وهو الأرض الجيدة، ليس بها علم لأحد: ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر، النووي، شرح صحيح مسلم، (١١١/١٧).

(٣) سورة الأعراف ، ٤٩ .

(٤) سورة المرسلات، (٣٥، ٣٦)

(٥) الغزالي، الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ص ٥٣ - ٥٤ ، ولعل الغزالي نقل القول السابق عن الضحاك وقد أشار الطبري في جامع التأويل إلى قول الضحاك هذا، ٢٩/١٠ .

إذ رد حجة الإسلام على من يرى معنى (مكباً) ماشياً على وجهه بل إنه يمشي ويكبو وقد جاء استدلاله على رأيه متمثلاً في آية ذكرت فيها الأرجل في مقام الشهادة على الإنسان وليس في مقام المشي على الوجه، واستشهد أيضاً بأن العمى والصمم والبكم الوارد في قوله تعالى: ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ﴾ في سورة الإسراء غير المقصد الذي أراده من قال بالمشي على الوجه وبين أن المعنى عموا عن النور الذي يشعشع بين أيدي المؤمنين وعن أيمانهم، والعرب تقول: هذا يمشي على وجهه إذا كان يكبو.

ومع تقديري لهذا الرأي، فإن هناك رواية في صحيح الإمام مسلم بينت أن المراد من الآية المعنى الأول الذي قال به الضحاك، إذ أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: ((أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟))، قال قتادة: بلى وعزة ربنا^(١).

ب- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله .. ﴾^(٢) الآية، قال حجة الإسلام: أوصى عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- بنبيه عند موته فقال: يا بني حجوا مشاة فإن للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم، قيل: وما حسنات الحرم؟ قال: الحسنة بمائة ألف، والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى أكد منه في الطريق، وإن أضاف إلى المشي الإحرام من دويرة أهله، فقد قيل: إن ذلك من إتمام الحج، قاله عمر وعلي وابن مسعود -رضي الله عنهم- في معنى قوله -عز وجل- ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله .. ﴾ وقال بعض العلماء: الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق والمؤنة، ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه، وأقرب لسلامته وتتمام حجه، وهذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأول، بل ينبغي أن يفصل ويقال: من سهل عليه المشي فهو أفضل، فإن كان يضعف ويؤدي به إلى ذلك سوء الخلق، وقصور عن عمل

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب يحشر الكافر على وجهه، رقم ٢٨٠٦، (١٢٣/١٧).

(٢) سورة البقرة، ١٩٦.

فالركوب له أفضل، كما أن الصوم للمسافر أفضل، وللمريض ما لم يفرض إلسى ضعف وسوء خلق^(١).

وهنا يقرر الغزالي أن الرأيين الواردين في بيان الآية غير متضادين، إذ يفهم منهما أن المشي أفضل لمن كان المشي عليه سهلا، وأما من كانت عليه مشقة جسدية فالركوب له أفضل، ولم يتعرض لبقية الآراء الواردة في بيان معنى الآية، وللعلماء أقوال مختلفة في بيان معنى إتمام الحج وما هي بعضها: (قيل: أداؤهما: الإتيان بهما، وهذا على مذهب من أوجب العمرة، ومن لم يوجبها قال: تمامهما بعد الشروع فيهما، فإن من أحرم بنسك وجب عليه المضي فيه ولا يفسخه، وقيل: إتمامهما أن تخرج قاصدا لهما لا للتجارة ولا لغير ذلك، وقيل عمر - رضي الله عنه-: إتمامهما أن يفرد كل واحد منهما من غير تمتع وقران، وقيل: إتمامهما أن لا تستحلوا فيهما ما لا ينبغي لكم، وذلك أنهم كانوا يشركون في إحرامهم فيقولون: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، وقال أتموهما ولا تخططوا بشيء آخر)^(٢)

وفي علوم القرآن، نقل رحمه الله عن علماء كثيرين، أشار إليهم بقوله: قال قوم، ورد، ..، إلى غير ذلك من صيغ التعميم، وممن أشار إليهم صراحة في هذا الشأن الإمام الباقلائي^(٣)، وأبو عبيد القاسم بن سلام^(٤)، والزجاج^(٥).

ومن موضوعات علوم القرآن التي نقلها عن العلماء: الوقف والابتداء، فعند تفسير قول الله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله ..﴾^(٦) الآية، نقل عن أبي عبيد في الوقف، قال

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٤٩/١)، وللمزيد ينظر أيضا، الاقتصاد في الاعتقاد، ص ٨١ - ٨٢، وإجماع العوام، ص ٦، جواهر القرآن، ص ٣٩.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣٦٥-٣٦٦).

(٣) هو محمد بن الطيب أبو بكر، رأس المتكلمين على مذهب الشافعي، من مؤلفاته، إعجاز القرآن، دقائق الحقائق، التقريب والإرشاد، توفي سنة ٤٠٣هـ، ينظر ابن كثير، البداية والنهاية، (٣٥٠/١١) - ٣٥١.

(٤) هو القاسم بن سلام اللغوي الفقيه المحدث، من مصنفاته: الناسخ والمنسوخ، غريب الحديث، معاني القرآن، توفي سنة ٢٢٣هـ، ينظر القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، (١٢/٣).

(٥) هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحق نحوي لغوي، من مؤلفاته: إعراب القرآن، معاني القرآن، توفي سنة ٣١١هـ، ينظر ياقوت الحموي، معجم الأديباء، ص ٥١.

(٦) سورة آل عمران، ٧.

الغزالي: (وقال تعالى: ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ يعني حاله ، وعليه وقف أبو عبيد وابتداً من قوله : ﴿ والراسخون في العلم ﴾ ، إذ العلوم كلها يحيط بها الراسخون فيها)^(١).

ولعل الإمام الغزالي قال بهذا فهما مما أورده أبو عبيد أو لعله أخذه عن بعض الكتب التي نقلت عن أبي عبيد لا من كتابه فضائل القرآن.

وبالرجوع إلى كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد نجد الإشارة إلى ما نقله الإمام الغزالي لكن ليس بنصه، قال أبو عبيد: (قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ الراسخون في العلم: يعلمون تأويله ويقولون آمن به. وفي غير مجاهد قال انتهى علمهم إلى أن قالوا: ﴿أما به كل من عند ربنا﴾)^(٢).

ولم أجد الوقف عند أبي عبيد على الآية إلا من حيث المعنى. فمن وقف على لفظ الجلالة فهو لاء لا يعلمون المتشابه بل يردونه إلى الله تعالى، ومن وقف على (الراسخون في العلم) يعلمون المتشابه.

وعند تفسير قول الله تعالى : ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنی لا جرم أن لهم النار .. ﴾^(٣) الآية، قال الغزالي: (وقف بعض القراء على النفي تكذيباً لهم ، ثم ابتداء وقال : (جرم أن لهم النار) ، أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار)^(٤).
(والمعنى على هذا الوقف جعلهم ما يكرهون ما يقدمونه في سبيل الله من صدقة أو هبة أو هدية وعموم الآية لا يمنع من ذلك، وتكرهون ذلك وتصف ألسنتكم، قال كفار قريش: البنون والبنات لله، وهذه التفسير كلها مواطنة (موافقة) لسياق الآية، فإن الله تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾^(٥)، ثم يقف على لا فيكون نفياً لوصفهم

(١) الغزالي ، المنحول من علم الأصول، ص ١٧٢، وينظر أبو عبيد، فضائل القرآن، ص ١٠٠.

(٢) أبو عبيد، فضائل القرآن، ص ١٠٠.

(٣) سورة النحل ، ٦٢.

(٤) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٢٨٩/١)؛ وينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٢/١٠).

* ينظر الطبري، جامع البيان لتأويل أي القرآن، (١٢٦/١٤) .

(٥) النحل، ٥٧.

أن لهم الحسنى (الغلمان) ثم يستأنف (جرم) أي بجرمهم واكتسابهم حقت لهم النار وجرم هنا بمعنى حقا^(١).

وقال الزركشي في بيان معنى لا جرم: (فيها أربعة أقوال: الأول: لا نافية، ردا للكلام المتقدم وجرم فعل معناه حقا، وأن ما في حيزها فاعل أي حق ووجب بطلان دعوته وهذا مذهب الخليل وسيبويه، فقوله تعالى: (لا جرم) معناه أنه رد على الكفار وتحقيق لخسرانهم. الثاني: لا زائدة وجرم معناه كسب، أي كسب عملهم الندامة.

الثالث: لا جرم كلمتان ركبنا وصار معناهما حقا وأكثر المفسرين يقتصر على ذلك.

والرابع: أن معناها لا بد وأن الواقعة بعدها في موضع نصب بإسقاط الخافض الجار^(٢). ومن موضوعات علوم القرآن التي نقلها أيضا عن العلماء موضوع المتشابه، قال الغزالي: (وقال آخرون: - المتشابه: ما عسر إجراؤه على الظاهر كآية الاستواء، وإليه ميل ابن عباس - رضي الله عنه -، وأما الزجاج فقال: الكل محكم إلا آيات القيامة فإنها متشابهة إذ لم يكشف عنها، بدليل قوله: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾^(٣) وكانوا لا يتبعون إلا أمر القيامة بدليل قوله - عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾^(٤) الآية، ويشهد لكونها متشابهة قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا...﴾^(٥)، وهنا ينقل عن الزجاج ولكنه لم يحدد اسم المصدر الذي نقل عنه.

ومن مصادر الغزالي في علوم القرآن كتاب "التقريب والإرشاد" للباقلاني، إذ نقل عنه في كثير من المسائل في هذا الفن، ومما نقله عنه: رأيه في مسألة علمية مهمة وهي: مسألة عربية القرآن؟ قال الغزالي: (قال القاضي - رحمه الله تعالى - : القرآن عربي كله لا

(١) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (٤/١٢٨).

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٤/٣٦٣)، والرأي الأول هو الأصوب - والله اعلم - لأنه يتناسب مع سياق الآية.

(٣) سورة ال عمران، ٧.

(٤) سورة النازعات، ٤٢.

(٥) سورة طه، ١٥.

(٦) الغزالي، المنحول من علم الأصول، ص ١٧١، وقد رجعت إلى معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/٣٧٦-٣٧٧) فلم أجد له هذا الرأي، ولعل الغزالي نقل عنه في كتاب آخر.

عجمة فيه ، وقال: كل كلمة في القرآن استعملها أهل لغة أخرى فيكون أصلها عربيا ، وإنما غيرها غيرهم تغييرا ، كما غير العبرانيون فقالوا للإله لاهوتا ، وللناس ناسوتا ، وأنكر أن يكون في القرآن لفظ أعجمي مستدلا بقوله تعالى « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين »^(١) ، ولو كان فيه لغة العجم ما كان عربيا محضا بل عربيا وعجميا ، ولاتخذ العرب ذلك حجة وقالوا: نحن لا نعجز عن العربية ، أما العجمية فنعجز عنها ، وهذا غير مرضي عندنا ؛ إذ اشتمال جميع القرآن على كلمتين أو ثلاث أصلها عجمي وقد استعملتها العرب ووقعت فيهم لا يخرج القرآن عن كونه عربيا ، وعن إطلاق هذا الاسم عليه ولا يتمهد للعرب حجة ، فإن الشعر الفارسي يسمى فارسيا وإن كانت فيه آحاد كلمات عربية إذا كانت تلك الكلمة متداولة في لسان الفرس فلا حاجة إلى هذا التكلف^(٢).

وهنا نقل الغزالي رأي الإمام الباقلاني في عربية القرآن ، وقد نقد رأيه فبين أن وجود كلمة أعجمية أو اثنتين لا يخرج القرآن عن عربيته ، وما قاله الإمام الباقلاني ذهب إليه الإمام الشافعي في الرسالة^(٣) والإمام الطبري في مقدمة تفسيره^(٤).

وقد نقل الإمام الغزالي أيضا عن الإمام الباقلاني في كتابه كتاب "التقريب والإرشاد" في عدد آيات القرآن وعد البسمة آية من آيات القرآن في كل سورة وغيرها من المسائل الأخرى^(٥).

(١) سورة النحل ، ١٠٣

(٢) الإمام الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، (٢٠١/١) ، وقد نقل هذا القول عن كتاب التقريب والإرشاد ، (٤٠٨-٣٩٩/١).

(٣) ينظر الإمام الشافعي ، الرسالة ، ص ٤٥-٥٣.

(٤) ينظر الإمام الطبري ، مقدمة جامع البيان ، (٩/١).

(٥) ينظر الباقلاني ، الإرشاد والتقريب ، (١٠٣/١ ، ٤٠٠).

المطلب الثاني : مصادره في الحديث

اعتمد الغزالي في تفسيره للآيات كتب الحديث المختلفة ، الصحاح منها والسنن والكتب التي عنيت بدراسة الحديث وجمعه ، وإن من يطلع على كتبه ومؤلفاته يجد فيها أنه أشار إلى صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي وغيرها من كتب الحديث ، بيد أن ديدنه النقل دون العزو الصريح كأن يقول : وفي الحديث ، وروي ، يروي ، وقل أن تجده يذكر الحديث مع ذكر اسم الراوي ، والصحيح أنه ليس شرطاً أن يذكر المصدر ، فيمكن الرجوع إلى الحديث أو الاستشهاد به دون ذكر مصدره ، فيأتي من ثم دور الباحث ليذكر المصدر ، ومن ثم يستطيع الوصول إلى المصادر .

ومما نقله الإمام الغزالي من صحيح الإمام البخاري ما أورده في تفسير قوله تعالى: «إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ...»^(١) الآية ، إذ نقل حديثاً رواه البخاري وهو قوله عليه الصلاة والسلام : ((الخيمة درة مجوفة ، طولها في السماء ستون ميلاً^(٢)) قال الغزالي: (رواه البخاري في الصحيح))^(٣). وهنا أورد الإمام الغزالي الحديث النبوي ليبين وصف الجنات الوارد في الآية الكريمة، ومما رجع إليه في صحيح مسلم ما أورده في تفسير قوله تعالى : «ولمن خاف مقام ربه جنتان»^(٤).

قال الإمام الغزالي : (روى الإمام مسلم في الصحيح عن أبي بردة أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن أبي موسى عن النبي .. صلى الله عليه وسلم - قال ((لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يهودياً أو نصرانياً))^(٥))^(١).

(١) سورة الحج ، ٢٣ .

(٢) الإمام البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، رقم ٣٠٧١ ، (١١٨٥/٣)

(٣) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (١٩٠/٦) .

(٤) سورة الرحمن ، ٤٦ .

(٥) مسلم ، صحيح الإمام مسلم ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، رقم ٦٩٤٣ ، (٢١١٩/٤) .

(٦) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٢٠١/٦) ، وينظر للاستزادة الإحياء (١١٢) ، (١٩٦/٦) ، (٢٠٠٠) .

ومعنى هذا الحديث (أن لكل أحد منزلة في الجنة وفي النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره، وهذا هو فكاك المسلم لأن -الله تعالى- قدر للنار عدداً يملؤها فإذا دخلها الكفار بكفرهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين)^(١).

ومما نقله من السنن ما أورده عن الإمام الترمذي بشأن أسماء الله الحسنى ، حيث شوع في بيانها ، وقدم الحديث بين يدي الموضوع ، قال رحمه الله تعالى: (الفصل الأول في شرح أسماء الله التسعة والتسعين ، وهي التي اشتملت عليها رواية أبي هريرة إذ قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً ، إنه وتر يحب الوتر ، من أحصاها دخل الجنة ، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس ... السوارث الرشيد الصبور))^{(٢) (٣)}.

أشار هذا الحديث إلى أن أسماء الله تعالى عدتها تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها أي حفظها ليدعو الله بها وفهمها وعرف مدلولاتها وتعبد بها ودعا الله تعالى بها دعاء ثناء ودعاء طلب ومسألة، وهذا يتطلب أمرين:

- أنه حين يذكرها بلسانه يتفكر في مدلولاتها متدبراً مستحضراً بباله عند ذكر كل اسم المعنى الدال عليه.

- أن يحسن مراعاتها وأن يحافظ على حدودها في معاملة الله تعالى^(٤).

وفي هذا المثال ساق حجة الإسلام الغزالي رواية الإمام الترمذي في بداية كتابه المقصد الأسنى وجعله في مقدمة حديثه عن الأسماء والصفات ثم بدء ببيانها على الترتيب السوارث في الرواية.

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، (٧٠/١٧).

(٢) الترمذي ، جامع الترمذي، كتاب الدعوات عن النبي عليه الصلاة والسلام، باب ٨٣، رقم ٣٥٠٦، (٥٣٠/٥).

(٣) الغزالي ، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، ص ٥٩ .

(٤) د. مروان القيسي، معالم التوحيد، ص ١٨٥-١٨٦.

وإذا كان لا بد من كلمة في هذا المقام فإنه يمكن القول: إن من ينظر إلى تخريجات الحافظ العراقي^(١) في هامش الإحياء على ما نقله الغزالي من أحاديث وآثار، يتأكد لديه أن قسما منها حكم عليه بالضعف والوضع سنداً ومتناً، وقد أكد الإمام الغزالي هذا بقوله: (وبضاعتي في الحديث مزجاة)^(٢)، فمن هنا فإن الأحاديث التي يوردها الإمام الغزالي بحاجة إلى تثبت وروية في اعتمادها .

المطلب الثالث : مصادره في اللغة .

نقل الغزالي عن أهل اللغة في كثير من مصنفاته لا سيما في القضايا الفقهية والأصولية، وقد وجدته في بعض الجوانب في التفسير يستشهد بأقوال أهل اللغة من غير تعيين لهؤلاء الأعلام أو الأئمة أو شيوخ المدارس فكان يقول : قال أهل اللغة ، قال أهل العربية ، وقد اتفق أهل العربية ، قال البصريون

وقد نقل عن أئمة النحو وأساطين اللغة ، كسيبويه^(٣) والفراء^(٤) والفارسي^(٥) وغيرهم في قضايا تكاد تكون مشتركة بين أهل التفسير وأهل أصول الفقه ، ومما نقله عن سيبويه ما جاء في تفسير قوله تعالى : (فبما رحمة من الله لنت لهم)^(٦) الآية ، قال الإمام الغزالي: (يعني برحمة ، وقد يتغير المعنى دون الإعراب ، كقوله : هل زيد منطلق ؟ وقد يتغير الإعراب دون

(١) هو : عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي ، أبو الفضل ، من مؤلفاته : ذيل على ذيل العبر للذهبي ، النكت على منهاج البيضاوي ، المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار وغيرها ، توفي سنة ٨٠٦ هـ ، تنظر ترجمته مع كتاب الإحياء في المقدمة ، ص ٢ .

(٢) الغزالي ، قانون التأويل ، ص ٢٨ .

(٣) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، إمام البصريين في النحو ، صاحب الكتاب وهو من أرقى كتب النحو ، توفي سنة ١٨٠ هـ ، ينظر ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ص ٢١٢٢ .

(٤) يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي ، كان بارعا في النحو واللغة والأدب ، من مؤلفاته ، الحدود ، المعاني ، المغاخر ، وغيرها ، توفي سنة ٢٠٧ هـ . ينظر الفقطنى ، إنباء الرواة على أنباء النحاة ، (٥/٤) .

(٥) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الغفار ، أحد أئمة العربية ، من كتبه : التذكرة ، الإيضاح ، توفي سنة

المعنى كقوله : إن زيدا لمنطلق ، وقال سيبويه : إن للتحقيق ، ولا زيادة فسي لغة العرب ، وقوله : « فبما رحمة من الله » يشعر بالتنبيه والحث كقوله صه و مه (١).

وبالرجوع إلى ما قاله سيبويه في الكتاب نلاحظ أنه يرى زيادة (ما) في قوله سبحانه (فبما رحمة من الله لنت لهم) وهذا نص كلامه: (تقول: لا من يعطك تأته، من قبل أن (لا) لغو - أي زيادة- و (لا) هنا بمنزلة (ما) في قوله عز وجل: (فبما رحمة الله لنت لهم) فلا قبل اسم الشرط (من) في (لا من يأتك تعطه) كشيء ليس قبله (من)، لأن (لا) تدخل على المجرور فلا تغيره وكذلك على المنصوب والمرفوع، تقول: مررت برجل لا قائم ولا قاعد.

جاء رجل لا قائم ولا قاعد.

رأيت رجلاً لا قائماً ولا قاعداً.

فلا تغير (لا) الاسم عن حاله التي كان عليها قبل أن تنفيه، فصار ما بعد (لا) معها

بمنزلة حرف واحد ليس فيه (لا) (٢).

فالزيادة هنا عند سيبويه من الناحية الإعرابية لا من ناحية المعنى (٣).

وقد أشار الإمام الغزالي بقوله: (يعني برحمة) إلى عدم تأثير ما من ناحية الإعراب ولكنه يرى أن لها معنى وهو ما أشار إليه بقوله: يشعر بالتنبيه والحث، فهي وإن كانت زائدة نحويًا إلا أن لها معنى هو التنبيه على أن لينه تعالى لهم ما كان إلا برحمة منه سبحانه، والقول بالزيادة حشو ينبغي أن نجل الكتاب الكريم عنه، فكل كلمة في القرآن وردت في موضعها المناسب لها، وقد وجه بعض العلماء كلمة (ما) في الآية السابقة راداً على من قال بزيادتها، قال

(١) الغزالي ، المنحول من علم الأصول ، ص ٨٨-، وينظر كتاب سيبويه ، الكتاب (٣/١٤٣).

(٢) سيبويه، الكتاب، (٣/٧٦).

(٣) هذا رأي عند بعض النحاة والمفسرين، وبعضهم يرى أنها لا تزيد المعنى شيئاً فالمعنى سواء إن وجدت أم حذفت وإنما جيء بها بغرض لفظي يتعلق بجرس الكلام وجمال إيقاعه وحلاوة نغماته، أ. د فضل عباس، لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، ص ٥٨.

الإمام الألويسي: (قال الأخفش^(١) وغيره يجوز أن تكون (ما) نكرة بمعنى (شيء) ورحمة بسدل منها، وجوز أن تكون صفة لها، وقيل: إنها استفهامية للتعجب والتقدير فبأي رحمة من الله لنت لهم)^(٢).

ونقل عن سيبويه أيضاً في تحديد معنى حرف الجر إلى، قال الإمام الغزالي: (إلى: إذا اتصل بها (من) كان صريحاً في التحديد^(٣)، ومطلقة (دون اتصال من بها) قيل: للجمع^(٤): وقيل: للتحديد، وقال سيبويه: ظاهره للتحديد، ويحتمل الجمع، كقوله تعالى: (إلى المرافق)^(٥)، ومن "أنصاري إلى الله"^(٦) (٧).

في هذا المثال ينقل الإمام الغزالي عن سيبويه معنى إلى غير المتصلة بمن يعني حرف الجر (من) الدال على ابتداء الغاية فإذا ورد في الجملة (من) و(إلى) كانت إلى مفيدة للتحديد أي تحديد الغاية وانتهائها كقولك، ذهبت من البيت إلى الجامعة، فهذا تحديد للذهاب وبيان لنهايتها، وإذا لم يرد في الجملة التي فيها حرف الجر (إلى)، (من) فالإي إما أن تدل على نهاية الغاية أو تكون بمعنى مع وهذا ما يشير إليه بقوله: للجمع، فما ظاهره التحديد قوله سبحانه: (إلى المرافق)، فإلى هنا تفيد تحديد غسل اليد إلى المرفق، قال الإمام الزركشي: (وقيل: (إلى) تدل على وجوب الغسل إلى المرفق ولا ينبغي وجوب غسل المرفق، لأن الحد لا يدخل في المحدود ولا ينفيه التحديد كقولك، سرت إلى الكوفة، فلا يقتضي دخولها ولا ينفيه، كذلك المرافق، إلا أن غسله ثبت بالسنة، ومنشأ الخلاف في آية الوضوء أن إلى حرف مشترك يكون للغاية والمعبر، واليد تطلق في كلام العرب على ثلاثة معان: على الكفين فقط، وعلى الكف والذراع والعضد،

(١) هو: أبو الحسن بن سعده المجاشعي، نحوي وعالم باللغة والأدب، وأخذ العربية عن سيبويه من مؤلفاته معاني القرآن، والاشتقاق، والعروض، ت ٢١٥هـ، الفقهي، أنباء الرواة على أنباء النحاة، (٢/٣٦-٤).

(٢) الإمام الألويسي، روح المعاني، (٤/١٠٥).

(٣) تحديد الغاية وانتهائها.

(٤) أي بمعنى مع.

(٥) سورة المائدة، ٦.

(٦) سورة الصف، ١٤.

(٧) الإمام الغزالي، المنحول من علم أصول الفقه، ص ٩٢. ولم أجد هذا القول في كتاب سيبويه.

فمن جعل (إلى) بمعنى (مع) وفهم من اليد مجموع الثلاثة أوجب دخوله في الغسل، ومن فهم من (إلى) الغاية، ومن اليد ما دون الفوق لم يدخلها في الغسل^(١).

(ومما يدل على الجمع قوله سبحانه: (من أنصاري إلى الله)، وإنما تجعل إلى بمعنى (مع) إذا ضمنت شيئاً إلى شيء كقول العرب: الذود (الإبل القليلة) إلى الذود إبل (مجموعة كبيرة من الإبل) فإن لم يكن ضمّ لم تكن (إلى) بمعنى (مع) فلا يقال في (مع فلان مال كثير) إلى فلان مال كثير، وتناول بعضهم ما ورد من ذلك على تضمين العامل وإبقاء إلى على أصلها، والمعنى في قوله تعالى: (من أنصاري إلى الله: من يضيف نصرته إلى نصره الله، وإلى في هذا الموضع أبلغ^(٢) من (مع) لأنك لو قلت من ينصرتي مع فلان لم يدل على أن فلاناً وحده ينصرك ولا بد، بخلاف إلى فإن نصره ما دخلت عليه محققة واقعة مجزوم بها، إذ المعنى على التضمين^(٣): من يضيف نصرته إلى نصره الله^(٤)) ومما نقله الإمام الغزالي عن الفراء ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى^(٥)﴾ قال رحمه الله: (قال الفراء: بلى لاستدراك النفي، ولو قال نعم لكان معناه نفي الإلهية)^(٦).

وفي هذا المثال ينقل حجة الإسلام رأي الفراء في بيان معنى بلى الواردة في الآية الكريمة للدلالة على أن نفي النفي إثبات، وأن جواب الاستفهام باليس لا يكون إلا ببلى، فيصير المعنى إثبات الشهادة على أنفسهم، ولو كان الجواب بنعم لانقلب المعنى إذ يصير نعم لست بربنا تعالى - الله جل وعلا - وهذا ما عناه بنفي الإلهية عند الإجابة بنعم.

(١) الإمام الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٤/٢٠٦).

(٢) يعني لا تناوب في حروف الجر، وهذا هو الصواب والله أعلم.

(٣) هو حصول معنى في الكلام من غير ذكر له باسم أو صفة، هي عبارة عنه، وهو على وجهين: أحدهما ما كان يدل عليه الكلام دلالة الإخبار، والآخر: ما يدل عليه دلالة القياس، الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص ١٠٢.

(٤) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٣٨٦.

(٥) سورة الأعراف، ١٧٢.

(٦) الغزالي، المنحول من علم أصول الفقه، ص ٩٤، ولم أجد هذا الرأي للفراء في معاني القرآن ولعله نقل عنه من كتاب آخر.

ومما نقله عن الإمام الشافعي وهو حجة في اللغة مسألة أقل الجمع، قال رحمه الله تعالى: (قال الشافعي أقل الجمع: ثلاثة، واختار القاضي - الباقلاني - أن أقل الجمع اثنان، وقد ورد به القرآن، قال الله تعالى في قصة موسى وهارون: ﴿إنا معكم مستمعون﴾^(١) وقال تعالى: ﴿عسى الله أن يأتيني لهم جميعاً﴾^(٢)، وهما يوسف وإخوه وقال تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾^(٣) ولها قلبان، وقال تعالى: ودواود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إلى قوله: ﴿وكننا لحكمهم شاهدين﴾^(٤) وهما اثنان، وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾^(٥) وهما طائفتان.

وقال تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾^(٦) وهما ملكان فإن قيل: عن كل واحد من هذا جواب:

فقوله ﴿إنا معكم مستمعون﴾ يعني هارون وموسى وفرعون وقومه وهم جماعة، وقوله: (قلوبكما) لضرورة استئصال الجمع بين تثنيتين مع أن القلوب على وزن الواحد في بعض الألفاظ، وقوله ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ أراد به يوسف وأخاه والأخ الأكبر الذي تخلف عن الإخوة، وقوله تعالى: ﴿وكننا لحكم شاهدين﴾ أي حكمهما مع الجمع المحكوم عليهم وقوله ﴿وإن طائفتان﴾ كل طائفة جمع.

قلنا: هذه تعسفات وتكلفات إنما يحوج إليها ضرورة نقل عن أهل اللغة في استحالة، إطلاق اسم الجمع على الاثنتين، وإذا لم يكن نقل صريح فيحمل كلامهم على الحقيقة، وعلى الجملة من يرد لفظ الجمع إلى الاثنتين ربما يفتقر إلى دليل أظهر ممن يرده إلى الثلاثة^(٧).

(١) الشعراء، ١٥.

(٢) يوسف، ٨٣.

(٣) التحريم، ٤.

(٤) الأنبياء، ٧٨.

(٥) سورة الحجرات، ٩.

(٦) سورة ص، ٢١.

(٧) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (١٥٠/٢)، ينظر رأي الإمام الشافعي في أقل الجمع، الام، (٨٠/٢)، وقد بين بعض العلماء أن هذا بحث لغوي مأخذه اللسان العربي، الشربيني، مغني المحتاج، (٣٤٥/١).

وهنا يميل الإمام الغزالي إلى ما نقله عن الإمام الشافعي في أن أقل الجمع ثلاثة مشيراً إلى أن هذا ما اعتادته العرب ولا يمكن تعدي عرفهم.

ومما نقله الإمام الغزالي عن أبي علي الفارسي ما ذكره في معرض تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنْ مِثْلَ عَيْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ أَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١)، قال الإمام الغزالي: (المولود إنما يتكون مسبباً من سببين أحدهما في الانثيين (الذكر والأنثى) وهو أحد نوعي القوة المولدة وهي القوة التي يصير الدم فيها بحال يكون بها مستعداً لقبول قوة الحياة من واهب الصور، والثاني القوة الموجودة في المنى إذا انتقل إلى الرحم وانضمت إليه سائر الشرائط بأن يكون ماء دافقاً صحيحاً قوياً لا فساد فيه ولا ضعف ويكون الرحم صحيحاً لا علة به ولم يحصل للمرأة عقيب الجماع حركة مزعجة عنيفة يحصل بها زلق المنى من الرحم فحينئذ يستعد لقبول القوة المصورة من واهب الصور^(٢) فإذا صار عنها تشكيلات الأعضاء كان ذلك كونا للصورة العضوية^(٣) وفسادا للصورة المنوية^(٤) فيستعد حينئذ لقبوله الروح من واهبها.

هذا هو السبب العادي في تكوين كل مولود، وإذا ثبت ذلك نقول: إن كل شيء له سبب قريب وسبب بعيد فالأكثر إضافته إلى سببه القريب فيقال عند رؤية الرياض الخضر: انظر إلى صنع المطر والله هو الصانع الحقيقي، ولو روي نبات نضر على صلد (حجر الصوان) والشمس في الأسد (أي في برج الأسد) لقليل: انظر إلى صنع الإله فيصرح بالسبب الحقيقي لفوات السبب العادي.

(١) سورة ال عمران، ٥٩.

(٢) يريد تكون أعضاء الجسد.

(٣) يعني التشكيل إلى صورة أخرى.

(٤) يعني قبل التشكيل إلى صورة أخرى.

وإذا وضح هذا الأصلان (السبب القريب والسبب البعيد) ^(١) فنقول: السبب القريب فسي حق عيسى - عليه السلام - لما دل الدليل على عدم وقوعه أضيف تكوينه إلى السبب البعيد وهو الكلمة (أي كن) لأن كل أحد مخلوق بكلمة الله القائل بها لكل مخلوق: كن فإذا هو كائن، فلهذا السبب صرح في حقه بذلك إشارة إلى انتفاء السبب القريب العادي وأنه إنما كون بالكلمة التي (كن) من غير مني يمكن إضافته للتكوين إليه على ما شرح ثم أوضح ذلك بقوله: «ألقاها إلى مريم» يريد أن الولد إنما يتكون من إلقاء المنى إلى أمه وهذا المولود لم يخلق إلا بإلقاء الكلمة إلى أمه التي هي عبارة عن الأمر بالتكوين فإذا الإلقاء مجازي، وقد ورد مثل ذلك في حق آدم لما اشتركا في عدم التكوين عن الأسباب العادية حيث قال جل من قائل: «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» ^(٢)، والله عز وجل لا يد له ^(٣)، وإنما المراد:

خلقته بقدرتي إشارة إلى أنه لم يكون من مني وإنما كون بقدرته، يشير بذلك إلى فوات السبب العادي، وإذا فات السبب العادي أضيف إلى السبب البعيد المشبه بالحقيقي وهو كلمة الله - عز وجل -.

وقد أوتي بالمماثلة صريحاً فقال: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» ^(٤).

(١) مراد الإمام الغزالي أن الأشياء يتوقف تعليلها على سببين أحدهما ظاهر وهو السبب القريب، والذي له تفسير واقعي أو محسوس، وقد ضرب له مثلاً وهو خلق الإنسان من نطفه، فقوة الاندفاع في النطفة وانزلاقها إلى الرحم واستقبال الرحم الطبيعي لها انتقال من صورة منوية إلى صورة عضوية بشرية وهذه الصورة الناشئة مسببة عن ما تم بيانه، وهذا ما يعبر عنه بالسبب الحقيقي البعيد فهو أمر الله تعالى لهذه الصورة البشرية العضوية المتكونة بالتكوين، ولكن العادة عند البشر الإحالة على السبب القريب المشاهد والمحسوس، فعلى هذا خلق الإنسان فيه سببان: السبب القريب العادي والسبب الحقيقي ثم بين الإمام الغزالي بعد ذلك أن خلق عيسى عليه السلام إنما هو بسبب حقيقي وهو إلقاء الكلمة (كن) إلى مريم عليها السلام فالإلقاء هنا على وجه المجاز، ولم يكن هناك سبب قريب لوجوده.

(٢) سورة ص، ٧٥.

(٣) الإمام الغزالي هنا يؤول اليد بمعنى القدرة، وقوله (لا يدلله - سبحانه) - فيه نفي للجارحة عنه - سبحانه -، والصواب أننا نسلم أن الله تعالى يبدأ تليق به على ما أثبتته لنفسه.

(٤) سورة آل عمران، ٥٩.

قيل: تمام الحجة: (بيان أن عيسى عليه السلام جاء من سبب بعيد)، فرع لكون الكلمة سبباً (أي أن عيسى - عليه السلام - مسبب للكلمة التي هي المسبب) وسببها (كونها سبباً) فرع لدرها لقاعدة الشرط وما يترتب عليه من الجواب وذلك ممتنع لما يلزم من عدم المغايرة بين المسبب وسببه^(١).

قال الفارسي: أو يجوز أن يكون مثل ذلك جواباً (أي سببية الكلمة) (كن) فرع اردها لقاعدة الشرط وما يترتب عليه من الجواب) لكان قوله تعالى: (كن فيكون) (أي على رفع يكون) منزلاً منزلة قول القائل: (اذهب فتذهب) وممتنع ذلك إذ يصير تقدير الكلام بالرد إلى قاعدة الشرط (إن تكن تكن) و (إن تذهب تذهب) فيكون حينئذ السبب عين المسبب ولذلك أجمع القراء على الرفع^(٢) (أي فيكون) فيما وقع الاحتجاج به من الآية السالفة.

ولم يتابع الكسائي^(٣) ابن عامر^(٤) إلا فيما أمكن أن يكون انتصابه لا من جهة الجواب بل من جهة العطف وذلك المتابعة محصورة في آيتين: الأولى: قوله جل من قائل: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون^(٥)، والثانية: قوله تعالى: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول

(١) يعني أن الأمر في الكلمة (كن) يحتاج إلى جواب الأمر وفي هذا رد إلى أصل القضية وهي القاعدة الشرطية فعل الشرط وجوابه وكون الكلمة سبباً للمسبب الناشئ عم كونها سبباً له لازم منه عدم التمييز بين المسبب وسببه.

ويرد الفارسي هذا الاحتجاج بأن قراءة الرفع التي أجمع عليها القراء (فيكون) لا تردنا إلى قاعدة الشرط على غرار (إن تذهب تذهب) فالمسبب هنا هو عين السبب لم يتميز عنه فليست من قبيل (إن تكن تكن) للسبب الذي ذكر، فإلقاء على قراءة الرفع عاطفة على معنى الأمر أي إرادة الأمر، أي كان المعنى عندما يريد الله خلق شيء فيكون ذلك المخلوق شيئاً وهذا فيه إحالة على المعنى كما سيأتي بيانه قريباً.

وأما على قراءة النصب (فيكون) إلقاء هنا سببية وذلك بالنظر إلى صيغة الأمر وهذا فيه إحالة على اللفظ، ففي قراءة الرفع بيان السبب الدعيد الذي تم بيانه سابقاً، وقراءة النصب بيان للسبب القريب الذي جرى ذكره.

(٢) هذه قراءة عند القراء باستثناء ابن عامر فقد قرأ بالنصب، ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ١٦٩.

(٣) هو: علي بن حمزة النخعي، الذي قرأ القرآن على حمزة الزيات، انتهت إليه الإمامة في القراءة والعربية في النخعي، توفي سنة سبع وثمانين ومائة، الذهبي، معرفة القراء الكبار على الدقائق والأعصار، (١٢٠/٢).

(٤) هو عبد الله بن عامر البجلي، اسم أهل الشام في القراءة، توفي سنة ثمانين عشرة ومائة، الذهبي، معرفة القراء الكبار، (٨٢/١).

(٥) سورة يس، ٨٢.

نقول له كن فيكون»^(١)، وإذا كان الجواب ممتعا فيما قرئ منصوبا سقط الاحتجاج بالآية وامتنع كون الكلمة سببا.

فأقول^(٢) والله موفق: - (إن هذه المباحثة غريبة، وأهل العربية يجرون الأجوبة^(٣) تارة على الألفاظ باعتبار معانيها (الحمل على المعنى) وتارة على صورة الألفاظ المجردة عن معانيها (الحمل على اللفظ)، مثال ذلك قوله تعالى: (أولم يسيروا في الأرض فينظروا)^(٤)، وقع الجواب مرتبا على صورة لفظ الاستفهام مجردا عن معناه، (الجواب المنصوب بالنظر إلى صيغة الاستفهام) ومعنى الكلام (أي بالنظر إلى معنى الكلام لا إلى الصيغة الاستفهامية) أنهم ساروا فنظروا وذلك خبر محض ليس من الاستفهام في شيء^(٥).

وإنما تعلق مورد هذا الإشكال بصناعة عربية وقد أمكن رد ذلك إلى قواعدهما فحينئذ يسقط الإشكال يقينا، ويسقط خيال من ظن أن قراءة ابن عامر فيما تتمحض الفاء فيه جوابا عسرة الرد إلى الأصول العربية وقواعدها كقوله - عز وجل: (إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)^(٦)، ونظائر ذلك مما انفرد بقراءته منصوبا، فليتأمل الناظر حسن هذا الإعراب^(٧).

(١) سورة النحل، ٤٠.

(٢) هذا قول الإمام الغزالي.

(٣) سواء أكانت أجوبة الاستفهام أو أجوبة الشرط أو غيرها.

(٤) سورة الروم، ٩.

(٥) معنى هذا الكلام، أن نصب (فينظروا) بالنظر إلى صيغة الاستفهام المجرد عن المعنى وهذا الذي أشار إليه بالحمل على اللفظ، فالفاء هنا سببية والمضارع منصوب بأن المضمره وبالنظر إلى المعنى الناشئ عن صيغة الاستفهام لا نصب، أي (فينظرون) فيصبح المعنى على العطف إخبارا كأنه منتف عن الاستفهام وعلى كلا الأمرين لا نرد المسألة إلى قاعدة الشرط، فعلى هذا فإن قراءة الرفع (فيكون) والنصب (فيكون) لا يتوجه عليها إشكال البته.

(٦) سورة مريم، ٣٥.

(٧) الإمام الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، ص ٥٨-٦٣، وينظر رأي الفارسي في الحجة في القراءات السبعة، (٢٠٣/٢-٢٠٩).

المطلب الرابع : مصادره في العقيدة والتصوف :

أخذ الغزالي عن علماء الأشعرية ونقل آراءهم واعتمدها ، كآراء الباقلاني، وكان أحياناً في نقله يقول: وقال أصحابنا ، يعني بذلك الأشاعرة، ونقل أيضاً عن عموم الفرق الإسلامية الأخرى كالمعتزلة والمرجئة، كما أنه اطلع على آراء أهل التصوف والحقيقة، كالجنيد^(١) والداراني^(٢) والبسطامي^(٣)، الحارث المحاسبي^(٤)، أبي طالب المكي^(٥).

وممن نقل عنهم حجة الإسلام من الأشاعرة أبو الحسن الأشعري^(٦)، ففي معرض الحديث عن شرح أسماء الله وصفاته ، نقل رأياً لأبي الحسن الأشعري في بيان هل الصفات والأسماء المطلقة على الله تعالى تقف على التوقيف أو تجوز بطريق العقل ؟ قال الغزالي: (والذي ذهب إليه الشيخ أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - أن ذلك موقوف على التوقيف ، فلا يجوز أن يطلق في حق الله تعالى موصوف بمعناه إلا إذا أذن فيه).^(٧)

-
- (١) هو أبو القاسم ابن محمد كان فقيهاً على مذهب أبي ثور وكان يفتي وهو ابن عشرين سنة صحب الحارث المحاسبي وهو من سادات الصوفية ، توفي سنة ٢٩٧هـ، ينظر القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٤٣٠.
- (٢) هو أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية، توفي سنة ٢١٥هـ، تنظر ترجمته عند القشيري، الرسالة القشيرية ص ٤١١.
- (٣) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى، كان عالماً صوفياً زاهداً برع في التصوف، توفي سنة ٢٦١هـ، ينظر ابن الملقن، طبقات الأولياء ص ٣٩٨.
- (٤) هو الحارث بن أسد أبو عبد الله، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والإشارات له التصانيف المشهورة منها كتاب الرعاية لحقوق الله تعالى وغيره وهو أستاذ أكثر البغداديين، توفي سنة ٢٤٣هـ، الأزدي، طبقات الصوفية، ص ٥٨.
- (٥) هو محمد بن علي بن عطية الحارثي، كان رجلاً صالحاً ومجتهداً في العبادة من مؤلفاته، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، الأزدي، طبقات الصوفية، ص ٩٢.
- (٦) هو علي بن إسماعيل بن إسحق البصري، إمام المتكلمين على المذهب الشافعي، صنف في الرد على الملحدة وغيرهم، مقالات الإسلاميين، الإبانة عن أصول الديانة، توفي سنة ٣٢٤هـ، ابن فاضي شهبه، طبقات الشافعية، (١١٢/٢-١١٥).
- (٧) الغزالي ، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، ص ، ١٥٤.

فألذي نقله حجة الإسلام عن الإمام أبي الحسن الأشعري أن الصفات توقيفية فلا يجوز أن يوصف الله - سبحانه - وتعالى - إلا بما ورد في شأنه توقيف، وهذا هو مذهب الجمهور*.

وفي معرض حديثه عن الإيمان عرض لبعض شبه المعتزلة والمرجئة، إذ قال: (فإن قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة؟ وما حجة بطلان قولهم؟ فأقول شبهتهم عمومات القرآن، فأما المرجئة فقالوا: لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا﴾^(١)، ولقوله عز وجل: ﴿والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون﴾^(٢)، ولقوله تعالى: ﴿كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها﴾^(٣)، إلى قوله تعالى: ﴿فكذبنا وقتلنا ما نزل الله من شيء﴾^(٤)، فقوله: ﴿كلما ألقى فيها فوج﴾ عام، فينبغي أن يكون كل من ألقى في النار مكذبا، لقوله تعالى: ﴿لا يصلاحها إلا الأشقي﴾^(٥)، وهذا حصر وإثبات ونفي، ولقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾^(٦)، ﴿والله يحب المحسنين﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾^(٨)، ولا حجة لهم في ذلك؛ فإنه حيث ذكر الإيمان قد يطلق ويراد به الإسلام وهو الموافقة بالقول والعمل، ودليل هذا أخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب، وأما المعتزلة، فشبهتهم قوله تعالى: ﴿وإنسي لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾^(٩)، وقوله تعالى: ﴿والعصر...﴾^(١٠)، وقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾^(١١)، ثم قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾^(١٢)، وقوله تعالى: ﴿ومن

* الرازي، مفاتيح الغيب، (٧، ٨٣).

- (١) سورة الجن ١٣.
- (٢) سورة الحديد ١٩.
- (٣) سورة الملك ٨.
- (٤) سورة الملك ٩.
- (٥) سورة الليل ١٥.
- (٦) سورة النمل ٨٩.
- (٧) سورة آل عمران ١٧٤.
- (٨) سورة الكهف ٣٠.
- (٩) سورة طه ٨٢.
- (١٠) سورة العصر ١-٣.
- (١١) سورة مريم ٧١.
- (١٢) سورة مريم ٧٢.

يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم»^(١)، وكل آية ذكر الله - عز وجل - العمل الصالح فيها مقرونا بالإيمان ، وقوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها »^(٢) وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »^(٣) ، فينبغي أن تبقى له مشيئته في مغفرة ما سوى الشرك ، وقوله تعالى : « إنا لا نضيع أجر المصلحين »^(٤) ، فكيف يضيع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة ؟ وقوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا ... »^(٥) ، وقد ورد على مثل هذا السبب.^(٦) في هذا المثال يبين الإمام الغزالي حجة المعتزلة إذ يرون أن مرتكب الكبيرة إن مات دون توبه فهو في منزلة بين المنزلتين^(٧) ، والمرجئة (الذين يقولون انه مؤمن لان الأعمال ليست داخله في الإيمان)^(٨) ، ويقرر عقيدة أهل السنة والجماعة الذين يرون أن (مرتكب الكبيرة إن مات من غير توبه فأمره متروك لله - تعالى - إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه)^(٩) .

ومن علماء المعتزلة الذين نقل عنهم الغزالي ابن الجبائي، غير أنه لم يشر إلى المصدر الذي نقل عنه، ولعله من تفسيره^(١٠) الذي لم يكتب له أن يبقى في حيز الوجود، قال الغزالي: يلزم أن يكون قوله تعالى: (ادخلوها بسلام آمنين)^(١١)، وقوله «كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية»^(١٢)، أمرا لأهل الجنة، ولا يمكن التحقيق للأمر إلا بوعد ووعد، فتكون الدار الآخرة دار تكليف ومحنة وهو خلاف الإجماع، وقد ركب ابن الجبائي هذا وقال: إن الله يريد

(١) سورة الجن ٢٣.

(٢) سورة النساء ٩٣.

(٣) سورة النساء ٤٨.

(٤) سورة الأعراف ١٧٠.

(٥) سورة النساء ٩٣.

(٦) الغزالي قواعد العقائد ١١٢-١١٥ .

(٧) الأيجي، المواقف، (٣/٤٩٠).

(٨) ابن حزم، الفصل بين الملل والاهواء والنحل، (٢/٨٩).

(٩) أبو الحسن الأشعري، الابانة عن اصول الديانة، ص ٢٧.

(١٠) ذكر السيوطي في طبقات المفسرين أنه طلع على جزء منه، بنظر ص ٣٣.

(١١) سورة الحجر، ٤٦.

(١٢) سورة الحاقة، ٢٤.

دخولهم الجنة، وكره امتناعهم، إذ يتعذر به إيصال الثواب إليهم، وهذا ظلم والله سبحانه يكره الظلم^(١).

في هذا المثال ينقل الإمام الغزالي عن الجبائي تفسيره للآية بناء على قاعدة التحسين والتقييح العقلي، فالمعتزلة جعلوا العقل في مقام الشرع، إذ قالوا: (إن العقل مستقل بالتشريع وبناء على هذا فإن العقل يحكم بحسن دخوله الجنة وحسن الأكل منها، وينهى من باب التقييح العقلي عن عدم الدخول وعدم الأكل، وبما أن العقل مستقل بالتشريع أصلاً فقد جعلوا ورود الشريعة إنما هو على مقتضى العقل، بإرادة العقل مرتبطة بإرادة الله تعالى ولذلك يرضى الله تعالى دخول الجنة لعباده والاكل منها، و يكره عدم دخولهم الجنة (الامتناع) من باب انه مخالف لفطرة العقل السليم)^(٢).

وقد نقل عن الجهمية^(٣) .

كما وأنه نقل عن الفلاسفة في معرض الرد عليهم وتقنيد آرائهم ، ومن الأمثلة على ذلك:

- ما نقله عن الفلاسفة في إنكار وقوع إبراهيم -عليه السلام- في النار ، قال رحمة الله تعالى: ومن هذا المعنى أنكروا وقوع إبراهيم - صلوات الله عليه وسلامه - في النار مع عدم الاحتراق وبقاء النار نارا ، وذلك يخرجها عن كونها نارا ، وبقلب ذات إبراهيم -عليه السلام- ورده حجرا أو شيئا لا تؤثر فيه النار ، ولا هذا ممكن ولا ذلك ممكن^(٤). وقد أطلال في الرد عليهم .

- وقد نقل أيضا عن الباطنية الذين حاولوا الإغراق في الباطن ، وتفسير القرآن تفسيراً رمزياً بعيداً عن الظواهر المرادة .

(١) الغزالي، المستصفى، (٦٤/٢).

(٢) ابو الحسن البصري، المعتمد في أصول الفقه، (١٦٤/١-١٦٥)، (٣٤٢/١).

(٣) ينظر الغزالي ، المنحول ، ص ١٣٨.

(٤) الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، ص ١٩٢ ، ص ١١٧ .

ففي كتاب فضائح الباطنية يرتب الغزالي عنوانا يبين فيه فساد تأويلاتهم للظواهر الجلية واستدلالاتهم بالأمور العددية ، قال الغزالي : (ونحن نحكي من تأويلاتهم نبذة لنستدل بها على مخازيهم ، فقد قالوا : كل ما ورد في التكاليف والحشر والنظر والأمور الإلهية فكلها أمثلة ورموز إلى بواطن .. ، فأما المعاد فزعم بعضهم : إن النار والأغلال عبارة عن الأوامر التي هي التكاليف ، فإنها موضوعه على الجهال بعلم الباطن ، فما داموا مستمرين عليها فهم معذبون ، فإذا قالوا علم الباطن وضعت عنهم أغلال التكاليف ، وسعدوا بالخلاص منها ، وأخذوا يؤولون كل لفظ ورد في القرآن والسنة فقالوا : «وانهار من لبن»^(١) الآية ، أي معادن الدين : العلم الباطن يرتضع بها أهلها ويتغذى بها تغذيا تدوم به حياته اللطيفه ، فإن غذاء الروح اللطيفة بارتضاع العلم من المعلم ، كما إن حياة الجسم الكثيف بارتضاع اللبن من ثدي الأم « وانهار من خمر»^(٢) هو العلم الظاهر ، «وانهار من عسل مصفى»^(٣) : هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة ...)^(٤) . وممن أخذ عنهم من أهل التصوف وصرح بالنقل عنهم . الجنيد والداراني ، وسهل التستري^(٥) . ومما نقله عن الجنيد ما جاء في تفسير قوله تعالى : « ليسأل الصادقين عن صدقهم»^(٦) الآية ، قال الغزالي : (قال الجنيد : يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم ، وهذا أمر على خطر)^(٧) .

(١) سورة محمد ، ١٥ .

(٢) سورة محمد ١٥ .

(٣) سورة محمد ١٥ .

(٤) الغزالي ، فضائح الباطنية ، ص ٣٥-٣٦ ، وينظر رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء ، (٣/٣٠١ ، ٣٣٣ ، ٣٨٥) ، وينظر طرف من انحرافات الفلاسفة و الباطنية في التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي (٢/٤٢٠-٤٣١) ، حيث نقل عن رسائل ابن سينا وفصوص الحكم ضمن المجموع من مؤلفات أبي نصر الفارابي .

(٥) هو أبو محمد سهل ابن عبد الله أحد أئمة الصوفية ، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع ، وكان صاحب كرامات ولقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج ، توفي سنة ٢٨٣هـ ، ينظر ابن الملقن ، ص ٢٣٢ .

(٦) سورة الأحزاب ، ٨ .

(٧) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٥/٢٩٧) .

ومما نقله عن سهل التستري ما جاء في بيان قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾^(١)، قال حجة الإسلام: (وقال سهل -رحمه الله تعالى- : علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي -صلى الله عليه وسلم- وعلامة حب النبي -صلى الله عليه وسلم- حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغضب الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زاداً أو بلغة إلى الآخرة)^(٢)

(١) سورة آل عمران، ٣٦.

(٢) الإمام الغزالي، الإحياء في علوم الدين، (٥/٢٢٧).

وكثيرا ما كنت أراه يعمم في النقل في هذا المجال أيضا ، كان يقول : وقيل ، وقال العارفون ، إلى غير ذلك من صيغ التعميم في النقل ، مما يجعل الأمر ليس من السهولة بمكان أن يوثق فيه النقل ويكشف عن مدى دقته في هذا المجال ، إلا أن نعد الغزالي موضع ثقة وأمانة في النقل ، وأحسبه كذلك إن شاء الله تعالى .

المطلب الخامس: مصادره في الفقه والأصول :

إن من يطلع على كتب الإمام الغزالي الفقهية يلحظ أنها ثرة وغنية بالمصادر الفقهية والأصولية المتنوعة ، ويصعب في هذا المقام أن نأتي على مصادر الغزالي في الفقه والأصول على وجه الحصر، ولكن يمكن الإشارة ههنا إلى بعضها سواء أكانت كتباً أم آراءً للعلماء ، سواء من مشايخه أم من الفقهاء الآخرين .

فمن الكتب الفقهية التي نقل عنها في تفسير آيات الأحكام : أحكام القرآن ، والأم والرسالة للإمام الشافعي ، ولكنه كالعادة لا يحيل إلى المصدر مباشرة ، ولكن يذكر رأي الإمام .

فمن كتب الشافعي التي ذكرها صراحة كتاب "أحكام القرآن" ، قال الغزالي الإمام : (وقد صرح الشافعي في كتاب "أحكام القرآن" بتردد الأمر بين الندب والوجوب، وقال النهي على التحريم وقال : إنما أوجبنا تزويج الأيم لقوله تعالى : ﴿فلا تعضلوهن﴾^(١)، وقال: لم يتبين لي وجوب إنكاح العبد ، لأنه لم يرد فيه النهي عن العضل بل لم يرد إلا قوله تعالى : ﴿وانكحوا الأيامي﴾^(٢) الآية ، فهذا أمر، وهو محتمل للوجوب والندب)^(٣).

(١) سورة البقرة ، ٢٣٢ .

(٢) سورة النور ، ٣٢ .

(٣) الإمام الغزالي، المستنصفى من علم أصول الفقه ، (٧٢/٢) ، وينظر الإمام الشافعي، أحكام القرآن جمع الإمام البيهقي، (١٧٦/١).

المسألة فيها صورتان: زواج الأيم* إذا تراضت أي وجدت منها نية الزواج ونهي الولي الذي يريد أن يكون حائلاً ضد تحقيق رغبة الأيم، فهنا النهي في قوله تعالى: (فلا تعضلوهن) تسلط على فعل الولي دون فعل المرأة، وهذا النهي يقتضي تحريم وامتناع الأعضاء - المنع - وتبقى إرادة المرأة للزواج على الأصل، وكون المرأة لا تتكح إلا بولي وشاهدي عدل فمن هذا الباب رجع الوجوب على الولي بتولي شؤون المرأة في الزواج.

والثانية: نكاح العبد، فالأصل في نكاح العبيد الإماء أنه لا يجوز للحر أن يتزوج الأمة إلا خشية العنت وعدم وجود الحرية وعدم وجود طول النكاح (المهر ومستلزمات النكاح)، والآية (وأنكحوا الأيامي)، تتحدث عن زواج العبيد، فلا قرينة تدل على الوجوب، لذا فالأمر محتمل الوجوب والندب.

فهنا بين حجة الإسلام عن الإمام الشافعي أن الأمر متردد بين الوجوب والندب وأنه لا بد من قرينة لتحديد الوجوب أو الندب.

وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامِسْتُمُ النِّسَاءَ ..﴾^(١) الآية، قال الغزالي: (وقد نقل عن الشافعي رحمه الله تعالى انه قال: (أحمل آية اللمس على المس والوطء جميعاً)^{(٢)(٣)}:
وهنا نقل رحمه الله تعالى عن الإمام الشافعي بيان معنى اللمس وبين أنه لفظ مشترك بين المس والوطء، ولكن اختيار الإمام الشافعي أن اللمس يحمل على الأمرين:

قال الإمام الشافعي: (وإنما ذكرها - الملامسة - موصولة بالفاظ بعد ذكر الجنبات فأشبهت الملامسة أن تكون اللمس باليد والقبلة غير الجنبات، أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: (قبلة الرجل امرأته وحبسها بيده من الملامسة، فمن قبل امرأته أو حبسها بيده

* الأيم: المرأة التي لا زوج لها، ويقال للرجل الذي لا زوجة له، سواء كان قد تزوج ثم فارق أم لم يتزوج واحد منهما، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/٣٨٣).
(١) سورة النساء (٤٣).

(٢) الإمام الشافعي، كتاب أحكام القرآن جمع الإمام البيهقي، (١/٤٦).

(٣) الإمام الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٢/١٤٢)، وينظر الشيرازي، المهذب، (١/٢٣)، الشربيني، الاقتناع، (١/٦٢).

فعلية الوضوء، وإذا أفضى الرجل بيده إلى امرأته أو ببعض جسده إلى بعض جسدها لا حائل بينه وبينها بشهوة أو بغير شهوة، وجب عليه الوضوء ووجب عليها، وكذلك إن لمستته هي وجب عليه وعليها الوضوء، سواء في ذلك كله، أي بدنيهما أفضى إلى الآخر إذا أفضى إلى بشرتها أو أفضت إلى بشرته بشيء من بشرتها، فإن أفضى بيده إلى شعرها ولم يماس لها بشراً فلا وضوء عليه كان ذلك لشهوة أو لغيره شهوة كما يشتبهها ولا يمسه فلا يجب عليه الوضوء لأنها في القلب إنما المعنى في الفعل^(١).

ونقل أيضاً عن كثير من العلماء الشافعية كابن سريج^(٢)، والقفال الشاشي^(٣) والاصطخري^(٤) والخضري^(٥).

وقد نقل رحمه الله عن المذاهب الأخرى، كمذهب أبي حنيفة - رحمه الله - والظاهرية واتباع هذه المذاهب .

ومن ذلك ما جاء في حد الحراية إذ قال : (والأصل فيهم - صفة قطاع الطرق - قوله تعالى: ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾...^(٦) الآية، .. وقال داود : يجمع بين هذه العقوبات لظاهر الآية* .

(١) الإمام الشافعي، الام، (١٦-١٥/١).

(٢) ابن سريج : القاضي أبو العباس أحمد بن سريج شيخ الشافعية في عصره وعنه انتشر فقه الشافعي في الأفاق، قال عنه الغزالي : نحن نجري مع ابن سريج في ظواهر الفقه دون دقائقه، ت ٣٠٧ ، طبقات الفقهاء للشيرازي ، ص ١٩٧ .

(٣) محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر القفال الكبير، كان إماماً شافعيًا له مصنفات كثيرة نشر فقه الشافعي فيما وراء النهر ، ت ٣٦٥ ، الشيرازي، طبقات الفقهاء، (١٢٠/١).

(٤) القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن المحارب الأنصاري من فقهاء الشافعية ومبديهم ، تنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥٢/١٨).

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المروزي من فقهاء الشافعية كان يضرب به المثل في قوة الحفظ وكثرة النسيان ، الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٣١٦ .

(٦) سورة المائدة ، ٣٣ .

* قلت: وبالرجوع إلى كتاب المحلى لم أجد هذا الرأي لداود الظاهري، والظاهرية على أن (أو) في الآية للتخيير (ينظر ابن حزم، المحلى، (٣٠٤/١١)، قال ابن حزم: (وإنما أوجب على المحارب أحدها لا كلها ولا اثنان منها ولا ثلاثة فصح بهذا يقيناً لا شك فيه أنه إن قتل فقد حرم صلبه وقطعه ونفيه، وإنه إن قطع فقد

وقال مالك رحمه الله تعالى: الشاب يقطع ، والشيوخ ذو الهرم يقتل ، ومن ليس له نجدة الشباب ولا رأي الشيوخ ينفي^(١) .

ثم يعتبر عندنا فيهم صفتان النجدة والبعد عن عمل الغوث^(٢) (٣)، وهنا نقل عن داود الظاهري والإمام مالك - رحمه الله تعالى - في بيان حد الحرابة دون الإشارة إلى المصدر .
وممن نقل عنهم - رحمه الله - من أتباع المذاهب الإمام الكرخي^(٤) وهو من أئمة المذهب الحنفي، قال الإمام الغزالي في تفسير قوله تعالى: « فعدة من أيام أخر .. »^(٥) الآية ، حيث ذكر المذاهب في الصوم للمسافر ونقل مذهب الإمام الكرخي : (الثاني : مذهب الكرخي: أن الواجب أيام أخر ، ولكن لو صام رمضان صح ، وكان معجلاً للواجب كمن قدم الزكاة على الحول وهو فاسد ؛ لأن الآية لا تفهم إلا الرخصة في التأخير وتوسيع الوقت عليه، والمؤدي في أول الوقت الموسع غير معجل، بل هو مؤد في وقته كما سبق في الصلاة أول الوقت)^(٦).

حرم قتله وصلبه ونفيه وأنه إن نفي فقد حرم قتله وصلبه وقطعه وأنه إن صلب فقد حرم قتله وقطعه ونفيه لا يجوز البته غير هذا وحرم بنفي القرآن صلبه إن قتل وحرم أيضا بنفي القرآن قتله إنه صلب، ابن حزم، المحلى، (٣١٧/١١).

(١) الدسوقي، حاشية الدسوقي، (٢٠٥/٢).

(٢) قال الإمام الشافعي: (إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الأرض وهو موافق معنى كتاب الله تعالى)، الشافعي، الام، ١٥١/٦.

فحمل الإمام الشافعي كلمة (أو) على التنويع لا على التخيير، أي نوع العقوبة بحسب نوع العمل الذي قام به المحارب على ما فصل الإمام الشافعي وليس اختياراً مطلقاً من قبل الحاكم أو من ينوب منابه، للدمياطي، اعانة الطالبين، (١٦٥/٤).

ومعنى قول الإمام الغزالي: (لم يعتبر عندنا فيهم صفتان النجدة والبعد عن عمل الغوث، أن من شروط تحقق هذا الوصف في المحارب ان يكون فيه صفة القوة (النجدة)، وأن يكون المقطوع عليه طريقه بعيداً عن أن يناله من الناس غوث أو عون، (الشريبي، الإقناع، (٥٤١/٢).

(٣) الغزالي، الوسيط، (٤٩١/٦) طبعة دار السلام بالقاهرة .

(٤) هو: الحسن بن عبد الله، انتهت إليه رئاسة العلم في أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، توفي سنة ٣٤٠هـ، الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ١٨٤.

(٥) سورة البقرة، ١٨٤ .

(٦) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (١٨٣/١)، وينظر الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (٨٥-٨٤/٢).

من خلال هذا المثال نلاحظ أن اعتراض الإمام الغزالي كان على قضية الأداء والتعجيل حيث عد الإمام الكرخي على ما نقله الإمام الغزالي الصائم في رمضان معجلاً عن الوقت حيث اعتبر أن وقت الأداء له عدة من أيام أخر بحيث إذا صام رمضان لم تحن الأيام الأخر، لأنها ستكون بعد رمضان حتماً، فيكون صيامه في رمضان قبل الوقت كالذي زكى قبل تمام الحول، فلم يعتبر أداءه ضمن الوقت ولكن قبل الوقت، واعتراض الإمام الغزالي قائم على أن الإيام الأخر هي وقت الأداء للمسافر وكذلك رمضان وقت أداء وليس وقت تعجيل فإذا صام في رمضان صام في وقت الأداء وليس في وقت التعجيل على ما هو رأي الكرخي.

وبالرجوع إلى كتب الحنفية وجدت الكرخي لا يقول بهذا الرأي، وإنما يذهب إلى ما ذهب إليه الأحناف - رحمهم الله تعالى - من أن المسافر أو المريض إذا صام صح صومه وكان ذلك أداء، قال في بدائع الصنائع: (والرأي عند الحنفية أن الصوم واجب على المسافر وهو العزيمة، والإفطار له رخصة، فإذا اختار العزيمة وترك الرخصة صار هو والمقيم سواء فيقع صومه عن رمضان ولأبي حنيفة أن الصوم وإن وجب عليه لكن رخص له في الإفطار نظراً له، فلو لم يترخص له إسقاط ما في ذمته والنظر فيه أكثر وأولى، وأما القول: إن الصوم غير واجب على المسافر في رمضان فممنوع بل هو واجب إلا أنه يترخص فيه، فإذا لم يترخص فيه ولم ينو واجبا بقي صوم رمضان واجبا عليه فيقع صومه عنه، والكرخي سوى بين المريض والمسافر^(١)).

وقد نقل عن عموم الفقهاء، وأحال على بعض كتبه الأصولية كتهذيب الأصول، ففي بيان حجية الإجماع ذكر ما تمسك به الشافعية في الاستدلال على الإجماع بقوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾^(٢)، قال - رحمه الله تعالى - : (فإن ذلك يوجب اتباع سبيل المؤمنين ،

(١) الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (٢/٨٤-٨٥).

(*) ينظر في ذلك الإمام الغزالي، المنحول من علم أصول الفقه، ص ٢٨-٢٩.

(٢) سورة النساء، ١١٥.

وهذا ما تمسك به الشافعي ، وقد أطنبنا في كتاب (تهذيب الأصول في توجيه الأصول^(١)) على الآية ودفعها، والذي نرى أن الآية ليست نصاً في الغرض، بل الظاهر أن المراد بسها أن من يقائل الرسول صلى الله عليه وسلم- ويشاقه ويتبع غير سبيل المؤمنين في مشايعته ونصرته ودفع الأعداء عنه « نوله ما تولى » فكأنه لم يكتف بترك المشاققة حتى تنظم إليه متابعة سبيل المؤمنين في نصرته والذب عنه والانتقاد له فيما يأمر وينهى وهذا هو الظاهر السابق إلى الفهم، ولو فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم- الآية بذلك لقبل، ولم يجعل ذلك رفعا للنص، كما لو فسر المشاققة بالموافقة، وإتباع سبيل المؤمنين بالعدول عن سبيلهم^(٢).

(وحجة الإمام الشافعي- رحمه الله تعالى- أن في هذه الآية وعيد على ترك اتباع سبيل المؤمنين، فإذا اجمعوا على حكم فهو سبيلهم^(٣)).

ورد الإمام الغزالي على ذلك بأنه ينقدح في الذهن حمل الآية على ترك الإيمان والمخالفة فيه ويشهد له قوله تعالى قبله: ومن يشاقق الرسول: (وهذا إن لم نقطع به فهو محتمل والقطعيات لا تثبت بالمحتملات)^(٤).

وهنا لم يرض حجة الإسلام بعد الآية السابقة دليلاً على الإجماع، وبين أنه بسط الكلام في ذلك في كتابه "تهذيب الأصول".

وبعد فهذه بعض المصادر التي اطلعت عليها لدى البحث والاستقراء ، ولعل في ذلك ما يلقي الضوء على دقة اطلاع الإمام الغزالي ، وتنوع ثقافته في العلوم الشرعية ، ومعرفته بها ، ولعل عدم إشارة الإمام الغزالي إلى المصادر تصريحاً والعدول إلى الرمز إليها من خلال ذكر أصحابها في النقل ، كان منهجا عاما عنده لكثرتها وتنوعها ، أو لمعرفته أن هذه الأقوال تعرف مصادرها وأصولها لدى أهل العلم فاعتمد على ذلك - والله تعالى أعلم - .

(١) لعلها الأسئلة.

(٢) الإمام الغزالي ، المستصفى من علم أصول الفقه ، (٣٢٨/١) .

(٣) ينظر الغزالي، المنخول من علم أصول الفقه، ص ٣٠٥.

(٤) الغزالي، المنخول من علم أصول الفقه، ص ٣٠٥، وينظر الرازي، المحصول في علم الاصول، (١٧/٤).

المبحث الثاني : التفسير بالمأثور عند

الإمام الغزالي

المطلب الأول : حديثه حول التفسير بالمأثور نظرياً

المطلب الثاني : بيان بعض الأمثلة التطبيقية للتفسير بالمأثور عند

الإمام الغزالي

المبحث الثاني : التفسير بالمأثور

التفسير بالمأثور : هو تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وأقوال الصحابة والتابعين على خلاف في ذلك^(١).

ومعنى الخلاف هنا أن تفسير الصحابي والتابعي هل يأخذ حكم المرفوع أو لا ؟

على معنى أهو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأي ؟

مما لا شك فيه أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول وكل ما ليس للرأي فيه مجال لأنه من قبيل الرواية لا الرأي^(٢).

" أما ما يكون للرأي فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم " ^(٣). وما حكم عليه بالوقف تختلف أنظار العلماء فيه :

" فذهب فريق إلى أن الموقوف على الصحابي من التفسير لا يجب الأخذ به لأنه لما لم يرفعه علم أنه اجتهد فيه والمجتهد يخطئ ويصيب ، والصحابة في اجتهادهم كباقي المجتهدين " ^(٤)

وذهب فريق آخر إلى أنه " بجب الأخذ به والرجوع إليه ، لظن سماعهم له من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولأنهم إن فسروا برأيهم فرأيهم أصوب ، لأنهم أدرى الناس بكتساب الله تعالى ، إذ هم أهل اللسان ولبركة الصحبة والتخلق بأخلاق النبوة ولما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح " ^(٥).

(١) الدكتور الذهبي: التفسير والمفسرون ، (١٥٢/١).

(٢) الدكتور محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، (٩٥/١).

(٣) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، (٢٩٣/٢).

(٤) هذا رأي أبي الخطاب الحنبلي ، ينظر الزركشي البرهان في علوم القرآن ، (٢٩٣/١).

(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٢٠-١٩/١).

وأما تفسير التابعين فاختلف العلماء بالرجوع إليه إذا لم يؤثر في ذلك شيء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو عن الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - فهناك روايتان عن الإمام أحمد ، رواية بالقبول ورواية بعدم القبول ، وذهب بعض العلماء ^(١) إلى أنه لا يؤخذ بتفسير التابعي لعدم سماعه من الصحابة - عليهم رضوان الله تعالى - ، وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير ، لأن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - ^(٢) ، والرأي الذي تميل إليه النفس : أن قول التابعي في التفسير لا يجب الأخذ به إلا إذا كان مما لا مجال للرأي فيه ، فإنه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة ، فإن ارتبنا فيه بأن كان يأخذ عن أهل الكتاب فلنا أن نترك قوله ولا نعتده ، أما إذا كان اجمع التابعون على رأي فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره . ^(٣)

وهذا النوع من التفسير هو أصح أنواع التفسير ، لقيامه على الدليل النقلى الذي يؤهله لأن يتبوا مكان الصدارة والأولية.

وقد برزت عناية الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - بهذا النوع من التفسير بوضوح وجلاء في مختلف كتبه ومصنفاته على تعددها ، وجاءت جهوده في هذا المقام مبيّنة نظريته العميقة إزاء هذا النوع من التفسير ، ومفصحة عن قيمته ومكانته التي تميزه عن غيره من أنواع التفسير الأخرى .

وسيكون الحديث حول جهود الإمام الغزالي في هذا النوع من التفسير منقسماً إلى أمرين:

الأمر الأول : حديثه حول التفسير بالمأثور نظرياً.

الأمر الثاني : بيان بعض الأمثلة التطبيقية للتفسير بالمأثور عند الغزالي.

المطلب الأول : حديثه عن التفسير بالمأثور نظرياً.

(١) ومنهم شعبة بن الحجاج وابن عقيل الحنبلي، ينظر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، (١/١٩٤).

(٢) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن (١/١٢٠٥).

(٣) ابن تيمية مقدمة في أصول التفسير ، ص ١٠٥ .

تحدث الغزالي عن التفسير بالمأثور ، فأبان عن أهمية النقل في التفسير وأثر السماع فيه، يقول رحمه الله تعالى: (فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولاً، ليتقن به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط)^(١)، ويقول أيضاً : (فكل من اكتفى بظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل فهو داخل فيمن فسّر القرآن برأيه)^(٢).

فالإمام -رحمه الله - يشير ههنا إلى أن المأثور مقدم على أي نوع من التفسير ، وعلى أي أداة من أدوات الفهم بالرأي كاللغة والفقه ونحوها ، ومما ينبغي أن يذكر في هذا المقام أن الإمام وإن كان يكنّ للصحابة التقدير والتبجيل ، معرفة منه بقدرهم إلا أنه أوضح أن ثمة آراء للصحابة في فهم القرآن لا تفترق عن غيرها من الآراء ، فهي مما يؤخذ منه ويرد كبقية الأقوال التي اجتهد فيها العلماء من غير الصحابة - رضي الله عنهم - ، وقد أشار إلى السبب في ذلك وهو عدم السماع من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولأجل اختلاف بعض الصحابة في تفسير بعض الآيات ؛ إذ قالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها ، وسماع جميعها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محال ، قال الغزالي : (فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يُقبل^(٣)) ، ويقال هو تفسير بالرأي لأنهم لم يسمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، كذا غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم - ، والثاني : - أي من أسباب الأخذ بالرأي في التفسير - أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات ، فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها ، وسماع جميعها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محال ، ولو كان الواحد مسموعاً لردّ الباقي ، فتبين على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له استنباطه ، حتى قالوا في الحروف ، التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها ، فقيل : أن (الر) هي حروف من الرحمن ، وقيل أن الألف: الله ، واللام : لطيف ، والرءاء: رحيم ، وقيل غير ذلك ، والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعاً)^(٣).

(١) - الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٣٨٦/١)

(٢) المصدر نفسه ، (٣٨٦/١).

(*) لا يقبل على أساس أنه من قبيل المرفوع .

(٣) الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٣٨٥/١).

وبهذا فإن الغزالي كان يعد أقوال الصحابة التي ترد فيها الرواية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بما يشعر السماع من قبيل المأثور الذي لا يذهب إلى غيره معه ، وأما ما كان بخلاف ذلك فهو من قبيل الرأي الذي يقف أمام النقاش، وقد يكون مقبولا أو مردودا ، وأما ما قاله التابعون فالحال فيه على ما ذكره الغزالي ، إذ نقيس الحكم عليه بما حكم به على ما تم بيانه .

ولعل الصواب فيما ذهب إليه العلماء (من أن تفسير الصحابي في كل ما ليس للرأي فيه مجال له حكم المرفوع ، أما ما حكم عليه بالوقف والذي ذهب الغزالي فيه أنه اجتهاد من الصحابي ؛ لأنه لم يرفعه والمجتهد يصيب ويخطئ ، لظن سماع الصحابي من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولأنهم أن فسروا القرآن برأيهم فرأيهم أصوب؛ لأنهم أدرى الناس بكتاب الله تعالى، إذ هم أهل اللسان ، ولبركة الصحة والتخلق بأخلاق النبوة ، ولما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ، لا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة ، وابن مسعود وابن عباس وغيرهم^(١)).

وأما أقوال التابعين فلا يجب الأخذ بها إلا إذا كان مما لا مجال للرأي فيه ، فإنه يؤخذ بها حينئذ عند عدم الريبة ، فإن ارتبنا بأن كانوا يأخذون عن أهل الكتاب ، فلنا أن نقول قولهم ولا نعتد عليه ، أما إذا أجمع التابعون على رأي فإنه يجب علينا أن نأخذ به، ولا نتعداه إلى غيره^(٢) .

(١) - الإمام ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٢٠/١)

(٢) الإمام ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير ، ص ٤٥-٤٦ ، طبعة مكتبة الحياة ، الإمام السيوطي ، الإقتل في علوم القرآن ، (١٧٩/٢) طبعة الحلبي ، الدكتور الذهبي ، التفسير والمفسرون ، (١٢٨/١).

المطلب الثاني : بيان بعض الأمثلة للتفسير بالمأثور عند حجة الإسلام

لدى التتبع والاستقراء أرى التفسير بالمأثور بأصوله القرآن بالقرآن ، والقرآن بالسنة، والقرآن بأقوال الصحابة والتابعين كان على غاية الأهمية عند الإمام الغزالي، وكان مقدما على غيره من أنواع التفسير الأخرى، وفيما يلي بيان ذلك:

- الفرع الأول : تفسير القرآن بالقرآن :

مما لا يخفى أن تفسير القرآن بالقرآن هو أفضل أنواع التفسير وأحسنها على الإطلاق؛ ذلك لأن صاحب الكلام أدرى بمراده من غيره ، ثم ما أجمل في موضع قد فصل في آخر ، وما أطلق في موطن قد قيد في آخر وهكذا (١) .

وقد تمثل منهج حجة الإسلام في تفسير القرآن بالقرآن فيما يلي:

أ. تأييد معنى الآية بالآيات الأخرى التي تدور حول نفس الحكم:

ومن الأمثلة على ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي ﴾ (٢) ، فبعد أن فسرها -رحمه الله تعالى- بأن إبداء الصدقات يكون بحسب ما تقتضيه الظروف والأحوال، أيده بأية أخرى من القرآن الكريم وهي قوله تعالى: ﴿ وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ﴾ (٣) ، قال حجة الإسلام: (وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء، إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس (٤) فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة من الرياء في الإظهار، بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان، وهذا لأن في الإظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هناك ستر الفقير، فإنه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج، فمن أظهر السؤال فهو الذي هناك ستر نفسه، فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره، وهو كإظهار الفسق كإظهار الفسق على من تستر به فإنه محذور والتجسس فيه والاعتياب بذلكه

(١) - الإمام ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير ، ص ٣٩ ، طبعة مكتبة الحياة .

(٢) سورة البقرة، ٢٧١.

(٣) سورة فاطر ٢٩.

(٤) أي أظهر نفسه وكشفها للسؤال وأثر التبذل على الصون والتعفف .

كإظهار الفسق على من تستر به فإنه محذور والتجسس فيه والاعتياب بذكره منهي عنه، فأما من أظهره بإقامة الحد عليه إشاعة، ولكن هو السبب فيها. وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾^(١)، ندب إلى العلانية أيضاً لما فيها من فائدة الترغيب، فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه، فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص، فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل، ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة انتصح له الأولى والأليق بكل حال^(٢).

يبين حجة الإسلام أن قوله تعالى ﴿ إِنْ تَبَدَّوْا الصَّدَقَاتِ ﴾ في حق السائل الذي يسأل بلسانه، فليس على المعطي ترك التصدق عليه علانية خيفة الرياء ولكن عليه أن لا يتحدث عن هذا الأمر قدر الإمكان حتى لا يقع هناك ستر الفقير بأن يظهره محتاجاً، فلعله يتأذى بذلك ويستشهد بأية أخرى وهي قوله تعالى ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ وهي تفيد أن الإسرار بالصدقة للمستخفين بالمسألة وهي بخصوص الفقراء الذين لا يظهرون نفوسهم بها إذ يمنعهم الحياء والتعفف، (والحاصل في الأمر أن من أظهر نفسه فقيراً فلا بأس في إظهار الصدقة له، ومن أخفى نفسه بإخفاء الصدقة له أفضل، وهذا معنى اختلاف الأحوال والأشخاص^(٣)).

وما قاله الإمام الغزالي يدل على فهم رائع، فهو يقرب بين الرأي القائل بأفضلية الصدقة في الخفاء والرأي القائل بأفضلية الصدقة في العلانية.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَي شَيْءٍ خَلَقَهُ * مَنْ نَطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾^(٤)، قال حجة الإسلام: (أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه، فلينظر الإنسان إلى ذلك ليفهم معنى هذه الآية، أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، وقد كان في حيز العدم

(١) سورة فاطر ٢٩.

(٢) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٨٦/١).

(٣) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (١١٦/٤).

(٤) سورة عبس، ١٧-٢٢.

دهورا، بل لم يكن لعدمه أول، وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم؟ وقد كان كذلك في القدم، ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أقدرها، إذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسا العظم لحما، فقد كانت هذه بداية جهوده حيث لم يكن شيئا مذكورا، فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف والنعوت إذ لم يخلق في ابتدائه كاملاً بل خلقه جماداً ميتاً لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطنش ولا يدرك ولا يعلم، فبدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل موته، وبجهله قبل علمه، وبعماه قبل بصره، وبصممه قبل سمعه، وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته، فهذا معنى قوله: ﴿ من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره ﴾ ، ومعنى قوله: ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا * إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ ^(١)، كذلك خلقه أولاً، ثم امتن عليه فقال: ﴿ ثم السبيل يسره ﴾ ، وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت، وكذلك قال: ﴿ من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً * إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ ^(٢) ، ومعناه: أنه أحياه بعد أن كان جماداً ميتاً تراباً أولاً ونطفة ثانياً، وأسمعه بعد ما كان أصماً، وبصره بعد ما كان فاقداً للبصر، وقواه بعد الضعف، وعلمه بعد الجهل، وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب والايات بعد الفقد لها، وأغناه بعد الفقر، وأشبعه بعد الجوع، وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال، فانظر كيف دبره وصوره، وإلى السبيل كيف يسره، وإلى طغيان الإنسان ما أكفره، وإلى جهل الإنسان كيف أظهره، فقال: ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ ^(٣)، ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون ﴾ ^(٤)، انظر إلى نعمة الله -تعالى- عليه، كيف نقله من الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار

(١) سورة الإنسان، ١-٢.

(٢) سورة الإنسان، ٢-٣.

(٣) سورة يس، ٧٧.

(٤) سورة الروم، ٢٠.

موجوداً بعد العدم وحيأ بعد العجز وغنياً بعد الفقر، فكان في ذاته لا شيء، وأي شيء أخس من لا شيء، وأي قلة أقل من العدم المحض، ثم صار بالله شيئاً، وإنما خلقه من الاستراب الدليل الذي يوطأ بالأقدام، والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضاً ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه، وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه، ويعلم بها عظمته وجلاله، وأنه لا يليق الكبرياء إلا به - جل و علا-، ولذلك امتن عليه فقال: ﴿ ألم نجعل له عينين * ولساناً وشففتين * وهدينا له النجدين ﴾^(١)، وعرفه خسته أيضاً فقال: ﴿ ألم يك نطفة من منى يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى ﴾^(٢)، ثم ذكر منته عليه فقال: ﴿ فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾^(٣)، ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولاً بالاختراع، فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله، فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء، وهو على التحقيق أخس الأخصاء وأضعف الضعفاء؟ ولكن هذه عادة الخسيس، إذا رفع من خسته شمع بأنفه، وتعظم، وذلك بدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله -تعالى-^(٤).

وهنا بين حجة الإسلام معاني الآيات الواردة في سورة عبس التي تدل على قدرة الله - عز وجل- على الإنسان في خلقه، واستشهد بآيات في سورة الإنسان وآيات في سورة يس وآيات في سورة الروم وآيات في سورة البلد وآيات في سورة القيامة، وكلها تذكر الإنسان بضعفه وعجزه وافتقاره إلى الله -تعالى-، وأن الواجب على الإنسان أن يعرف ربه -جل و علا- وأن يشكر نعمه التي لا تحصى، وبذلك فإن حجة الإسلام يستعين بآيات متعددة لتوسيع مفهوم الآية التي هو بصدد بيانها.

(١) سورة البلد، ٨-١٠.

(٢) سورة القيامة، ٣٧-٣٨.

(٣) سورة القيامة، ٣٨-٣٩.

(٤) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، (٤/١٦٢-١٦٣).

ب. الاستشهاد والاستدلال على صحة تفسيره بما ورد في الآيات الأخرى من المعاني:

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ﴾^(١)، قال -رحمه الله-: (فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة، فإنهم انقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقر وإلى جاحد، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلئن سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ليقولن الله ﴾^(٢)، معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم، ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾^(٣)، أي كل آدمي فطر على الإيمان بالله عز وجل، بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه، أعني أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للإدراك).^(٤)

وهنا استشهد حجة الإسلام بأية في سورة الزخرف وبآية في سورة الروم على ما ذهب إليه في بيان أن أصل الإيمان مركوز في فطرة الإنسان وهذا ما دلت عليه سورة الأعراف.

" فالإقرار ثابت بنص الآية ولكن بالألسنة ، وهذا ثمرة العقل من معرفة الله - تعالى - الضرورية ، وغاية ما يبلغ إليه الإنسان من ذلك ، فأشرف ثمرة العقل معرفة الله تعالى وحسن طاعته ، فمعرفة الله - تعالى - الضرورية مركوزة في النفس وهي معرفة كل أحد أنه مفعول وأن له فاعلا فعله ونقله من الأحوال المختلفة ، فهذا القدر من المعرفة في نفس كل أحد ، وتنبه الغافل عنه إذا تنبه عليه فيعرفه كما يعرف أن من هو مساوٍ لغيره فذلك - غيره - مساوٍ له^(٥).

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً ما قاله -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ هل أتاك حديث إبراهيم المكرمين ﴾^(٦): (وأحد المعنيين في قوله تعالى: ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾، أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم، دل عليه قوله تعالى: ﴿ فما لبث أن جاء

(١) سورة الأعراف، ١٧٢.

(٢) سورة الزخرف، ٨٧.

(٣) سورة الروم، ٣٠.

(٤) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، (١١٣/١).

(٥) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (٤٦٣/١).

(٦) سورة الذاريات، ٢٤.

بِعَجَلٍ حَنِيزًا»^(١) ، وقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينًا﴾^(٢) ، والروغان: الذهاب بسرعة وقيل: خفية، وقيل: جاء بفخذ من لحم، وإنما سمي عجلاً لأنه عجله ولم يلبث^(٣).

وهنا استشهد حجة الإسلام بأية سورة هود التي دلت على تعجيل إبراهيم -عليه السلام- الطعام لضيوفه إذ فيها (فما لبث) وهذه لفظة تدل على إسراع سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في إكرام ضيوفه محبة لهم، وفي سورة الذاريات ذكرت كلمة (فراغ) التي تدل على التعجيل في إكرام ضيوف سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.

وفي هذا يقول الزمخشري: (فذهب إليهم في خفية من ضيوفه ، ومن أدب المضيف أن يخفي أمره ، وأن يبادل بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يكفه ويعذره)^(٤).
ومن الأمثلة أيضاً ما قاله حجة الإسلام: (تقدير أقل مدة الحمل ستة أشهر أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٥)، وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾^(٦))^(٧).

في هذا المثال استدل حجة الإسلام على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وذلك أن الحمل والفاصل في سورة الأحقاف ثلاثون شهراً، وقد بينت آية سورة لقمان أن الفصال في عامين، أي أربعة وعشرون شهراً، فينتج عن هذا أن أقل مدة الحمل ستة أشهر.

ج. ذكر ما يماثل الآية من الآيات الأخرى في الأسلوب، ليتضح بذلك الوجه المراد بها: ومن الأمثلة على ذلك ما قاله -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٨): (فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه الآية، فإنه سؤال في معرض

(١) سورة هود، ٦٩.

(٢) سورة الذاريات، ٢٦.

(٣) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين ، (٦٤/٢).

(٤) الزمخشري ، الكشاف ، (٤٠٤/٤).

(٥) سورة الأحقاف، ١٥.

(٦) سورة لقمان، ١٤.

(٧) الإمام الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (١٩٤/١).

(٨) سورة الزمر، ٣٦.

استنطاق بالحق، كقوله تعالى: ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾^(١) (٢)

ومعنى قول الإمام الغزالي (سؤال في معرض استنطاق بالحق) إثبات الكفاية وتقريرها عن طريق السؤال والاستفهام التقريري، فإن من يتوكل عليه - سبحانه - يقر بكفايته له ولغيره وهذا التقرير كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ ومعنى الآية على ما بين الزمخشري: (أدأتني؟ على التقرير والتقريب جميعاً، أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب) (٣).

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم * كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾^(٤)، قال حجة الإسلام: (فهذا الكلام غير متصل، وإنما هو عائد إلى قوله السابق: ﴿ قل الأنفال لله والرسول ﴾^(٥)، ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾ أي فصارت أنفال الغنائم لك، إذ أنت راض بخروجك وهم كارهون، فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره، ثم جاء بمثال من القرآن الكريم ليوضح به هذا المعنى فقال: (ومن هذا النوع قوله عز وجل: ﴿ حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ربي ﴾^(٦)).

يبين حجة الإسلام أن قوله تعالى: ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾ غير متصل لفظاً بقوله تعالى: ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾^(٨)، فيصير المعنى صارت أنفال الغنائم لك إذا أنت راض بخروجك وهم كارهون، فهناك كلام اعترض هذا الاتصال، وفي هذا رد على من

(١) سورة الإنسان، ١.

(٢) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، (١١٦/٥).

(٣) الزمخشري، الكشاف، (٦٦٦/٤).

(٤) سورة الأنفال، ٤-٥.

(٥) سورة الأنفال، ١.

(٦) سورة المتحنة، ٤.

(٧) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٨٧/١). وقد استقدت هذا المنهج من رسالة منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين، رسالة ماجستير نوقشت في جامعة آل البيت، للباحث عدنان يعقوب، انظر ص ١٤٤-١٤٤.

(٨) سورة الأنفال، ١.

يعترض على أسلوب القرآن الكريم . قال الإمام الخطابي : (قالوا : مما يعترض على أسلوب القرآن في التأليف بين الكلام (كما) تشبيه شيء بشيء ولم يتقدم من أول الكلام ما يشبه به ما تأخر منه)^(١).

ويتابع الخطابي قوله : (وأما قوله -سبحانه- ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾ ففيه وجوه ذهب إليها أهل التفسير والتأويل كلها محتملة ، أيها اعتمدت وعلقت عليه الكاف حملها وصح الكلام عليه ، قال بعضهم : إن الله - سبحانه - أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب الغير وهم كارهون ، وذلك أنهم في يوم بدر اختلفوا في الأنفال ، وحاجوا النبي - صلى الله عليه وسلم - وجادلوه فكره كثير منهم ما كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في النفل ، فأنزل الله تعالى الآية^(٢) ، وأنفذ أمره فيها وأمرهم أن يتقوا الله - تعالى - وأن يطيعوه ، ولا يعترضوا عليه فيما يفعل من شيء فيما بعد إن كانوا مؤمنين ، ووصف المؤمنين ثم قال : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ يريد أن كراهتهم لما فعلته في الغنائم ككراهتهم في الخروج معك وقد حمدوا عاقبته فليصبروا في هذا وليسلموا ويحمدوا عاقبته كذلك ، وقبل معناه : أولئك هم المؤمنون حقا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وقيل (كما) صفة لفعل مضمر وأن تأويله : أفعال في الغنائم كما فعلت في الخروج إلى بدر وأن كره القوم ذلك^(٣)

ومثل هذا ما جاء في قوله سبحانه ﴿ حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ربي ﴾ فإن الاستثناء هنا عائد على أول الكلام : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾^(٤) فقول إبراهيم هنا مستثنى من القدوة الواردة في أول الكلام ، والمعنى :

(١) الخطابي . رسالة في بيان إعجاز القرآن ، ص ٣٩ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٣٧٦/٢) .

(٣) الخطابي ، رسالة في بيان إعجاز القرآن ، ص ٤٧-٤٨ .

(٤) سورة الممتحنة ، ٤ .

(قد كانت لكم قدوة في التبزي من الأهل في أقوال إبراهيم والذين معه من المؤمنين ولهذا استثنى منها : ﴿ إلا قول إبراهيم ﴾ (١).

الفرع الثاني: تفسير القرآن بالحديث

وهو الأصل الثاني للتفسير بالمأثور ، وهذا الأصل لا بد أن يستشهد فيه بالأحاديث الصحيحة ، ولا ينبغي أن يكون المفسر في هذا الجانب كحاطب ليل أو ناقل جامع دون النظر في الحديث سندا ومثنا ، فلا بد من الاحتياط والتنبه إلى ما ضعف ووهن من الرواية ؛ لأن الأحاديث غير الصحيحة إذا استشهد بها المفسر ربما تسلل الفاسد منها إلى أصل الشريعة، وعندها يكمن الخطر، أضف إلى هذا أن الاستشهاد بالحديث الصحيح يكسب التفسير القوة والمنانة والاعتماد ، ويكون على درجة عالية من التوثيق^(٢).

والحق أن جهود الغزالي في هذا الجانب تحتاج إلى إعادة نظر وتوثيق جيد ، لأن الغثّ عنده قد اختلط بالسمين ، وكثر عنده الضعيف والموضوع ، ولم يعن بتدقيقه أو النظر في حاله ، وخير ما يدل على هذا ما أفصح عنه رحمه الله تعالى من أن معرفته بالحديث قليلة، يقول رحمه الله: (وبضاعتي في علم الحديث مزجاة) ^(٣)، لهذا فإن ما قدمه في هذا الجانب يحتاج إلى متابعة ونقد، وهذا يحتاج إلى صاحب صنعة في علم الحديث، وحرّي بأن ينهج في مؤلفاته كلها نهج الحافظ العراقي الذي تتبع أحاديث الإحياء ، فأبان عن مواطن الضعف والوضع والصحة في ملأ أورده الغزالي .

وأودّ أن أقرر بادئ بدء أن جميع الأحاديث والآثار التي أوردها الإمام الغزالي كانت خالية من الإسناد^(٤) ، مما يلبس على القارئ معرفة الصحيح منها من الضعيف والباطل ، ولو أوردها بإسنادها لألقى بالعهد على القارئ ليبحث هو عن درجتها قوة وضعفا ، أما وأنه أوردها

(١) النسفي، مدارك التنزيل وحفائق التأويل، (٢٦٧/٣).

(٢) الدكتور مصطفى المشني ، ابن العربي وكتابه أحكام القرآن ، ص ١٠٩ ، وبعض ما اقتبس من محاضراته.

(٣) الإمام الغزالي ، قانون التأويل ، ص ٣٨.

(٤) ينظر ما قاله الباحث عدنان يعقوب في رسالته منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين، نوقشت في جامعة آل البيت، ص ١٤٤،

مجردة عن سلسلة ناقلها، فالعهدة باقية عليه، إذ هو الناقل وهو الذي حشد هذه الروايات دون تحقق أو تمحيص - عفا الله عنه - .

وقد تمثلت عناية الإمام الغزالي في تفسير القرآن بالسنة فيما يلي:

أ- بيان معاني الآيات الواردة في القرآن الكريم:

في تفسير قوله تعالى: ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾^(١)، قال - رحمه الله تعالى -: (سئل النبي - عليه السلام - عن الاستطاعة فقال: ((الزاد والراحلة))^(٢) ولم يتعرض لأمن الطريق والسلامة)^(٣)، وهنا بين الغزالي - رحمه الله تعالى - معنى الاستطاعة في الآية بما ورد في السنة النبوية حيث بينت أن المراد بها الزاد والراحلة.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾^(٤) قال حجة الإسلام: (سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما هذا الشرح فقال: ((هو التوسعة، إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح))^(٥)(٦).

فالشرح الوارد في الآية بينته السنة النبوية باتساع القلب عندما يفيض عليه النور الإلهي، وليس بعد بيان السنة بيان.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة ﴾^(٧)، قال الإمام الغزالي: (وقالت عائشة - رضي الله عنها - قلت: يا رسول الله ﴿ والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة ﴾ هو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله؟ قال: " لا، بل الرجل يصوم

(١) سورة ال عمران، ٩٧.

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، کتاب المناسک، باب السبیل: الزاد والراحلة، (١/٤٤١).

(٣) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (٢/٤٦).

(٤) سورة الزمر، ٢٢.

(٥) البيهقي، كتاب الزهد الكبير، باب الورع والتقوى، رقم ٩٧٤، ص ٣٥٦.

(٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣/١٣٨-١٣٩).

(٧) سورة المؤمنون، ٦٠.

ويعطي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه ^(١) والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله - تعالى - وعذابه لا تنحصر ^(٢).

وفي هذا المثال يتضح معنى الآية من خلال تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - لها ، فالمؤمنون يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصرُوا في القيام بشرط الإعطاء ، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط .

الاستشهاد بالأحاديث للدلالة على حكم شرعي أو مسألة فقهية :

وفي هذا الجانب أمثلة كثيرة منها :

في قوله تعالى: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ ^(٣) ، الآية ، قال الإمام الغزالي : (اشترط الشارع الطهارة في الطواف لقوله صلى الله عليه وسلم . " الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله قد أحل به المنطق فمن نطق فلا ينطق إلا بخير " ^(٤)) وهنا استشهد الإمام الغزالي بالحديث النبوي الشريف ليبين أن الطواف يشترط فيه الطهارة .

وفي قوله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ ^(٥) الآية ، قال الغزالي : (الآية عامة وجاء الحديث : ((لا قطع إلا في ربع دينار فصاعدا)) ^(٦) فخرج ما دون النصاب ، وهذا تخصيص للعام ^(٧) ، وهنا ينقل الإمام الغزالي الحديث النبوي الشريف الذي يدل على تخصيص عموم الآية الكريمة ، فالقطع في الآية على عمومه وليس فيه تحديد للقدر الذي يحصل به القطع، فجاءت السنة لتخرج ما دون النصاب وهو ربع دينار بمثاقيل الذهب .

(١) أحمد ، مسند أحمد ، (٢٠٥/٦) .

(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (١٢/٥) .

(٣) سورة الحج ، ٢٩ .

(٤) الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، رقم ٣٠٥٦ ، (٢٠٩/٢) .

(٥) الغزالي ، المستصفي من علم أصول الفقه ، (٢٢٥/١) ، وينظر أيضا المصدر نفسه (٢٠٩/٢) ، وينظر إحياء علوم الدين (١٦٠/١) ، (٢١٢/١) .

(٦) سورة المائدة ، ٣٨ .

(٧) الإمام ابن عبد البر ، التمهيد ، (١٥٣/٢) .

(٨) الإمام الغزالي ، المستصفي من علم أصول الفقه ، (١٥٤/٢) .

وفي قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ .. ﴾^(١) الآية، قال الغزالي: (خصصوا عموم آية الوصية برواية أبي هريرة -رضي الله عنه-) أنه لا يرث القاتل ولا العبد ولا أهل ملتين^(٢) ورفعوا عموم آية الوصية بقوله صلى الله عليه وسلم: (لا وصية لوارث^(٣)) ، في هذه الآية الوصية على إطلاقها وقد جاءت السنة النبوية لتبين أن القاتل والعبد وأهل الملتين مستثنون من الموصية ، فالآية عامة والحديث مخصص لها.

ج - الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة لمسألة عقدية :

وفيما يلي بعض الأمثلة على هذا : في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا ﴾^(٤) الآية ، يقول رحمه الله تعالى (هذه الأدلة العامة المخصوصة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾^(٥) الآية ، فينبغي أن تبقى له مشيئته في مغفرة ما سوى الشرك، وكذلك قوله عليه السلام : ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان))^(٦)^(٧).

في هذا المثال أورد الإمام الغزالي حديثا نبويا شريفا يبين أن مرتكب الكبيرة إن مات دون توبة فأمره إلى الله - تعالى - وهذا ما دلت عليه الآية الكريمة .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾^(٨) ، قال : (هذا في الشفاعة، وجاء في الحديث ((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب، ... ،

(١) سورة البقرة ، ١٨٠ .

(٢) الإمام أحمد ، مسند أحمد ، رقم ٣٤٦ ، (٤٩/١) ، المباركفوري ، تحفة الأحوذى ، كتاب الفرائض ، باب ١٧ (٢٤٣/٦) .

(٣) المباركفوري ، تحفة الأحوذى ، كتاب الوصايا ، باب (٥) ، (٢٥٨/٦) .

(٤) سورة النساء ، ٩٣ .

(٥) سورة النساء ، ٤٨ .

(٦) الإمام مسلم ، صحيح الإمام مسلم بشرح النووي ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم ٣٢٢ ، (٥١/٣) .

(٧) الإمام الغزالي ، قواعد العقائد ، ص ١١٥ .

(٨) سورة الضحى ، ٥ .

وأعطيت الشفاعة))^(١)، هنا أورد الإمام الغزالي الحديث الشريف للاستدلال على أن المعنى الوارد في الآية هو الشفاعة ، وأنها ثابتة للنبي - صلى الله عليه وسلم - بإذن الله - تعالى - يوم القيامة .

وهكذا فإن المسائل العقديّة عند الإمام الغزالي لا بد أن تثبت من خلال الدليل النقلّي إما الكتاب أو السنّة أو كلاهما .

الفرع الثالث : تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

لدى التتبع لعناية الإمام الغزالي بتفسير الصحابة والتابعين ، أجد أنه قد اعتمد مدرستين أساسيتين في التفسير : المدرسة المكية وشيخها ابن عباس -رضي الله عنهما-، ومدرسة ابن مسعود وهي المدرسة الكوفية ، غير أن هناك بعض الآراء لمدرسة أبي بن كعب لم يغفلها الإمام ، ولكن الملاحظ جلياً أن التركيز في النقولات كان يدور حول المدرستين الأوليين .

والحق أن مدرسة التفسير في مكة هي أعرق المدارس بمقاماتها ومكانتها ، والغزالي إن أشار أثناء كثرة النقل إلى هذا المعنى، إلا أنه نص على أن أقدم مصنفات التفسير جاءت جامعة لآراء هذه المدرسة، قال رحمه الله تعالى(وقيل : أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار، وحروف التفسير عند مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس - رضي الله عنهم - بمكة)^(٢)، وهذه نظرة عميقة حريّة بأن تسجل للإمام الذي يعرف لأهل التفسير قدرهم ومكانتهم العلمية ، فهذه المدرسة - أعني مدرسة ابن عباس - أعلم المدارس بفهم كتاب الله العزيز ، إذ شيخها ترجمان القرآن الذي فقه في الدين وعلم التأويل ، حيث أصابته الدعوة النبوية الشريفة ، وهي مدرسة أثرية عنيت بالأثر وإن تطرقت إلى الرأي بقدر ، قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى - وقد سئل أيّ الناس أعلم بكتاب الله: (وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة لانهم أصحاب

(١)الإمام مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، رقم (٤/٥)،٥٢١.

(٢)الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٤١٧/٦)، وينظر أيضا الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد ، ص ٢٠٤ .
وقواعد العقائد ص ١٥،ص٩٦،ص١١٧،ص١٢٤.

(٣) الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (١٠٣/١).

ابن عباس ، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس^(١) ، ويقول الدكتور عبد الله السلفيني : (وابن عباس لم يكن ليقول في كتاب الله برأيه دون علم ولا قواعد في اجتهاده ، إنما كان كغيره من الصحابة ، يعتمد أدوات التفسير ويركن إليها عندما يجتهد في كتاب الله)^(٢).
(وطريقة الغزالي في النقل عن الصحابة والتابعين كطريقته في رواية الأحاديث ، من غير ذكر الأسانيد ولا الإشارة إلى المصادر التي استقى منها هذه الروايات ، وأكثر عباراته في ذلك أن يقول مثلاً : قال ابن مسعود ، قال ابن عباس ، ... فهو يذكر اسم الصحابي ثم الآية ثم يأتي بعد ذلك بقول ذلك الصحابي في تفسير تلك الآية ، وأحياناً يأتي بالآية أولاً ثم بعد ذلك يذكر تفسير الصحابة لها)^(٣).

ولدى البحث يتبين أن عناية حجة الاسلام بأقوال الصحابة والتابعين في التفسير جاءت على النحو الآتي:

أ- النقل عن الصحابة والتابعين دون ترجيح أو مفاضلة:

ومن الأمثلة على ذلك: في تفسير قوله تعالى : ﴿ لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ﴾^(٤) الآية ، قال الغزالي -رحمه الله تعالى- : (سكارى من كثرة الهم ، وقيل من حب الدنيا ، وقال وهب : المراد به ظاهره ، ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة)^(٥) وهنا نقل الغزالي أقوالاً ثلاثة في معنى الآية ولم يرجح بينها ، والذي تميل إليه النفس أن المراد ظاهر الآية ، إذ بالرجوع إلى سبب النزول يتضح أن السكر الذي يذهب العقل هو المراد هنا ، لأن هذه الآية تجمع مع الآيات التي وردت في تحريم الخمر^(٦).

(١) الإمام ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير ، ص ٢٤ .

(٢) الدكتور عبد الله السلفيني ، ابن عباس ومدرسته في التفسير بمكة المكرمة ، ص ٩١ .

(٣) الباحث عدنان يعقوب ، منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين ، ص ١٤٤-١٤٥ .

(٤) سورة النساء ٤٣ .

(٥) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٢٠٠/١) ، وينظر للاستزادة، المصدر نفسه (٣٩١/١) ، (٢٥/٢) .

(٦) ينظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، (٢٠٠/٥) .

• «الذين هم عن صلاتهم ساهون»^(١)، في تفسير هذه الآية ينقل الغزالي -رحمه الله تعالى- الأقوال في بيانها، إذ يقول: (قال أبو العالية : الذي يسهو في صلاته فلا يدري عن كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر؟ وقال الحسن : هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج، وقال بعضهم هو الذي إن صلاها في أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تأخيرها إثما)^(٢) . وهنا لم يرجح رحمه الله تعالى بين هذه الأقوال ولم يفاضل بينها، والصواب ما ذهب إليه الإمام الحسن البصري -رحمه الله تعالى- لأنه لا تناوب في الحروف في كتاب الله تعالى، وهذا الاختلاف من باب اختلاف التضاد لا التنوع والرأي الذي مال إليه الإمام الحسن البصري كان أصوب لأنه فرق بين حرفي (عن) و (في).

• ذكر الآراء والموازنة بينها أو التعرض لها بالنقد :

ومن الأمثلة على هذا، ما قاله -رحمه الله تعالى-: (وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعي والشعبي ،وعطاء ، ومجاهد ، قال الشعبي بعد أن قيل له هل في المال حق سوى الزكاة ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الله عز وجل ﴿وَأْتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾^(٣) ، واستدلوا بقوله عز وجل ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٤) ، وبقوله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٥) ، وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة ، بل هو نوافل في حق المسلم على المسلم ، ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة^(٦) ويعقب الغزالي على هذا بقوله : (والذي يصح في الفقه من هذا الباب ، أنه مهما أرفقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية ، إذ لا يجوز تضييع مال المسلم ، ولكن يحتمل

(١) سورة الماعون ، ٥

(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين (١/٢٢٨) ، وقال الخطابي في بيان إعجاز القرآن ، ص ٣٣ : وإنما أوتي أبو العالية في هذا حيث لم يفرق بين حرفي عن وفي ، فتنبه له الحسن فقال ألا ترى قوله (عن صلاتهم) يشير إلى أن السهو الذي هو الغلط في العدد إنما هو يعرض في الصلاة بعد ملابتها فلو كان هو المراد لقييل : في صلاتهم ساهون ، فلما قال عن صلاتهم دل على أن المراد به الذهاب عن الوقت .

(٣) سورة البقرة ، ١٧٧ .

(٤) سورة البقرة ٣ .

(٥) سورة المنافقون ، ١٠ .

(٦) الغزالي ، المصدر نفسه ، (١/٢٨٤) .

أن يقال ليس على الموسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرصاً ، ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه^(١) ، وهنا رجح الغزالي أن الحق في المال يكون في الزكاة فقط وأن آيات الإنفاق الذي كان واجبا نسختها آية الزكاة، وليس إزالة حاجة المعسر أمراً واجباً على المزكي إذ أسقط عن نفسه حق الزكاة.

قال الزبيدي : (وسائر العلماء من السلف والخلف على أن المال إذا أدبت زكاته فليس بكنز ، وما استدل به من الأمر بإنفاق الفضل فمعناه على الندب أو يكون قبل نزول فرض الزكاة ونسخ بها كما نسخ صوم عاشوراء بصوم رمضان وعاد فضيلة بعد أن كان فريضة ، ومهما اشتدت الحاجة ولزمت كانت إزالتها عن المحتاج فرضاً في الكفاية إن قام به بعض سقط عن آخرين ، إذ لا يجوز تضييع مسلم وقد أوجب الله حقه على أخيه المسلم^(٢) .

وقد نبه الإمام القرطبي إلى هذا المعنى بقوله : (ذكر الزكاة مع الصلاة دليل على أن المراد بقوله : ﴿ وأتى المال على حبه ﴾ ليس الزكاة المفروضة ، فإن ذلك يكون تكراراً - والله أعلم - واتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء فإنه يجب صرف المال إليهم^(٣) ، وعلى هذا فإن كلام الإمام الغزالي دقيق في هذه المسألة .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾^(٤) قال الإمام الغزالي : (قيل : ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود ، وقيل : هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر ، وهو الأصح ، وقيل : ما يكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء^(١) . وهنا يميل إلى الرأي الثاني ويجعله المعتمد عنده ، ولكنه لا يتعرض لبقية الأقوال بالنقد ، بل يكتفي ببيان أصحها من وجهة نظره دون بيان دليل وأنقل هنا رأي الإمام الطبري في تفسير هذه الآية إذ قال : (وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : إن الله - تعالى ذكره - أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف الله - تعالى - صفتهم في وجوههم من أثر السجود ولم يخصص ذلك وقت دون وقت ، وإذا كان كذلك كذلك فذلك على كل الأوقات ، فكان سيماهم الذين يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام وذلك خشوعه وهدية وزهده وسمته وأثار أداء فرائضه وتطوعه في

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٢٨٣/١)

(٢) الزبيدي ، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، (١٠٦/٤).

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، (٢٤٢/٢).

(٤) سورة الفتح ، ٢٩ .

الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرة في الوجه والتحجيل والأرجل من أثر الوضوء وبياض الوجوه من أثر السجود (٢)، والذي يظهر من خلال ما ذكره الإمام الطبري وما أشار إليه الإمام الغزالي أن هذه الأقوال متقاربة .

ويظهر لنا من خلال ما سبق مدى اهتمام وعناية الإمام الغزالي بالتفسير بالمأثور ، حيث أولاه العناية التي يستحقها من الدراسة والبحث.

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (١/١٩٩) ، وينظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٤/٢٦٠)، وينظر للاستزادة المصدر نفسه ، (١/٣٢٣)، (٢/٦٤).

(٢) الطبري ، جامع تأويل أي القرآن ، (٢٦/١١٢).

المبحث الثالث: التفسير بالرأي عند

الإمام الغزالي

المطلب الأول : التفسير بالرأي عند الإمام الغزالي من الناحية

النظرية

المطلب الثاني: مسلك الإمام الغزالي في التفسير بالرأي الجائز

المبحث الثالث : التفسير بالرأي عند الإمام الغزالي:

يعرف التفسير بالرأي على أنه (تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته الناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر)^(١).

والتفسير بالرأي نوعان : محمود : وهو ما وافق الشرع واستخدمت فيه أدوات التفسير وآلاته، وكان فيه بعدٌ عن الهوى والتعصب أو لِيّ لأعناق الآيات بما يخدم الفكر والمذهب أو المعتقد، وهذا هو المقبول.

والنوع الآخر هو الرأي المذموم : وهو ما كان على غير الهيئة السابقة بحيث لم يعتمد أدوات التفسير، وكان بمنأى عن أصول التفسير وضوابطه، مبنيًا على الهوى والتشهيبي والنزعات النفسية والعقلية، وهذا هو المنهي عنه^(٢).

وقد حدّد الإمام الغزالي موقفه إزاء هذا النوع من التفسير، فأيد الأخذ بالمحمود منه ودعا إليه بضوابط وشروط ومحددات، وأتى بالأدلة على جواز العمل به، وأبان عن جهة الاستدلال بها، ودعا إلى طرح الرأي المذموم الذي لا يعتمد على دليل شرعي أو نقلي، والذي تظهر من خلاله النزعات الفكرية التي تشكل خطرا هداما وأثرا سلبيا على اتجاه التفسير، مما يؤدي به إلى الانحراف عن سيره الصحيح والنأي به عن غايته المنشودة وفق المناهج السليمة .

وإن القارئ ليلحظ اطلاع الإمام الواسع على مناحي التفسير واتجاهاته عبر الحركة التفسيرية التي سارت إلى عصره، وهذا يشير بدقة إلى تحديد موقفه إزاء بعض هذه الاتجاهات نقدا وتدقيقا، ويمكن أن نتبين لنا جهود الإمام الغزالي فيما نحن بصددده فيما يلي :

(١) الدكتور الذهبي، التفسير والمفسرون، (١/٢٥٥)

(٢) المرجع نفسه، (١/٢٦٤-٢٦٥).

المطلب الأول : التفسير بالرأي عند الإمام الغزالي من الناحية النظرية:

أولاً: تقسيم التفسير بالرأي إلى نوعين: محمود ومذموم:

قال الإمام بعد أن ناقش أدلة القائلين بمنع التفسير بالرأي : (ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد، الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح، والرأي يتناول الصحيح والفاسد، والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأي)^(١)، وأشار رحمه الله من خلال بيانه إلى وجوب اجتناب الرأي المذموم والامتناع عنه مطلقاً .

ثانياً : عرض أدلة المانعين ومناقشتهم على التفصيل حيث نم عن علم عزيز وفهم عميق لكتاب الله تعالى .

يقول الإمام الغزالي في الباب الرابع في كتاب الإحياء : (في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل) ما نصّه : (اعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير، فمخبر عن حد نفسه، وهو مصيب في الإخبار عن نفسه، ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حدّه ومحطّة، بل الأخبار والآثار تدلّ على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم ، قال علي-رضي الله عنه- : (ما أسر لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئاً كتّمه عن الناس إلا أن يؤتي الله -عز وجل- عبداً فهما في القرآن فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم)^(٢)، فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم، وقال علي رضي الله عنه- : (لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير الفاتحة)^(٣)، فما معناه وتفسيرها في غاية الاختصار؟، وقال أبو الدرداء : (لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً)^(٤)، وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر .

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٨٦)

(٢) ينظر هذا الاثر عند الحافظ العراقي في هامش الإحياء، (١/٢٣٢)

(٣) ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٢/١٢٢٣) ط دار ابن كثير

(٤) ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٢/١٢٢٢) .

وقال آخرون : القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم إذ لكل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع . لا يكون إلا لتدبره باطن معانيها، وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير، وقال ابن مسعود - رضي الله عنه- : (من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن)^(١)، وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر)^(٢) .

ويقول أيضا : (وبالجملة أيضا فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله - عز وجل - وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله، وهذه العلوم لانهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه؛ ليختص أهل الفهم بدركها فكيف يفهم بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ؟ ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام- : ((اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه))^(٣) . وقال عليه السلام: ((فإن فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم))^(٤) ، وقال علي - رضي الله عنه- : (من فسر القرآن فسر به جمل العلم) أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها :

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما- في قوله تعالى : (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) ^(٥) الآية، يعني الفهم للقرآن ^(٦)، وقال عز وجل: (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) ^(٧) الآية،

(١) ينظر هذا القول عند السيوطي في الإنتقان، (١٢٢١/٢) ، وقد نقل السيوطي بعض أقوال الغزالي في هذا الصدد بقوله وقال بعض العلماء يعني بذلك الغزالي، ينظر الإنتقان (١٢٢١/٢) .

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٨٣ /١).

(٣) الهيثمي. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب التفسير ، باب لا يخلط مع القرآن غيره . رقم ٣٦٤٤ ، (١٦٣/٧) ومعنى هذا : أي اطلبوا معاني الغريب منه.

(٤) البيهقي . شعب الإيمان ، باب تعظيم القرآن ، رقم ١٩٣٥ ، (٣٢٦/٢) . وبداية هذا الحديث : ستكون فتنة ، قال علي : فما المخرج منها قال كتاب الله فإن فيه نبأ ما قبلكم .

(٥) سورة البقرة ، ٢٦٩ .

(٦) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٤٣٠/١) .

(٧) سورة الأنبياء ، ٧٩ .

سمي ما آتاهما علما وحكما، وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والعلم، فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغيا، وأن المنقول من التفسير ليس منتهى الإدراك فيه^(١).

وهذا الكلام الذي صرح به الإمام الغزالي محمول على التوسع والتأول، فمراده ما يدل عليه القرآن من معارف وعلوم، وليس يفهم من عبارة الغزالي الأخيرة أن التفسير بالمأثور قد غص من قيمته، بل إن التفسير بالمأثور هو الأصل الذي لا يذهب إلى غيره معه إذا أدى بالغرض وكفى، وهذا ما أشار إليه عندما جعله معتمدا أصيلا والقاعدة الأساس للتفسير بالرأي، ولكنه يرى أن لا مانع من الخوض بالتفسير بالرأي إذا توافرت أركانه وشروطه.

وإذا كان الإمام الغزالي قد عرض للأدلة التي تدل على جواز التفسير بالرأي الجائز، إلا أنه قد عرض لأدلة المعارضين لهذا النوع من التفسير وناقشهم في حججهم وفصل القول في هذه المسألة.

قال الإمام الغزالي: (فأما قوله -عليه السلام-: ((من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار))^(٢) الحديث، وقول أبي بكر -رضي الله عنه-: (أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيه)^(٣)، إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأي، فلا يخلو: إما أن يكون المراد به الإقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمراً آخر.

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٨٣ - ٣٨٤).

(*) ورد عن ابن العربي: إن علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة وسبعة آلاف وسبعون ألف علم، على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة، وقد عقب الدكتور المشني على ذلك بأن هذا على اعتبار التوسع، ينظر الدكتور المشني، ابن العربي وتفسيره أحكام القرآن، ص ٢٠١، وفي هذا المقام يمكن أن يفسر رأي الغزالي في هذا العدد الضخم من العلوم في القرآن على هذا النحو والله أعلم.

(٢) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم ٢٩٥٠، (١٩٩/٥).

(٣) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١/٣٥) في المقدمة.

وباطل قطعاً أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد إلا بما يسمعه لوجوه :

أحدها : أنه اشترط أن يكون ذلك مسموعاً من النبي -صلى الله عليه وسلم- ومسنداً إليه، وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن، فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل*، ويقال هو تفسير بالرأي، لأنهم لم يسمعه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكذا غيرهم من الصحابة -رضوان الله عليهم- .

الثاني: أنه -صلى الله عليه وسلم- دعا لابن عباس -رضي الله عنه- وقال : ((اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل))^(١)، فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل ومحفوظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك .

الثالث: أنه قال عزّ وجلّ : ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾^(٢) الآية، فأثبت لأهل العلم استنباطاً، ومعلوم أنه وراء السماع، وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن لا يناقض هذا الخيال، فبطل اشتراط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله^(٣) .

ويقول أيضاً : (وأما النهي فإنه ينزل على وجهين):

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى، لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى، هذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك، ولكن يلبس به على خصمه، وتارة يكون مع الجهل، ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، ويرجّح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسّر برأيه (أي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير)،

* يعني لا يقبل على أنه من قبيل المرفوع.

(١) المناوي، فيض القدير، (٤٣٢/٢) والمجلوني، كشف الخفاء، برقم ٥٨٢، (١/٢٢٠).

(٢) سورة النساء ٨٣.

(٣) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٨٥).

ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه، وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به، كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار، فيستدل بقوله -عليه السلام- : ((تسحروا فإن في السحور بركة))^(١)، ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر، وهو يعلم أن المراد به الأكل، وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول : قال الله عز وجل: ﴿أذهب إلى فرعون إنه طغى﴾^(٢)، ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون، وهذا الجنس قد يستعمله اللو غاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع وهو ممنوع، وقد تستعمله الباطنية فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة به، فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي، ويكون المراد بالرأي: الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح .

و الوجه الثاني : أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسمع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلظه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي^(٣) .

من خلال هذه المناقشة المستفيضة يبين لنا الإمام الغزالي مواقع الخطأ وأسبابه في التفسير بالرأي المذموم، ويوضح أن هناك من المفسرين من كان حسن النية وكان له رأي فأراد حمل القرآن عليه لاعتقاده هذا المعنى فيه، وهناك من كان سيئ النية خبيث الطوية كالباطنية حيث لووا أعناق الآيات تمشياً مع مذهبهم ونزعاتهم، وسواء أكان الصنيع من هذا أو ذاك، فإن هذا تفسير بالرأي المذموم المجوج الممقوت والذي يجب الاحتراز عنه.

(١) النسائي، سنن النسائي، كتاب الصيام، باب وجوب الصيام، برقم ٢٤٥٧، (٧٦/٢).

(٢) سورة طه، ٢٤.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٨٥/١-٣٨٦).

ثالثاً: تحديد أصول التفسير بالرأي الجائز وبيان أدواته :

يقول رحمه الله : (إن علم اللغة والنحو آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه -عليه السلام-، وليست اللغة والنحو من علوم الشريعة في أنفسهما، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع، إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب، وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة^(١) .

وقال أيضاً : (التفسير أيضاً اعتماده على النقل؛ إذ اللغة بمجرد ما لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وهو ما يُسمى الأصول)^(٢) .

وهنا يشير رحمه الله إلى أن التفسير بالرأي ينبغي أن تتكامل أدواته من مآثور، ولغة بفرعياتها المختلفة، وعلوم الشريعة الأخرى، وهذه الأدوات هي التي أشار إليها غير واحد من أهل هذا الفن، قال الزركشي : (وأما ما أخذ المفسر لطلب التفسير فأمراتها أربع).

أولاً: النقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو الطراز المعلم بشرط الحذر من الضعيف منه والموضوع .

ثانياً: الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين .

ثالثاً: الأخذ برأي الصحابي .

رابعاً: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع^(٣) . وفي اعتماد هذه الأدوات واستخدامها التزام بأصول التفسير الصحيح وحدوده، ومما يلحظ أن التفسير بالمآثور كان قاعدة للتفسير بالرأي عند الإمام الغزالي يسير معه جنباً إلى جنب، وهذا ما يؤكد قبول واعتماد تفسيره بالرأي الجائز .

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٧/١).

(٢) الغزالي، المصدر نفسه، (٢٧/١).

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٢٩٢/٢)، وينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٢٠٦/٢).

* أي ما تقتضيه الآية من المعنى الموافق لها وأن يكون لهذا المعنى مستند شرعي .

رابعاً: عرض بعض النماذج في التفسير للدلالة على ضرورة التبصر باللغة كأداة مهمة من أدوات التفسير بغية الوصول إلى فهم صحيح للآية، وفيما يلي بعض هذه النماذج :

• قول الله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مَبْصُرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾^(١) الآية، قال الغزالي : (معناه: آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ولم يدر أنهم بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم)^(٢).

• ومن ذلك: الإشارة إلى ضرورة التنبيه إلى قاعدة السياق والربط بين الآيات حتى يتكامل المعنى ويتصل ببعضه، ومن ذلك :

• في قوله تعالى : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾^(٣) الآية، قال الغزالي؛ (فهذا الكلام غير متصل، وإنما عائد إلى قوله السابق : قل الأنفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، أي : فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راضٍ بخروجك وهم كارهون، فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره، ومن هذا النوع قوله عز وجل: ﴿حَتَّى تَوَدُّوا بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا﴾^(٤) الآية)^(٥).

ومراد الغزالي أن الكلام غير متصل لفظاً، ولكنه منسجم من حيث المعنى، وفي هذا رد على من يدعي وجود آيات غير مترابطة في القرآن أو وجود خلل في النظم .

(١) سورة الإسراء، ٥٩.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين (٣٨٦/١).

(٣) سورة الأنفال، ٥.

(٤) سورة الممتحنة، ٤.

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٨٧/١)، وينظر في هذه القضية الخطابي، رسالة في بيان إعجاز القسوان،

• ومن ذلك ضرورة التنبه للتقديم والتأخير في الآيات :

قال الإمام الغزالي : (لأن عدم مراعاة ذلك مظنة الغلط، كقوله تعالى : ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى﴾^(١) الآية، ومعناه : لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام)^(٢) . وسيأتي الحديث حول هذه الأمثلة في مبحث التفسير اللغوي إن شاء الله - تعالى - .

المطلب الثاني: مسلك الإمام الغزالي في التفسير بالرأي الجائز :

يمكن حصر مسلك الإمام الغزالي في التفسير بالرأي في النقاط الآتية :

١ - استعراض الأقوال في الآية وذكرها دون تعقيب:

ومن الأمثلة على ذلك :

أولاً: في تفسير قوله تعالى : ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾^(٣) الآية، قال الغزالي : (لها تأويلان : أحدهما : أنه خطاب مع المنتشي الذي ظهر فيه مبادئ النشاط والطرب ولم يزل عقله؛ فإنه قد يستحسن من اللعب والانبساط ما لا يستحسنه قبل ذلك ولكنه عاقل، وقوله تعالى : ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾^(٤) الآية، معناه : حتى تتبينوا ويتكامل فيكم ثباتكم، كما يقال للغضبان: اصبر حتى تعلم ما تقول، أي حتى يسكن غضبك فيكمل علمك، وإن كان أصل عقله باقيا وهذا لأنه لا ينشغل بالصلاة إلا مثل هذا السكران، وقد يعسر عليه تصحيح مخارج الحروف وتمام الخشوع .

ثانياً: أنه ورد الخطاب به في ابتداء الإسلام قبل تحريم الخمر، وليس المراد المنع من الصلاة، بل المنع من إفراط الشرب في وقت الصلاة كما يقال : لا تقرب التهجد وأنت

(١) سورة طه، ١٢٩

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٨٧)

(٣) سورة النساء، ٤٣ .

(٤) سورة النساء، ٤٣ .

شبعان، ومعناه لا تشبع فيثقل عليك التهجّد(١)، وفي هذا المثال يتبين أن الغزالي أخذ بالرأيين الواردين في تأويل الآية دون ترجيح أحدهما على الآخر، فالمعنى عنده يحتمل هذا وذلك . ولعل الصواب ما ذكره ابن كثير إذ قال : (الخطاب يتوجه إلى من يفهم الكلام دون السكران الذي لا يدري ما يقال له ، فإن الفهم شرط التكليف ، وقد يحتمل أن يكون المراد التعريض بالنهي عن السكر بالكيفية لأنهم مأمورين بالصلاة في الخمسة أوقات من الليل والنهار ، فلا يتمكن شارب الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائما ، وقوله تعالى : ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ هذا أحسن ما يقال في حد السكران أنه الذي لا يدري ما يقول ، فإن المخمور فيه تخليط في القراءة وعدم تدبره وخشوعه فيها (٢) .

وعلى هذا فإن الرأي الثاني الذي أورده الإمام الغزالي هو الأول بالصواب - والله أعلم -

* وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ (٣) الآية، قال الغزالي : (قيل معناه : لبيع أحد ثوبيه، وقيل معناه : فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله، وقال بعضهم : إن الله تعالى عبدا ينفقون على قدر بضائعهم، والله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى) (٤) .

هنا يورد الإمام الغزالي في بيان هذه الآية معنيين ، الأول : (لبيع أحد ثوبيه) والمقصود بمن يبيع أحد ثوبيه هو الفقير الذي حاله السخاء والبذل ولكنه لا يملك ما يعطيه لغيره ممن هو أفقر منه فلا يجد إلا ثوبا من أثوابه ليبيعه فهذا ما آتاه الله - تعالى - .

والمعنى الثاني : (فليستقرض بجاهه) والإستقرض بالجاه يعني : أن يستقرض من غيره مالا على حسن الظن بالله تعالى لا على اعتماده على الظلمة من الأغنياء ، فإن رزقه الله - تعالى - من حلال قضاه لغرمائه ، وإن مات قبل القضاء قضاه الله - تعالى - عنه،

(١) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (١/١٦٠).

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (١/٦٦٦).

(٣) سورة الطلاق، ٧ .

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٥/٧١).

فالذي يستقرضه إنما هو لأجل الصرف على مواضع الثواب وإن سداه إنما هو من الفيض المطلق ، أي ما يبعثه الله تعالى وييسره لا عن جهة معلومة معينة يركن إليها (١).

ومعنى هذه الآية واضح ، قال الألوسي : (المراد لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه ، والظاهر أن المأمور بالإنفاق الآباء وهذه الآية أصل في وجوب النفقة على الأب) (٢)، ولهذا فإن ما ذهب إليه الإمام الغزالي محتمل وإن لم يعقب على ما نقله من أقوال ولم يتبعها بالنقل أو الرد .

* وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ﴾ (٣) الآية، قال الإمام الغزالي : (فيها معنيان : أحدهما : يخلف أحدهما الآخر في الفضل، والثاني : أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما) (٤) .

وقد وضح حجة الإسلام هذا المعنى بقوله: (وَالذِّكْرُ هُوَ أَفْضَلُ أَعْمَالِ النَّهَارِ لِأَنَّهُ وَقْتُ غَفْلَةِ النَّاسِ عَنِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَاسْتِغْلَالِهِمْ بِهَمُومِ الدُّنْيَا، فَالْقَلْبُ الْمَتَقَرِّغُ لخدمَةِ رَبِّهِ - تَعَالَى - عِنْدَ إِعْرَاضِ الْعَبِيدِ عَنِ بَابِهِ جَدِيرٌ بِأَنْ يَزْكِيَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَيُصْطَفِيَهُ لِقُرْبِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَفَضْلُ ذَلِكَ كَفَضْلِ إِحْيَاءِ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّيْلَ وَقْتُ الْغَفْلَةِ بِالنَّوْمِ، وَهَذَا وَقْتُ الْغَفْلَةِ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى وَالِاسْتِغْلَالِ بِهَمُومِ الدُّنْيَا) (٥)

في تفسير هذه الآية على ما ينقل الإمام الغزالي رأيان : الرأي الأول : أن النهار قد يكون فضله كفضل الليل في الذكر وذلك إذا اشتغل فيه المسلم بالذكر والصلاة ، وهذا الفضل يأتي بتفرغ المسلم لهذه الأعمال والطاعات في الوقت الذي ينهمك فيه بأعمالهم ويشغلون فيه بدنياهم تماما كما يشتغل المسلم بقيام الليل والذكر والناس نيام ، فمن هنا جاء التساوي في الفضل .

(١) الزبيدي ، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، (٣٠١/٩).

(٢) الألوسي . روح السعاني ، (١٤٠/٢٨).

(٣) سورة الفرقان ، ٦٢ .

(٤) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (١٦/٢)، وينظر للمزيد أيضا الغزالي ، منهاج العابدين ، ص ٢١٥ ، إحياء علوم الدين ، (٣٩١/١ ، ٤١٢) ، (٢٥/٢) .

(٥) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (١٦/٢) .

وأما الرأي الثاني فيلاحظ فيه جانب استدراك الفضل ، وذلك أن من لم يتفرغ للعبادة والطاعات وذكر الله - تعالى - في الليل لأجل نومه وغفلة فيه أو عمله أو ما شابه ذلك فيستدرك الخير الذي فاتته فيه في النهار ، فالأفضلية متحققة فيه على ما سبق ذكره من حيث أنه وقت غفلة الناس عن الله - عز وجل - واشتغالهم بأمور دنياهم .

وقد عرض الإمام الغزالي هذين الرأيين دون ترجيح ، والذي يبدو أن الرأيين متقاربان وليسوا بعيدين عن مضمون الآية على ما ترى، قال الإمام الطبري : (قال الحسن : جعل أحدهما خلفا للآخر إن فات رجلا من النهار شيء أدركه من الليل ، وإن فاته من الليل شيء أدركه من النهار ، وقال آخرون : إن الله - تعالى - جعل كل واحد منهما خلفا من الآخر في أن ما فات أحدهما من عمل يعمل فيه الله أدرك قضاؤه في الآخر قاله ابن عباس)^(١).

ب- استعراض الأقوال المختلفة في تفسير الآية ومحاولة الجمع والتوفيق بينها:

ومما جاء في ذلك: في تفسير قوله تعالى : ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾^(٢) الآية، قال الغزالي : (اعلم انه قيل: أن الشاكر أفضل من الصابر بدليل قوله تعالى : ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ فجعلهم أخص الخواص، وقال في نوح -عليه السلام- : ﴿إنه كان عبدا شكورا﴾^(٣)، وقال في إبراهيم: ﴿شاكرا لأنعمه﴾^(٤) الآية، ولأنه في منزلة الإنعام والعافية، ولذلك قيل لنن انعم فاشكر احب إلي من ان ابتلى فاصبر، وقيل : بل الصابر افضل، لأنه أعظم مشقة فيكون أعظم ثوابا وأرفع منزلة، قال تعالى : ﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد﴾^(٥) الآية، وقال: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾^(٦) ، وقال تعالى: ﴿والله يحب الصابرين﴾^(٧) (٨).

ويعقب الغزالي على هذين الرأيين محاولا التوفيق بينهما فيقول : (قلت أنا: الشاكر بالحقيقة لا يكون إلا صابرا، والصابر بالحقيقة لا يكون إلا شاكرا، لأن الشاكر في دار المحنة

(١) الطبري ، جامع البيان في تأويل أي القرآن ، (٣٠/١٩-٣١)

(٢) سورة سبأ، ١٣ .

(٣) سورة الإسراء، ٣ .

(٤) سورة النحل، ١٢١ .

(٥) سورة ص، ٤٤ .

(٦) سورة الزمر، (١٠) .

(٧) سورة آل عمران، ١٤٦ .

(٨) الغزالي، منهاج العابدين، ص ٣٩١ .

لا يخلو من محنة يصبر عليها لا محالة ولا يجزع، فإن الشكر تعظيم المنعم على حد يمنع من عصيانه*، والجزع عصيان، والصابر لا يخلو من نعمة، فإنه شكر بالحقيقة إذ صبر؛ لأنه حبس نفسه عن الجزع تعظيماً لله تعالى، وهذا هو الشكر بعينه، إذ هو تعظيم يمنع عن العصيان، ولأن الشاكر يمنع نفسه عن الكفران فصبر عن المعصية وحمل نفسه على الشكر، وصبر على الطاعة فصار صابراً على الحقيقة، والصابر عظم الله تعالى، حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما أصابه وحمله على الصبر فقد شكر الله تعالى فصبر شاكراً بالحقيقة^(١)، وفي هذا المثال يربط الغزالي بين المعاني ويجعل الصابر شاكراً والشاكر صابراً بالحقيقة، فلا انفكاك بينهما، وهذا توفيق بين الرأيين وجمع بينهما، فهو يشير إلى أن الشدائد نعم بالحقيقة؛ إذ هي تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة ولربما كانت المصائب والشدائد سبباً في زيادة شرف العبد ورفعة درجته فتكون بالحقيقة نعماً تستحق الشكر، فعلى هذا فإن الصبر يستلزم الشكر كما أن الشكر لا ينفك عن الصبر بحال، وفي هذا يقول الإمام الغزالي: (ولا شدة إلا وفي جنبها نعم الله - تعالى -، فيلزم الشكر على تلك النعم المقترنة بها دون نفوس الشدة)^(٢).

والإنسان في هذه الحياة في ابتلاء دائم سواء أكان ذلك في مصائبه أم نعمه، في سرائه أم ضرائه، ونلاحظ أن هذا التوفيق بين الرأيين من قبل الإمام الغزالي فيه دلالة على علم غزير ومعرفة واسعة وفهم عميق.

* وفي تفسير قوله تعالى: «وأتموا الحج والعمرة لله»^(٣) الآية، قال الإمام الغزالي: أوصى عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - بنيه عند موته فقال: يا بني حجوا مشاة فإن للحاج الماشي بكل خطوة بخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم، قيل: وما حسنات الحرم؟ قال: الحسنات بمائة ألف، والاستحباب في المشي في المناسك، والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى أكد منه في الطريق، وإن أضاف إلى المشي الإحرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج، قاله عمر وعلي وابن مسعود، وقال بعض العلماء: الركوب أفضل لما

(١) الغزالي، منهاج العابدين، ص ٣٩٢.

* قال القرطبي: (حقيقة الشكر: الإعراف بالنعمة للمنعم واستعمالها في طاعته)، جامع أحكام القرآن، (٢٧٦/١٤).

(٢) الغزالي، منهاج العابدين، ص ٣٨٩.

(٣) سورة البقرة، ١٩٦.

فيه من الإنفاق والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب لسلامته وتمام حجّه، وهذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأول، بل ينبغي أن يُفصل ويقال : من سهل عليه المشي فهو أفضل، فإن كان يضعف ويؤدي به إلى ذلك سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل، كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق^(١).

وهنا يقرب بين الرأيين ويجعلهما متداخلين فلا تناقض في المعنى حيث يفهم من كلام الرأيين أن المشي أفضل لمن سهل عليه ذلك، وأما من شق عليه ذلك لأمر جسدي فالركوب له أفضل، ولم يتطرق لبقية الأقوال الواردة في بيان الآية، وللعلماء أقوال مختلفة في بيان معنى إتمام الحج، قال القرطبي : (اختلف العلماء في المعنى المراد بإتمام الحج والعمرة لله، فقيل : أدائهما والإتيان بهما، وهذا على مذهب من أوجب العمرة، ومن لم يوجبها قال : المراد إتمامهما بعد الشروع فيهما، فإن من أحرم بنسك وجب عليه المضي فيه ولا يفسخه، وقيل : إتمامهما أن تخرج قاصدا لهما لا لتجارة ولا لغير ذلك. وقال عمر - رضي الله عنه - : إتمامهما أن يفرد كل واحد منهما من غير تمتع وقران، وقيل : إتمامهما ألا تستحلوا فيهما ما لا ينبغي لكم، وذلك أنهم كانوا يشركون في إجرامهم فيقولون : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فقال : فأتموهما ولا تخلطوهما بشيء آخر)^(٢).

وفي تفسير قوله تعالى : * يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى^(٣) قال الإمام الغزالي : (و اختلفوا في حقيقة المن * والأذى، فقيل المن أن يذكرها والأذى أن يظهرها. قال سفيان الثوري : من منّ فسدت صدقته. فقيل له كيف المن؟ فقال : أن يذكره ويتحدث به. وقيل : المن أن يستخدمه بالعتاء، والأذى أن يعيره بالفقر، وقيل : المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٤٩/١).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣٦٥-٣٦٦).

(٣) سورة البقرة، ٢٦٤.

* أصل المن : القطع، ويقال النقص، والأذى أن توبخ المعطى، فأعلم الله أن المن والأذى يبطلان الصدقة، ينظر ابن منظور، لسان العرب، (٤١٨/١٣)، وقال القرطبي : (الأذى : السب والتشكي وهو أعم من المن، لأن المن جزء من الأذى، لكنه نص عليه لكثرة وقوعه) الجامع لأحكام القرآن، (٣٠٨/٣).

وسلم-: ((لا يقبل الله صدقة منان))^(١)، وعندني: إن المن له أصل^(٢) ومغرس؛ وهو من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح، فأصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعماً عليه، وحقه أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول حق الله - عز وجل - منه الذي هو طهرته^(٣) ونجاته من النار وأنه لو لم يقبله - الفقير - لبقى مرتهاً^(٤) به، فحقه أن يتقلد منه الفقير إذ جعل كفه نائباً عن الله - عز وجل - في قبض حق الله - عز وجل -، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إن الصدقة بيد الله - عز وجل - قبل أن تقع في يد السائل))^(٥)، فليتحقق أنه مسلم إلى الله - عز وجل - حقه والفقير أخذ من الله - تعالى - رزقه بعد صيرورته إلى الله - عز وجل -، ولو كان عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت منته سفهاً وجهلاً، فإنه المحسن إليه المتكفل برزقه، أما هو فإنما يقضي الذي لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره، ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسناً إلا إلى نفسه إما ببذل ماله إظهاراً لحب الله - تعالى - أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل أو شكراً على نعمة المال طلباً للمزيد، وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسناً إليه. ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسناً إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوفير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور فهذه كلها ثمرات المنة، ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه.

وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعبير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك السرير بالإظهار وفنون الاستخفاف، وباطنه منبعه وهو أمران، أحدهما: كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه، فإن ذلك يضيق الخلق لا محالة، والثاني: رؤيته أنه خير من الفقير وأن

(١) الطبراني، المعجم الكبير، رقم ٧٥٤٧، (١١٩/٨).

(٢) أصل يعتمد عليه ومغرس تنفرع منه أفنائه، الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، (١١٩/٤).

(٣) من الأخلاق الرذيلة كالبخل والشح والإقتار، الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، (١٢٠/٤).

(٤) معلقاً كالرهن في ذمته، الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، (١٢٠/٤).

(٥) الطبراني، المعجم الكبير، رقم ٨٥٧١، (١٠٩/٩).

الفقير لسبب حاجته أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل، أما كراهية تسليم المال فحقوق، لأن من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي ألفا فهو شديد الحق، ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله - عز وجل - والثواب في الدار الآخرة، وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل، أو شكر لطلب المزيد، وكيفما فرض فالكرهية لا وجه لها، وأما الثاني فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل الفقير على الغني وعرف خطر الأغنياء لما استحق الفقير، بل تبرك به وتمنى درجته. فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسائة عام^(١)، ولذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((هم الأخرسون ورب الكعبة، فقال أبو ذر: من هم؟ قال: هم الأكثرون أموالا))^(٢) الحديث، ثم كيف يستحق الفقير وقد جعل الله تعالى متجره له إذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة، وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم إليه، فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير، ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق^(٣) وحراسة الفضلات، إلى أن يموت فيأكله أعداؤه، فإذا مهما انتقلت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله - تعالى - له في الواجب وتقبيل الفقير حتى يخلصه عن عهده بقبوله منه، انتقى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبديل بالاستبشار والثناء وقبول المنة، فهذا منشأ المن والأذى^(٤).

(وهنا ذكر رحمه الله تعالى - بعض أقوال العلماء في معنى المن والأذى ثم بين رأيه في ذلك وهو أن المن له أصل مغروس في القلب، وهو أن يعتقد أنه محسن إلى الفقير، ومنعم عليه، ثم تفرع منه على ظاهره ما قيل في معنى المن من التحدث به وإظهاره، وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء، والخدمة، والتوفيق، والتعظيم، والقيام بالحقوق، والتقديم في المجالس،

(١) حديث دخول فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بخمسائة عام، أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، رقم ٢٣٥٣، (٤/٤٩٩).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كان يمين النبي - صلى الله عليه وسلم -، رقم ٦٦٣٨. ومعه فتح الباري بشرح البخاري للعسقلاني، (١١/٦٤٣).

(٣) بالأسفار في طلب الربح، وحراسة الفضلات الزائدة عن حاجة الفقير، الزبيدي. إتحاف السادة المتقين، (٤/١٢٢).

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٢٨٦-٢٨٧).

والمتابعة في الأمور، وما إلى ذلك من الأمور التي هي ثمرات المنة، وأما الأذى فله أصل كذلك وهو أمران أحدهما: كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه، والثاني: رؤيته أنه خير من الفقير، ثم تفرع من هذين الأمرين على ظاهره ما قيل في معنى الأذى من التوبيخ، والتعيير، وتخشين الكلام، وتقطيب الوجه، وهتك الستر بالإظهار، وفنون الاستخفاف، وقد أجاد الغزالي في تحقيق هذا المعنى حيث استطعنا به أن نوفق بين جميع الأقوال الواردة في تفسير هذه الآية الكريمة^(١) 'وأود الإشارة هنا إلى ما ذكره الإمام القرطبي بقوله: (عبر تعالى عن عدم القبول وحرمان الثواب بالإبطال و المراد الصدقة التي يمن بها ويؤذي لا غيرها، والعقيدة أن السيئات لا تبطل الحسنات ولا تحبطها، فالمن والأذى في صدقة لا يبطل صدقة غيرها، قال جمهور العلماء في هذه الآية: إن الصدقة التي يعلم من صاحبها أنه يمن أو يؤذي فإنها لا تقبل)^(٢).

فالإبطال بالمن والأذى لأجر الصدقة التي يكون فيها المن والأذى لا سائر الصدقات .

ج- استنباط المعاني واستخراجها من خلال إطالة النظر في الآيات القرآنية، ومن ذلك:

في تفسير قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾^(٣)

الآية، قال الإمام الغزالي: اعلم أي تأملت هذه الآيات فوجدت فيها مع قصرها ثلاثة معان عزيزة: تادب وتنبيه وتهديد، فأما التاديب^(٤): فقوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين﴾، ولا بد للعبد من امتثال أمر السيد والتأدب بأدبه وإلا فيكون سيئ الأدب، فيحجب فلا يؤن له في حضور المجلس والمثول بالحضرة، فافهم هذه النكتة، وتأمل ما تحتها فإن فيها ما فيها .

(١) الباحث عدنان يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين، ص ١٦٨.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣/٣١١).

(٣) سورة النور، ٣٠.

(٤) ويدل على الأدب قوله تعالى ﴿يغضوا﴾ وهو جواب الطلب فيصير المعنى قل للمؤمنين غضوا من أبصاركم فإن نقل لهم ذلك يغضوا من أبصارهم، وفي هذا سرعة استجابة من قبل المؤمنين ومبادرة في امتثال الأمر وهذا قمة الأدب مع الله - تعالى - .

وأما التنبيه فقوله تعالى : ﴿ذلك أذكى لهم﴾، ويطلق على معنيين والله أعلم :

أحدهما : أن ذلك أظهر لقلوبهم، والزكاة ^(١) الطهارة: والتركية : التطهير

والثاني : ذلك أنمى لخيرهم وأكثر، والزكاة في الأصل : النمو فنبه على أن في غرض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير، وذلك أنك إن لم تغض بصرك وأرخت عنانه تنظر إلى ما لا يعينك، فلا يخلو من أن تقع عينك على حرام، فإن تعمدت فذنب كبير وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك إن لم يرحم الله تعالى .

وأما التهديد : فقوله تعالى : ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾. وقال تعالى : ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ ^(٢)، وكفى بهذا تحذيرا لمن خاف مقام ربه ^(٣)، وفي هذا يقول الزمخشري : (أخبر تعالى أنه خبير بأفعالهم وأحوالهم، وكيف يجبلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم، فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون) ^(٤).

* وفي بيانه لمعنى التقوى في القرآن الكريم، قال الغزالي : (والتقوى في القرآن تطلق على ثلاثة أشياء : أحدهما : بمعنى الخشية والهيبة قال تعالى : ﴿وإياي فاتقون﴾ ^(٥)، وقال : ﴿وانتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾ ^(٦) الآية .

والثاني : بمعنى الطاعة والعبادة، قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاتسه﴾ ^(٧) الآية .

(١) الزكاة لغة بمعنى النماء والإصلاح ، وزكاة المال تطهيره ، والزكاة : صفوة الشيء ، وارض زكية : طيبة ، وقيل لما يخرج من المال للمساكين من حقوقهم زكاة ، لأنه تطهير للمال وتثمين وإصلاح ونماء ، ابن منظور ، لسان العرب . (٣٥٨/١٤).

(٢) سورة غافر ، ١٩ .

(٣) الغزالي، سنهـاج العابدین، ص ١٦١-١٦٣ .

(٤) الزمخشري ، الكشاف ، (٢٣٤/٣) .

(٥) سورة البقرة، ٤١ .

(٦) سورة البقرة، ٢٨١ .

(٧) سورة آل عمران، ١٠٢ .

والثالث : بمعنى التنزيه للقلب عن الذنوب، فهذه هي حقيقة التقوى دون الأولين، ألا ترى أن الله تعالى يقول : «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون» (١) ، ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى، فعلمت أن حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تنزيه القلب عن الذنوب (٢)، وهذه المعاني التي أوردتها الإمام الغزالي معانٍ لازمة للتقوى وليس هي تعريف للتقوى، وذلك بالرجوع إلى الأصل اللغوي للكلمة إذ هي بمعنى الوقاية (٣)، فعلى هذا فإن معنى التقوى المستند إلى اللغة : أن يجعل بينه وبين عذاب الله - تعالى- أو معصيته وقاية ، وأما اللازم لهذه الوقاية فهي العبادة والطاعات والهيبة منه- سبحانه- وخشيته ثم يتدرج المرء إلى أن ينزه القلب عن الذنوب ، والمعنى الثالث الذي كرهه الإمام الغزالي إنما هو ما جاء على لسان أهل الحقيقة - المتصوفة- جاء في التعريفات : (التقوى في اللغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية ، وعند أهل الحقيقة : الاحتراز بطاعة الله - تعالى- عن عقوبته ، وهي صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك ، والتقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر ، وقيل : أن يتقي العبد ما سوى الله- تعالى-، وقيل : المحافظة على آداب الشريعة ، وقيل : مجانية كل ما يبعدك عن الله - تعالى- وقيل : ترك حظوظ النفس ، وقيل : الاهتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام - قولاً وفعلًا) (٤).

د- ذكر الأقوال ومناقشتها والخروج برأي يميل إليه:

- في تفسير قول الله تعالى : «وعلم آدم الأسماء كلها» (٥) الآية، قال الإمام الغزالي : (فإن قيل: إنه كان بوحسي وتوفيق فيدل على الوقوع وإن لم يدل على استحالة خلافه، قلنا : وليس ذلك دليلاً قاطعاً على الوقوع؛ إذ يتطرق إليه أربع احتمالات :

(١) سورة النور، ٥٢.

(٢) الغزالي، منهاج العابدين، ص ١٥٦.

(٣) أبو بكر الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٣٠٥ .

(٤) الجرجاني ، التعريفات ، ص ٩٠ ، المناوي ، التوقيفات على مهمات التعريفات ، ص ٢١٦

(٥) سورة البقرة، ٣١.

أحدها: أنه ربما ألهمه الله تعالى الحاجة إلى الوضع فوضع تدبيره وفكره، ونُسب ذلك إلى تعليم الله تعالى، لأنه الهادي والملهم ومحرك الداعية كما تنسب جميع أفعالنا إلى الله تعالى .

الثاني : أن الأسماء ربما كانت موضوعاً باصطلاح من خلق الله تعالى قبل آدم، من الجن أو فريق من الملائكة، فعلمه الله تعالى ما تواضع عليه غيره .

الثالث : أن الأسماء صيغة عموم فلعله أراد به أسماء السماء والأرض، وما في الجنة والنار دون الأسماء التي حدثت مسمياتها بعد - آدم عليه السلام - من الحرف والصناعات والآلات، وتخصيص قوله تعالى : «كلها» كتخصيص قوله : «وأوتيت من كل شيء»^(١) الآية، وقوله : «تدمر كل شيء بأمر ربها»^(٢) الآية، وقوله تعالى : «إن الله على كل شيء قدير»^(٣) ، إذ يخرج عنه ذاته وصفاته .

الرابع : إنه ربما علمه ثم نسيه أو لم يعلم غيره ثم اصطاح بعده أولاده على هذه اللغات المعهودة الآن، والغالب أن أكثرها حادثة^(٤) .

وفي هذا المثال كما يرى يتطرق الغزالي إلى الرأي القائل بتوقيفية اللغات من خلال الآية القرآنية، ويردّ هذا القول مستنداً إلى الآية القرآنية ولغة العرب ويميل إلى أن غالب هذه اللغات حادثة^(*) .

(١) سورة النمل، ٢٣ .

(٢) سورة الأحقاف، ٢٥ .

(٣) سورة النحل، ٧٧ .

(٤) الغزالي، المستقصى من علم أصول الفقه، (١١-١٠/٢) .

(*) وينظر في ذلك ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٣٩، وقد اختلفت أقوال العلماء في هذه المسألة على أقوال: فمنهم من قال إن اللغة توقيفية، وإليه ذهب الأشعري وابن فورك، ومنهم من قال إن الواضع للغة بشر أي أن اللغة اصطلاحية وإلى هذا ذهب أبو هاشم المعتزلي، ومنهم من قال إن ابتداء اللغة وضع للتعليم من الله - سبحانه وتعالى - والباقي بالاصطلاح. ومنهم من قال إن ابتداء اللغة وقّع بالاصطلاح والباقي توقيفي وبه قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني. ينظر الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، (١/٨٩-٩٥) .

هـ - استيعاب الآيات في الموضوع الواحد وفهمها من خلال السياق، وإظهار بعض دلالاتها العظيمة .

ومما جاء من ذلك ما يلي :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ليس الله بكاف عبده﴾^(١) الآية، قال الغزالي : (فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه الآية، فإنه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى : ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾^(٢) وقال عز وجل : ﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾^(٣)، أي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجانبه والتجأ إلى ذمامه وحماه، وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره، وقال تعالى : ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾^(٤) الآية، بين أن كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه، وقال تعالى : ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه﴾^(٥) الآية، وقال عز وجل : ﴿والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾^(٦) وقال عز وجل : ﴿يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذن﴾^(٧) الآية، وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار* ، والتوكل على الله الواحد القهار^(٨)).

(١) سورة الزمر، ٣٦.

(٢) سورة الإنسان، ١.

(٣) سورة الأنفال، ٤٩.

(٤) سورة الأعراف، ١٩٤.

(٥) سورة العنكبوت، ١٧.

(٦) سورة المنافقون، ٧٠.

(٧) سورة يونس، ٣.

(٨) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١١٦/٥).

و- الإشارة إلى بعض اللطائف القرآنية وروائع الأسرار في القرآن الكريم :

ومن الأمثلة على ذلك :

قال الغزالي : (ومن الآيات اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجاء قوله تعالى : ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١) ثم قال في عقبه : ﴿وَأَن عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾^(٢) لئلا يستولي عليك الرجاء بمرّة وقوله ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣) ثم قال في عقبه : ﴿ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٤) لئلا يستولي عليك الخوف بمرّة، وأعجب من ذلك قوله تعالى : ﴿وَيَحْذَرِكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٥)، ثم قال في عقبه تعالى : ﴿وَاللَّهُ رُؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٦) وأعجب منه قوله سبحانه : ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْبَاطِنَ﴾^(٧) الآية، علّق الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار أو المنتقم والمتكبر ونحوه لتكون الخشية مع ذكر الرحمة فلا تكون الخشية تطير بقلبك بمرّة فيكون تخويفاً في تأمين وتحريكاً في تسكين كما نقول : أما تخشى الوالدة الرحيمة ؟ أما تخاف الوالد الرحيم ؟ أما تخاف الأمير الكريم ؟ والمراد من ذلك ان يكون الطريق عدلاً فلا تذهب إلى أمن ولا قنوط^(٨) وينجو هذا المعنى أشار أبو السعود بقوله : (وللتعرض لعنوان الرحمانية ذكر صفة الرحمة الشاملة وهي من صفات الله - تعالى - للإشارة بأنهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته ، أو بأن أعلمهم بسعة رحمته - تعالى - لا يصددهم عن خشيته - تعالى - وأنهم عاملون

(١) سورة الحجر، ٤٩.

(٢) سورة الحجر، ٥٠.

* أي قطع التعلق بغيره سبحانه أي كان (والتوكل على الله الواحد القهار) فإن التوحيد يدخل في التوكل ضمناً ، وتام التوحيد أن لا تتوكل على أحد سواه - سبحانه - ، فالتوكل الحقيقي هو الاعتماد المطلق على الله - تعالى - وتفويض الأمر إليه ، وهذا المعنى العام الذي نبه عليه حجة الإسلام مذكور في آيات كثيرة ، ونظراً لأهمية هذا الموضوع وخطورته ركز عليه القرآن الكريم في أكثر من موضع ، وما استشهد به حجة الإسلام إنما هو لتثبيت مفهوم التوكل في القلوب .

(٣) سورة غافر، ٣.

(٤) سورة غافر، ٣.

(٥) سورة آل عمران، ٣٠.

(٦) سورة آل عمران، ٣٠.

(٧) سورة ق، ٣٣.

(٨) الغزالي، منهاج العابدين، ص ١٧٣.

بموجب قوله - تعالى - ﴿نبئ عبادي إني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾^(١)

وعلى هذا فإن الآيات تجمع بين الترغيب والترهيب .

* وفي قوله تعالى : ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾^(٢)، قال الغزالي : (أمر بالاستعاذة من شر الشيطان والساحر، فانظر كم للحاسد من الشر والفتنة حتى أنزله منزلة الشيطان والساحر، حتى أن لا مستعان عليه ولا مستعاذ إلا بالله رب العالمين)^(٣)، في هذا المثال يلفت الإمام الغزالي النظر إلى لطيفة من لطائف القرآن الكريم وهي التنبيه على شر الحسد، إذ إنه يفعل ما يفعله السحر وما يكيد الشيطان ويقوم به من مس أو ما شابهه، بل ربما كان ضرره أشد، ولأجل هذا نزل منزلة الشيطان والساحر من حيث أنه يستعاذ بالله من شره وفتنته، قال أبو السعود : ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ أي إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادئ الإضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً، والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله إنما يحق بالحسد لا غيره^(٤).

وهنا يلحظ تذوق الإمام الغزالي لتفسير الآيات الكريمة ودقة استخراج المعاني منها من خلال طول النظر وإتمام الفكر فيها .

ز - ذكر المعاني للآية بإيجاز واختصار :

وإذا كان الغزالي قد أطنب وأطال في تفسير بعض الآيات، إلا أنه كان أحياناً يكتفي ببيان غريب القرآن، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك :

(١) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، (١٣٣/٨).

(٢) سورة الفلق، ٥.

* الحسد : تمنى زوال النعمة عن العبد المنعم عليه ، الغزالي إحياء علوم الدين ، (٣٥٧/٣)، فانظر كم للحاسد من الشر بحيث تدفعه نفسه الأمانة بالسوء إلى العمل بمقتضى هذه الحالة النفسية المريضة السيئة ، ولهذا فإن القرآن الكريم نبه إلى الاستعاذة من شر الحاسد وحسده .

(٣) الغزالي منهاج العابدين، ص ٩٣

(٤) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، (٢١٥/٩).

* في قوله تعالى : «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون»^(١) ، قال الغزالي : (أي نسبيغ عليهم النعم وننسيهم الشكر)^(٢) .

* في قوله تعالى : «أنفقوا مما رزقناكم»^(٣) ، قال الغزالي : (أي مما ملكناكم)^(٤) .

* في قوله تعالى : «فصبر جميل»^(٥) الآية، قال الغزالي : (لا شكوى فيه)^(٦) .

* في قوله تعالى : «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا»^(٧) الآية، قال الغزالي : (قلت

أنا: تقديره - والله أعلم- إنا وجدنا منك نعمة فطمعنا في أخرى؛ لأنك أنت الجواد الوهاب، فكما وهبت لنا مزية الإنعام في الابتداء- نعمة الإسلام-، فهب لنا رحمة الإتمام في الانتهاء- الخاتمة-)^(٨).

ح- وجود نظرات عامة للآيات القرآنية من خلال إنعام النظر في القرآن الكريم :

وهذه النظرات حقيقة فيها دلالة واضحة على مدى تبحر الإمام في فهم القرآن، ودقته

في الحكم والتعبير، ومما جاء من الأمثلة على ذلك :

(١) سورة القلم، ٤٤ .

(٢) الغزالي، منهاج العابدين، ص ٤٠٤ . وينظر هذا التفسير عند السيوطي ، الدر المنثور ، (٦١٨/٣) .

(٣) سورة المنافقون ، ١٠ .

(٤) الغزالي، منهاج العابدين ص ٤٠٤ . وعن الضحاك : الزكاة والنفقة في الحج ، السيوطي ، الدر المنثور، (١٨٠/٨) ، والآية عامة في ذلك إذ تشمل الزكاة وصدقة التطوع والنفقة في الجهاد وغير ذلك . الكلبى ، التسهيل لعلوم التنزيل، (١٢٣/٤) .

(٥) سورة يوسف، ١٨ .

(٦) الغزالي، رسالة التوحيد، ص ١٦٦ .

(٧) سورة آل عمران، ٨ .

(٨) الغزالي، منهاج العابدين، ص ٤٠٧ . قال ابن كثير : (لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ، ولا تجعلها كالذين في قلوبهم زيغ الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ، ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ودينك القويم ، (وهب لنا من لدنك رحمة) تثبت بها قلوبنا وتجمع بها شملنا) ، تفسير القرآن العظيم ، (١/٤٦٤) . وينظر للمزيد أيضا المستصفي من علم أصول الفقه (٢/١٩٥ ، ٢٦٩) ، ومنهاج العابدين، ص ٢٤٩ ، ص ٢٧٢ ، رسالة التوحيد، ص ١٥٨ .

قوله : (والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى : **«وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى»** ^(١) لكان كافيا، إذ علق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن أحادها، وأشد منه قوله تعالى : **«فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين»** ^(٢) وقوله تعالى : **«ليسأل الصادقين عن صدقهم...»** ^(٣) الآية، وقوله تعالى : **«سنفرغ لكم أية الثقلان»** ^(٤)، وقوله عز وجل : **«أفأمنوا مكر الله»** ^(٥) الآية، وقوله : **«وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد»** ^(٦) وقوله تعالى : **«يسوم نحشور المتقين إلى الرحمن وفدا»** ^(٧) وقوله تعالى : **«وإن منكم إلا واردها»** ^(٨) وقوله تعالى : **«اعملوا ما شئتم»** ^(٩) الآية، وقوله تعالى : **«من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه»** ^(١٠) الآية، وقوله تعالى : **«فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره»** ^(١١)، وقوله تعالى : **«وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا»** ^(١٢).

وكذلك قوله تعالى : **«والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»** ^(١٣) فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران ^(١٤)

(١) سورة طه، ٨٢.

* يعني على وجه الحقيقة والكمال. على معنى أنه يعجز عن التوبة على وجه كمالها وكذلك الأمر بالنسبة للإيمان والعمل الصالح والهداية .

(٢) سورة القصص، ٦٧.

(٣) سورة الأحزاب، ٨.

(٤) سورة الرحمن، ٣١.

(٥) سورة الأعراف، ٩٩.

(٦) سورة هود، ١٠٢.

(٧) سورة مريم، ٨٥.

(٨) سورة مريم، ٧١.

(٩) سورة فصلت، ٤٠.

(١٠) سورة الشورى، ٢٠.

(١١) سورة الزلزلة، ٧.

(١٢) سورة الفرقان، ٢٣.

(١٣) سورة العصر، (٣، ٢، ١).

(١٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٢/٥)، وينظر للمزيد، المصدر نفسه، (٤/١٠٨، ١٩٩).

* قال الرازي : (هذه الآية فيها وعيد شديد ، وذلك لأنه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس إلا من كان أتيا بهذه الأثنياء الأربعة : وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر . فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور ، وأنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره أمور ، منها الدعاء إلى الدين والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنه يجب لغيره ما يجب لنفسه ، ثم كرر التواصي ليضمن الأول الدعاء إلى الله - تعالى - والثاني : الثبات عليه ، والأول : الأمر بالمعروف ، والثاني : النهي عن المنكر) ، مغايب الغيب (١٦/٣٢-٨٠-٩٠) . وهذه الآيات التي أوردها الإمام الغزالي فيها من التحذير والوعيد ما يدعو إلى الحذر والاستعداد للقيام بما يتوجب عمله لاتقاء عذاب الله - تعالى - .

• ومن ذلك أيضا قوله : (وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلي في سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل إليه، وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى ﴾^(١) . ومعنى سلوك مسلك المضادة المخالفة للنفس والمجاهدة لها في جميع حركاتها ، وحول هذا المعنى قال الرازي : (اعلم أن الخوف من الله - تعالى - لا بد أن يكون مسبوفا بالعلم بالله - تعالى - على ما قاله سبحانه : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾^(٢) ، ولما كان الخوف من الله - سبحانه - هو السبب المعين لدفع الهوى لا جرم قدم العلة على المعلول (الخشية على العلم) وكما دخل في ذينك الصفتين جميع القبايح دخل في هذين الوصفين جميع الطاعات والحسنات)^(٣) .

ومما قاله أيضا الإمام الغزالي في هذا الصدد: (قال الله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ﴾^(٤) إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإفحامه خصمه في معرض الثناء عليه، وقال - عز وجل - : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ﴾^(٦)، وقال تعالى في قصة فرعون: ﴿ قال فرعون وما رب العالمين ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أولو جنثك بشيء مبین ﴾^(٧) ، وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار)^(٨)

(١) سورة النازعات، (٤٠، ٤١).

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣/١٨٨).

(٣) سورة فاطر ، ٢٨ .

(٤) الرازي ، مفاتيح الغيب، (١٦/مج ٣١/٥٢-٥٣).

(٥) سورة البقرة، ٢٥٨ .

(٦) سورة الأنعام، ٨٣ .

(٧) سورة هود، ٣٢ .

(٨) سورة الشعراء، ٢٣-٣٠ .

(٩) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/١٢٦).

قال الزبيدي في بيان هذا الكلام : (القرآن مملوء بالحجج والبراهين والأدلة على مسائل التوحيد وإثبات الصانع وإرسال الرسل وحدوث العالم ، فلا يذكر المتكلمون وغيرهم دليلا صحيحا إلا وهو في القرآن بأفصح عبارة وأوضح بيان وأتم معنى وأبعد عن الإيراد والأسئلة) (١).

ويظهر من خلال هذا المثال أن حجة الإسلام نظر نظرة كلية إلى الآيات التي تتلوت محاجة الكفار ومجادلتهم، فمن أراد أن يرجع إليها يجد الأمر سهلا ميسورا لأن القرآن الكريم كانت له عناية كبيرة بهذا الشأن.

ط. الاقتصار على رأي واحد وإثباته في النقل دون التعرض لذكر غيره: ولعل هذا يعد تصرفا من الغزالي بأن أورد رأيا واحدا من بين عدة آراء، لأن هذا الرأي مترجح لديه أو مقبول عنده دون غيره، وهذا ضرب من الرأي وإبراز للشخصية العلمية في باب المأثور، أو ما أطلق عليه الأستاذ الذهبي اللون الشخصي* في التفسير بالمأثور.

يقول الدكتور الذهبي: (من المعلوم أن الشخص الذي يفسر نصا من النصوص يكون هذا النص بتفسيره إياه، لأن المتفهم لعبارة من العبارات هو الذي يحدد معناها ومرماها وفق مستواه الفكري وعلى سعة افقه العقلي، وليس باستطاعته أن يفهم من النص إلا ما يرمى إليه فكره، في أن هذا الطابع الشخصي الذي يطبع به التفسير لا تكاد تجده لأول وهلة على هذا النحو من الوضوح والجلال بالنسبة لكتب التفسير بالمأثور، ولكن تستطيع أن تنتبه إذا ما قدرنا أن المتصدي لهذا التفسير النقلي إنما يجمع حول الآية من المرويات ما يشعر أنها متجهة إليه متعلقة به، فيقصد إلى ما يتبادر لذهنه معناها ثم تدفعه الفكرة العامة فيها إلى أن يصل بين

(١) الزبيدي ، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، (٢/٥٣).

* اللون الشخصي: هو بيان تصرف المفسر في إيراد الرأي الذي يراه الأنسب أو الأرجح لديه في فهم الآية، وهذا يعني بالضرورة اطلاعه على أكثر من رأي في تفسيرها فاختار ما يميل إليه وينتقد في ذهنه فتبينه لهذا الرأي أصبح بحكم رأيه الشخصي، وهذا ضرب من التفسير بالرأي لدى المفسر الناقل.

الآية، وما يروي حولها في اطمئنان، وبهذا الاطمئنان يتأثر نفسياً وعقلياً حينما يقبل مروياً ويعنى به، أو يرفض مروياً حيث لا يرتاح اليه^(١)، ومن الأمثلة على ذلك:-

• في تفسير قوله تعالى: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾^(٢)، قال الغزالي: (قال عكرمه: قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه)^(٣)، وهنا يكتفي الغزالي بهذا الرأي كأنه هو الذي ترجح لديه من بيج الآراء المختلفة في ذلك ومنها: (قول ابن عباس: للصلاة وقول الضحاك: من فراشك ومجلسك، ومجاهد: أينما كنت، وسعيد بن جبير: في صلاتك وقتاده: يراك قائماً وقاعداً وعلى حالائك)^(٤).

• وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾^(٥)، قال الغزالي: (قال عطاء: حلماء)^(٦)، ولعل هذا الرأي من بين الآراء المتنوعة التي قال بها الصحابة والتابعون ورأى أن هذا الرأي هو أفضلها، ومن هذه الآراء ما يلي: قال ابن عباس: علماء حكماء، وقال مجاهد: الوقار والسكينة وكذا قال الفضل، وقال قتاده، تواضعا لله تعالى لعظمته)^(٧).

• وعند تفسير قوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾^(٨)، قال الغزالي: (قال وكيع: هي أيام الصيام، إذ تركوا فيها الأكل والشراب)^(٩)، وهكذا يظهر بروز الشخصية العلمية عند الغزالي في التفسير حيث كان على سعة اطلاع بما قاله العلماء في تفسير كتاب الله تعالى.

(١) . الذهبي، التفسير والمفسرون، (١/١٥٥).

(٢) سورة الشعراء، آية (٢١٨).

(٣) الغزالي، الاحياء لعلوم الدين، (١/٢٢٤).

(٤) السيوطي، الدر المنثور، (٥/١٨٣).

(٥) سورة الفرقان، (٦٣).

(٦) الغزالي، الاحياء لعلوم الدين، (٣/٢٣٤).

(٧) السيوطي، الدر المنثور، (٥/١٤٠-١٤١).

(٨) سورة الحاقة، ٢٤.

(٩) الغزالي، احياء علوم الدين، (١/٣٠٧)، وللمزيد ينظر الاحياء، (١/٢٣٢)، (٤/٣٤-٨١)، (٦/٩٢)،

المستصفي من علم أصول الفقه، (٢/٢٦٦)، مقدمات العلماء بين يدي الخلفاء والامراء للغزالي، ص ١٥٥، ص ١٩٨.

المبحث الرابع : التفسير اللغوي عند

الإمام الغزالي

المطلب الأول : بيان معاني الألفاظ القرآنية

المطلب الثاني : الاشتقاق والصرف

المطلب الثالث : الاستشهاد بالشعر

المطلب الرابع : البلاغة العربية

التفسير اللغوي

تعد اللغة العربية ركيزة أساسية من ركائز التفسير، ولبنة من لبنات بنائه لا يمكن الاستغناء عنها، إذ لها قيمتها وأهميتها، (إذ لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن من ذات نفسه برأيه ما لم يتعلم ويعرف وجوه اللغة)^(١)، وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: (لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله تعالى إلا جعلته نكالا)^(٢).

ولقد دخلت اللغة بأصولها: النحو، والصرف، والشعر، والبلاغة ميادين التفسير بلا استثناء وظهرت جوانب العناية بها في مختلف قضاياها عند المفسرين.

اعتنى الإمام الغزالي باللغة العربية، وجاءت عنايته بها بالقدر الذي ينفك به اللفظ ويعين على فهم المعنى وتجليه القضية التي تطرحها الآية، وعدّ اللغة أداة من أدوات التفسير وأصلا من أصوله، قال رحمه الله تعالى: (الضرب الثالث - من العلوم المحمودة - المقدمات : وهي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فإنها آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع، إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب، وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة)^(٣).

وهذا يدل دلالة أكيدة على قيمة العربية في الكشف عن الأسرار القرآنية، وأن الغزالي استخدم اللغة على اعتبار أنها وسيلة كشف معاني القرآن والوقوف على غاياته ومراميه، ويتأكد هذا أثناء الاطلاع على جوانب عنايته بها - أعني بفروعها الباسقة - في ثنايا كتبه المتعددة وهذه الجوانب تتحصر فيما يلي :

(١) السمرقندي، بحر العلوم، (٧٢/١).

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٣٠٢/٢).

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٧/١)، وينظر للمزيد الغزالي، جواهر القرآن، ص ١٩، والمنقول من علم أصول الفقه، ص ١٩.

أولاً : بيان معاني الألفاظ القرآنية:

اعتمد الغزالي اللغة في بيان معاني الكلم القرآني ومعرفة المعنى اللغوي للفظ القرآني، وفيما يلي بعض الأمثلة الدالة على ذلك :

في تفسير قوله تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾^(١) قال الإمام الغزالي: (أراد به معاني الإيمان - علم العقيدة - دون الفتاوى - الفقه والأحكام الشرعية، ولعمري إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد، وإنما يتكلم في عادة الاستعمال قديماً وحديثاً، ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة^(٢)، ومعرفة آفات النفوس^(٣) ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة^(٤) بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب، ويدل عليه قوله - عز وجل - ﴿ليتفقهوا في الدين ولينذروا قولهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾^(٥) وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه، وقال تعالى: ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾^(٦)، فأحبال قلة خوفهم من الله تعالى - واستعطفهم سطوة الخلق على قلة الفقه^(٧)).

وفي هذا المثال يبين الإمام الغزالي معنى الفقه لغةً، ويرى أنه بمعنى الفهم، ويشير إلى التطور الدلالي لهذه الكلمة حيث أطلقت في العصر الأول بمعنى العقيدة ومعرفة أحوال النفوس والأخلاق ثم اصطلح فيما بعد على إطلاقه على علم الفروع.

وفي هذا إلحاح من الإمام الغزالي إلى أن هناك من الكلمات ما يبقى استعماله على حاله من أصل الوضع، وبعضها يتطور بحسب الاستعمال، وتحضرنني في هذا المقام كلمة

(١) سورة الأعراف، ٥٣.

(٢) علم العقيدة.

(٣) أي، علم الأخلاق.

(٤) أي، علم التصوف.

(٥) سورة التوبة، ١٢٢.

(٦) سورة الحشر، ١٣.

(٧) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٨٤/٥).

طَيِّبَةً للشيخ محمد رشيد رضا حول هذا المعنى إذ يقول : (أما المرتبة العليا - ممن مراتب التفسير - فهي لا تتم إلا بأمور :

أحدهما : فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن، بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة، غير مكثف بقبول فلان وفهم فلان؛ فإن كثيراً من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد، ومن ذلك لفظ التأويل اشتهر بمعنى التفسير مطلقاً، أو على وجه مخصوص، ولكنه جاء في القرآن بمعان أخرى كقوله تعالى : ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾^(١) الآية، فما هذا التأويل ؟ يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملة، ليفرق بينها وبين ما ورد في الكتاب فكثيراً ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى، فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ الهداية وغيره، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا : إن القرآن يفسر بعضه بعضاً وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول، وانفاقه مع جملة المعنى، وانتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملة).^(٢)

والتطور الدلالي للكلمة يدل على مرونة اللغة، يقول الدكتور رمضان عبد التواب: (من عوامل التطور الدلالي للكلمة كثرة دوراتها في الحديث، فإننا نلاحظ أن معنى الكلمة يزيد تعرضاً للتغير كلما زاد استعمالها وكثر ورودها في نصوص مختلفة، لأن الذهن في الواقع يوجه كل مرة في اتجاهات جديدة وذلك يوحى إليها بخلق معانٍ جديدة.

(١) سورة الاعراف، ٥٣.

(٢) الشيخ محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٢١/١).

ومن هنا ينتج ما يسمى بالتأقلم، ويجب أن يفهم من هذا الاسم قدرة الكلمات على اتخاذ دلالات متنوعة تبعاً للاستعمالات المختلفة التي تستعمل فيها وعلى البقاء في اللغة مع هذه الدلالات، فهنا يمكن لكل المعاني أن تبقى حية في اللغة^(١).

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾^(٢)، قال رحمه الله تعالى: (الرفث^(٣)): اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام، ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن و التحدث بشأن الجماع ومقدماته، فإن ذلك يهيج داعية الجماع- أي ما يدعو إلى الجماع- المحظور والداعي إلى المحظور محظور، والفسق^(٤): اسم جامع لكل خروج عن طاعة-الله عز وجل-، والجدال^(٥): هو المبالغة في الخصومة والممارة بما يورث الفضائل ويفرق في الحال الهمة-الهمة عن الطاعة- وينلقض حسن الخلق^(٦).

وفي هذا المثال يبين حجة الإسلام معاني الرفث والفسوق والجدال المنهي عنه في الحج لأنه يؤدي إلى ضياع أجر الحاج وربما يؤدي إلى إفساد الحج، ويبين أيضاً ما يندرج تحت مسمى الرفث والفسوق والجدال حتى يحترز المسلم عن ملابس هذه المنهيات.

(١) الدكتور رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، ص ١٩٢.

(٢) سورة البقرة، ١٩٧.

(٣) قال ابن منظور: الرفث: الجماع وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته وأصله قول الفحش، والرفث أيضاً: الفحش من القول وكلام النساء في الجماع، وقيل: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة، لسان العرب، (١٥٣/٢-١٥٤).

(٤) أصل الفسق الخروج عن الأمر، يقال: فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت من قشرها، وكان الفأرة إنما سميت فريسة لخروجها من حجرها على الناس، والفسق: العصيان والسترک لأمر الله -عز وجل- والخروج عن طريق الحق، وقيل: الفسوق: الخروج عن الدين وكذلك الميل إلى المعصية، ابن منظور، لسان العرب، (٣٠٨/١٠).

(٥) الجدال والجدل: شدة الخصومة والقدرة عليها، وجادلت الرجل فجدلته أي غلبته، و جادلسه: خصمه، والجدل: شدة الخصومة، وقوله تعالى: (ولا جدال في الحج) قيل في معناه: لا ينبغي للرجل أن يجادل أخاه إلى ما لا ينبغي، المصدر نفسه، (١٠٥/١١) والمعنى الذي أشار إليه جحة الإسلام هو النهي عن الخصومة في الباطل والتي تؤدي إلى الوقوع في المحظور وإلا فقد وردت الإشارة إلى الجدال بالحسن قال تعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)، سورة العنكبوت، ٤٦.

(٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٤٨/١).

وفي مثال آخر يقوله رحمه الله تعالى: (اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصاً^(١)، ويسمى الفعل المصفي المخلص إخلاصاً قال الله تعالى: (من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين)^(٢)، فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الدم، الفرث- ما في الأمعاء من الغدد^(٣)، ومن كل ما يمكن أن يمتزج به، والإخلاص يضاده الإشراف، فمن ليس مخلصاً فهو مشرك إلا أن الشرك درجات^(٤)^(٥)).

وفي هذا المثال يوضح حجة الإسلام معنى الاخلاص لغة ليتوصل إلى أن الاخلاص في التوحيد ينبغي أن لا تشوبه شائبة من شرك خفي أو جلي، فإذا صفا عن هذه الشوائب كان التوحيد خالصاً صافياً كما يصفو اللبن عن ما يؤدي إلى كدورته.

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾^(٦)، قال رحمه الله تعالى: (معنى الاعتبار العبور من الشيء إلى نظيره إذا شاركه في المعنى، كما قال ابن عباس- رضي الله عنهما- هلا اعتبروا بالأصابع)^(٧).

هنا يشرح حجة الإسلام معنى الاعتبار وهو العبور من الشيء إلى نظيره إذا شاركه في المعنى، ومعنى هذا التجاوز والانتقال من حال إلى أخرى كما جاء في معاجم اللغة، فهو افتعال عن العبور^(٨)، (والاعتبار بمعنى التدبر والنظر، والاعتبار: الحالة التي يتوصل بها من

(١) ينظر ابن منظور، لسان العرب، (٢٨/٧).

(٢) سورة النحل، ٦٦.

(٣) قال ابن كثير: أي يتخلص اللبن بياضه وطعمه وحلاوته ما بين فرث ودم في باطن الحيوان، فيسري كل إلى موطنه إذا نضج الغذاء في معدته فينصرف منه دم إلى العروق ولين إلى الضرع وبول إلى المثانة وروث إلى المخرج وكل منها لا يمازج الآخر بعد انفصاله عنه ولا يتغير به، تفسير القرآن العظيم، (٧٥٨/٢).

(٤) يعني أن الشرك منه ما هو جلي ومنه ما هو خفي.

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٨٦/٥).

(٦) سورة الحشر، ٢.

(٧) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (٢٦٦/٢)، وينظر للمزيد، المصدر نفسه، (١٢٧/٢)، والمنخول من علم أصول الفقه، ص ٤٩٨.

(٨) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (٣٠٧/١).

معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد^(١)، ومعنى الآية على ما أراده حجة الإسلام ما قاله الألوسي: (اعبروا من حالهم في غدرهم واعتمادهم على غير الله - تعالى - الصائرة مسببا لتخريب بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم ومفارقة أوطانهم مكرهين إلى حال أنفسكم، فلا تعولوا على تعاضد الأسباب وتعتمدوا على غيره - عز وجل - بل توكلوا عليه سبحانه واشتهر الاستدلال بالآية على مشروعية العمل بالقياس الشرعي، قالوا: إنه تعالى أمر فيها بالاعتبار: وهو العبور والانتقال من الشيء إلى غيره، وذلك متحقق في القياس، إذ فيه نقل الحكم من الأصل إلى الفرع، ولذلك قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في دية الإنسان، اعتبروا حكمها بالأصابع في أن ديتها متساوية)^(٢).

ومعنى قول ابن عباس - رضي الله عنهما - (هلا اعتبروا بالأصابع)، انتقال بحكم الأصابع في الدية إلى حكم الأسنان وذلك على طريق القياس والاعتبار^(٣).

وفي هذا المثال رجع حجة الإسلام إلى اللغة لبيان معنى الاعتبار ونقل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في هذا المجال، وهذا يدل على مكانة ابن عباس - رضي الله عنهما - وفهمه للغة وأنه موضع تقدير عند حجة الإسلام.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس﴾^(٤)، قال رحمه الله - تعالى -: (وإنما أورد هذا نقضا على دخول موسى تحت اسم البشر)^(٥).

(١) الزبيدي، تاج العروس، (٣/٣٧٨).

(٢) الألوسي، روح المعاني، (٤١/٢٨). ولكن هناك فرقا بين الدينين - دية الأصابع ودية الأسنان، قال الشيخ عبد الرحمن الجزيري: (اتفق الفقهاء على أنه يجب في قطع الأصابع من أصابع اليدين والرجلين خطأ عشر الدية سواء أكان إبهاما أم خنصرا من أنثى أو ذكر، صغيرا أم كبيرا مسلما أم كافرا، قالوا: وفي كل سن خمس من الإبل)، الفقه على المذاهب الأربعة، (٣٤٥/٥).

(٣) وقياس ابن عباس رضي الله عنهما - دية الأسنان على دية الأصابع باعتبار أصابع اليدين والرجلين معا فتتقسم الدية كاملة عليها مائة من الإبل فتصير خمس من الإبل لكل أصبع إذا قطعت جميع أصابع اليدين والرجلين معا فتشبه دية الأسنان خمس من الإبل لكل سن.

(٤) سورة الأنعام، ٩١.

(٥) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (١٢٢/٢).

في هذا المثال بين حجة الإسلام أن النكرة في سياق النفي تفيد معنى العموم ويتضح هذا المعنى جلياً بمعرفة السياق، وبيان ذلك: أن اليهود نفوا أن ينزل على أحد من البشر شيئاً ويدل عليه قوله تعالى: (إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وهنا من الاستغراقية سبقت بنفيهم وجرت نكرة (شيء) فلا مجال للقول بأنهم استثنوا موسى -عليه السلام- بكلامهم أو نفيهم هذا، لأن الرد يأتي من جهتين: أولاً: أنهم لو أرادوا استثناء موسى -عليه السلام- فلماذا ورد النقص عليهم بقوله سبحانه:- (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) فالعموم إذن يشمل موسى -عليه السلام-.

ثانياً: إن أرادوا بنفيهم غير موسى -عليه السلام- واستثناء موسى -عليه السلام- يجيء الجواب لم ذكر موسى -عليه السلام- في النقص على كلامهم وهو داخل في مسمى البشر، فعلى هذا إنكار أن ينزل على بشر من شيء يشمل موسى الذي هو من البشر وغيره أيضاً.

ونلاحظ هنا فهم حجة الإسلام لمعنى العموم الوارد في الآية بحسب السياق.

وتجدر الإشارة ههنا إلى أن الإمام الغزالي حين يورد المعنى اللغوي للكلمة القرآنية ويفسر الآية بناءً على ذلك، فإنه لا يقوم بذلك في معزل عن السياق، بل كان يستخدم قساعة السياق ويراعيها ويعتبر مواضع الآيات.

وقد أشار رحمه الله تعالى إلى مكانة السياق وأهميته في فهم القرآن، قال الغزالي فسي تفسير قوله تعالى: «مالك يوم الدين»^(١)، : (يشير تعالى إلى الرحمة في المعاد يوم الجزاء عند الإنعام بالملك المؤبد في مقابلة كلمة العبادة وشرح ذلك يطول، والمقصود أنه لا مكرر في القرآن فإن رأيت شيئاً مكرراً من حيث الظاهر، فانظر في سوابقه ولو احقه لينكشف لك مزيد الفائدة في إعادته)^(٢).

(١) سورة الفاتحة، ٤

(٢) الغزالي، جواهر القرآن ودرره، ص ٤١-٤٢، وينظر للاستزادة أيضا الغزالي، أساس القياس، ص ٧٠-

ومراد حجة الإسلام بما يظن أنه تكرر ذكر صفة (مالك يوم الدين) بعد (الرحمن الرحيم)، فهذه صفات ليست مكررة، وإنما ذكر (مالك يوم الدين) ليدل على رحمة الخلق يوم المعاد بعد أن ذكر رحمته بخلق العالمين في الدنيا، وهنا يشير حجة الإسلام إلى أن معرفة ما قبل الآية وما بعدها من حيث المناسبة و السياق يعين على تصور المعنى الصحيح للآية، ويفيد في إزالة الإشكالات التي قد تظهر للقارئ.

ومما اعتنى به حجة الإسلام من المعاني اللغوية أيضاً الوجوه والنظائر^(١) في اللغة، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله رحمه الله تعالى:- (وأما الأمة فتطلق على ثمانية أوجه، الأمة: الجماعة كقوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾^(٢)، وأتباع الأنبياء كقولك: نحن أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى: ﴿إِن إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾^(٣)، والأمة: الدين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾^(٤) الآية، والأمة: الحين والزمان كقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾^(٥) الآية، وقوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾^(٦) الآية، والأمة: القامة، يقال: فلان حسن الأمة أي القامة^(٧).

وهنا تتبع -رحمه الله تعالى- اللفظة القرآنية وبين معناها بحسب موضعها في القرآن الكريم.

(١) الوجوه: تكون في المعاني والنظائر في اللفظ، وقيل الوجوه للفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، والنظائر كالألفاظ المتفقة، ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١/٤٤٥).

(٢) سورة القصص، ٢٣.

(٣) سورة النحل، ١٢٠.

(٤) سورة الزخرف، ٢٢.

(٥) سورة هود، ٨.

(٦) سورة يوسف، ٤٥.

(٧) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٨٧)، وينظر في هذا الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٢٧-٢٨.

وقد أشار رحمه الله تعالى إلى معنى القرين بقوله: (وأما القرين فكقوله -عز وجل-: ﴿وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾^(١) أراد به الملك الموكل به، وقوله تعالى: ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾^(٢) أراد به الشيطان^(٣).

فالقرين في الآية الأولى الملك الموكل بعمل الإنسان وفي الآية الثانية الشيطان المقرون به، (وإطلاق القرين على كل منهما صحيح جائز)^(٤).

وقد أشار رحمه الله تعالى إلى كلمة الروح سريعاً بقوله: (والروح أيضاً ورد في القرآن على معان كثيرة فلا تطول بإيرادها)^(٥)، وأذكر هنا بعضاً من معاني الروح الواردة في القرآن الكريم: (فقوله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾^(٦) قيل: هم جنس من الملائكة وقيل: هم جبريل، وقيل: ما كان فيه من أمر الله حياة النفوس)^(٧).

وقوله تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾^(٨)، أي جبريل ﴿وأيدهم بروح منه﴾^(٩) أي بحياة قلوبهم بالإيمان ﴿وروح منه﴾^(١٠) في حق عيسى عليه السلام - أي حيى لأنه أحيا به من آمن به، أو لأنه إنما وجد بقوله (كن) لا بواسطة أب، فهو من مجرد الأمر، أو من جبريل المسمى بالروح نفخ في درع أمه فهو من تلك النفخة)^(١١).

ومما سبق يتبين منهج الإمام الغزالي في المعاني اللغوية للألفاظ القرآنية ويمكن تلخيصه فيما يأتي:-

- (١) سورة ق، ٢٣-٢٤.
- (٢) سورة ق، ٢٧.
- (٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٨٧).
- (٤) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (٤/٥٥٠).
- (٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٨٨).
- (٦) سورة القدر، ٤.
- (٧) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، (٤/٥٥٠).
- (٨) سورة مريم، ١٦.
- (٩) سورة المجادلة، ٢٢.
- (١٠) سورة النساء، ١٧١.
- (١١) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ، (٢/١٢٠).

أولاً: الرجوع إلى اللغة واستعمال العرب للكلمة التي هو بصدد البحث فيها.

ثانياً: التنبيه على تطور مدلول الكلمة القرآنية ومعرفة استعمال اللفظة في لغة العرب في القديم والحديث أي عصر الغزالي .

ثالثاً: الاستقراء اللغوي لمعنى الكلمة ومدلولها من خلال القرآن الكريم ومراعاة قاعدة السياق القرآني واعتبار موضع الإي.

رابعاً: قد يكفي أحياناً بيان غريب القرآن .

ثانياً: الاشتقاق والصرف:

لم يكن حجة الإسلام على عناية تامة بهذا الجانب اللغوي، إلا أنه وردت في ثنايا كتبه بعض التطبيقات لهذا الجانب أذكر منها:

• الرجوع إلى أصل الكلمة في اللغة وبيان الاشتقاق من المصدر: ومثاله ما جاء في بيان معنى اسمي الرحمن والرحيم، قال رحمه الله -تعالى-: (الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة تستدعي مرحوماً ولا مرحوم إلا وهو محتاج، والذي تنقضي بسببه حاجة المحتاج من غير قصد وإرادة وعناية بالمحتاج لا يسمى رحيماً، وإنما الرحمة التامة إضافة الخير على المحتاجين وإرادته لهم عناية بهم، والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، ورحمة الله - عز وجل - تامة وعامة، أما تمامها فمن حيث أنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها، وأما عمومها فمن حيث شمولها للمستحق وغير المستحق وعم الدنيا والآخرة وتناول الضرورات والحاجات.

والرحمن أخص من الرحيم ولذلك لا يسمى به غير الله - عز وجل - والرحيم قد يطلق على غيره فهو من هذا الوجه قريب من اسم الله تعالى الجاري مجرى العلم - يعني لفظ الجلالة وإن كان هذا مشتقاً من الرحمة قطعاً، ولذلك جمع الله - عز وجل - بينهما فقال: - (قل

ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنی) (١)، فليزِم من هذا الوجه ومن حيث معنا الترادف في الأسماء المحصاة أن يفرق بين معنى الاسمين، فبالحري أن يكون المفهوم من الرحمن نوعاً من الرحمة هي أبعد من مقدرات العباد وهي ما يتعلّق بالسعادة الأخروية، فالرحمن هو العطوف على العباد بالإيجاد أولاً؛ وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانياً والأُنعم بالنظر إلى وجهه الكريم رابعاً (٢).

وفي هذا المثال يبين حجة الإسلام أن اسمي الرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة وهي مصدر، والرحمة من قبله سبحانه وتعالى لعباده تامة أي أنها تصيب العباد والمخلوقين فتقضى حوائجهم، وتامة أي شاملة في الدنيا تصيب المسلم والكافر وخاصة في الآخرة فلا تصيب إلا المؤمن.

ويفرق رحمه الله تعالى بين لفظ الرحمن والرحيم فيبين أن بينهما عموم وخصوص فالرحيم أعم من الرحمن، لذلك فهو يطلق على الله - تعالى - وعلى غيره، فإله تعالى - رحيم يرحم الناس على عمومهم كافرهم ومسلمهم، والرحمن لا يطلق إلا على الله - تعالى - فلا يشاركه غيره في هذا الاسم ومعنى الخصوص في هذا الاسم من جهة سعادة العباد الذين هداهم وأتم منته عليهم في إيجادهم وهدايتهم وسعادتهم في الآخرة.

وهناك من العلماء (٣) ومن يرى أن الرحمن أبلغ من الرحيم من جهة أن الرحمن على وزن فعلان والرحيم على وزن فعيل وكل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى (٤).

(١) سورة الإسراء، ١١٠.

(٢) الغزالي، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی، ص ٦١-٦٢.

(٣) كالزمخشري وغيره.

(٤) الزمخشري، الكشاف، (٤٩/١)، وقد رد ابن المنير الإسكندري هذا الرأي بقوله: (لا يتم بقصر البناء وطوله على نقصان المبالغة وتامها، ألا ترى بعض صيغ المبالغة كفعل أحد الأمثلة أقصر من فاعل الذي لا مبالغة فيه البتة، وأما قولهم: رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا فلا دلالة فيه أيضاً على مبالغة رحمن بالنسبة إلى رحيم، فإن حاصله أن الرحمة منه بالدلالة على تمامها، ألا ترى أن ضراباً لما كان أعم من ضراب، كان ضراب أبلغ منه لخصوصه، فلا يلزم إذاً من خصوص رحيم أن يكون أقصر مبالغة من رحمن لعمومه) هامش الكشاف، (٤٩/١-٥٠).

ويلحظ الفرق بين ما قاله حجة الإسلام وما قاله الزمخشري، وذلك أن حجة الإسلام جعل الفرق بين اسمي الرحمن والرحيم من جهة المعنى لا من جهة الصيغة بينما فرق الزمخشري بين الاسمين وجعل اسم الرحمن أبلغ من اسم الرحيم من جهة بنية الكلمة أي الصيغة الصرفية.

* وفي بيان معنى التقوى في القرآن قال رحمه الله - تعالى -: (إن التقوى في قول شيخنا^(١)) - رحمه الله - تعالى - هي: - تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله، حتى تحصل لك من قوة العزم على تركه وقاية بينك وبين المعاصي هكذا قال شيخنا - رحمه الله - وذلك أن أصل لفظه التقوى في اللغة هو الوقوى بالواو وهو مصدر الوقاية، يقال: وفي يقي وقاية ووقي فأبدلت عن الواو ياء كما هو في الوكلاء والتكلاء نحوهما فقبل تقوى، فإذن لما حصلت وقاية بين العبد وبين المعاصي من قوة وعزم على تركها وتوطين قلبه على ذلك فيوصف حينئذ بأنه متق ويقال لذلك التنزيه والتوطين تقوى^(٢).

وجاء في لسان العرب: - (والتاء فيها مبدلة من الواو لأن أصلها من الوقاية وتقديرها أوتقى فقلبت وأدغمت فلما كثر استعمالها توهموا أن التاء من نفس الحرف فقالوا: اتقى يتقني بفتح التاء فيها، والتقوى اسم وموضع التاء واو وأصلها وقوى وهي فعلى من وقيت فلما فتحت قلبت الواو تاء ثم تركت التاء في تصريف الفعل على ما لها في التقى والتقية والتقي والانتقاء)^(٣).

ونلاحظ من خلال هذا المثال أن حجة الإسلام ذكر الأصل الثلاثي لكلمة التقوى وبين الإبدال الحاصل في بنيتها ووظف هذا الاشتقاق في توضيح المعنى وتجليته، فأصل التقوى الوقاية فهي إذن وقاية بين العبد وما يحول دون الطاعة لله - عز وجل - من قوة وعزم وتوطين القلب على ذلك.

(١) هو الإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين، الأصولي، المتكلم، صاحب الورقات، ت ٤٧٨هـ، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (١٦٥/٥).

(٢) الغزالي، منهاج العابدين، ص ٧٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، (١٥-٤٠٤).

• وقال -رحمه الله تعالى- في بيان معنى اسم الغفور وهو من أسماء الله تعالى الحسنى:- (هو بمعنى الغفار ولكنه ينبئ عنه الغفار، فإن الغفار مبالغة في المغفرة بالإضافة إلى مغفرة متكررة مرة بعد أخرى، فالفعال ينبئ عن كثرة الفعل، والفعال ينبئ عن جودته وكماله وشموله، فهو غفور بمعنى تام الغفران حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة)^(١).

وفي موضع آخر يقول رحمه الله- تعالى:- (الغافر يدل على أصل المغفرة فقط، والغفور يدل على كثرة المغفرة بالإضافة إلى كثرة الذنوب حتى إن من لا يغفر إلا نوعاً واحداً من الذنوب قد لا يقال له غفور والغفار إلى كثرة على سبيل التكرار أي يغفر ولا يغفر للعائد إلى الذنب مرة بعد أخرى لم يستحق اسم الغفار)^(٢).

نلاحظ هنا أن حجة الإسلام يوضح أن اسم الغفور أبلغ من اسم الغفار وذلك لأن الغفار هو كثير المغفرة بالنسبة لتتوع الذنوب فيغفر مرة واحدة لكل ذنب يقترف وإن اقترف الذنب من النوع الواحد مرة أخرى وغفر لصاحبه سمي غفوراً لا غفاراً، فالغفار بالنظر إلى كثرة الذنوب على تتوعها والغفور بالنظر إلى تتوع الذنوب على تكررها وهذا هو معنى الشمول الذي أراد به حجة الإسلام.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٣) قال حجة الإسلام: (أي سلامة، الألف بدل من الهاء، ومعناه: أنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا)^(٤).

ومراد الإمام الغزالي أن السلام بمعنى السلامة وهذا وارد في كتب ومعاجم اللغة، جاء في تاج العروس: (السلام: اسم والسلام في الأصل (السلامة) وهي البراءة من العيوب والأفات وسلم من البلاء سلامة وسلاماً، وقيل: يجوز أن يكون السلام والسلامة لغتين كاللذان واللذان، ويجوز أن يكون السلام جمع سلامة، وذهب أكثر أهل اللغة إلى أن السلام والسلامة

(١) الغزالي، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ص ٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٣) سورة الفرقان، ٦٣.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢/٢٦١).

بمعنى واحد كالرضاع والرضاعة، ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاء التأنيث من التحديد لرأوا أن بينهما فرقانا عظيما، والسلامة خصلة واحدة من خصال السلام فاعلمه (١).

والهاء في السلامة للتأنيث المجازي (٢)، وفي شرح التصريح على التلويح: _ (تتوين المونث بالتاء يحذف مع الفتحة كما يحذف مع غيرها، وتبدل التاء هاء، ومن وقف بالتاء فإنه يبدل من التتوين الفا بعد الفتحة) (٣).

(ومعنى السلام هنا سلام المتاركة والتوديع لا التحية المعروفة، لأن المؤمنين لم يؤمروا قط السلام على غير المسلمين والآية مكية نسختها آية السيف) (٤).

ثالثا: الاستشهاد بالشعر:-

جاءت عناية حجة الإسلام بالشعر في مجال التفسير في جانب واحد على ما يبدو، وهو تعميق المعاني والقيم السلوكية والخلقية من خلال تفسيره للآيات، والذي يبدو بعد النظر والتأمل أن الشعر الذي استشهد به هو الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي في الصدر الأول، ذلك أن هذا النوع من الشعر هو الذي لم يدخله الخل ولم يتسرب إليه اللحن بحيث غدا مصدرا وثيقا ومستندا أكيدا لما يستشهد به.

وقد عرض رحمه الله-تعالى- إلى مسألة الاستشهاد بالشعر وكشف النقاب عن هذه القضية بملاساتها والخلاف فيها وفصل القول فيها وفصله، وأبان للقارئ أن الشعر حسنه وسوؤه راجع إلى ذاته، فحسنة حسن وقبيحة قبيح، ولهذا لا بأس من الاستشهاد به فيما لا يشكل خطورة على القيم والسلوكيات السوية، وأن ثمة فوائد عميقة يمكن للباحث أو القارئ أن يتحصل عليها من خلال الحسن منه.

(١) الزبيدي، تاج العروس، (٣٣٩/٨).

(٢) والتأنيث المجازي هو ما لم يكن بجزائه ذكر، الأزهرى، شرح التصريح على التلويح، (٣٤٠/٢).

(٣) الأزهرى، شرح التصريح على التلويح، (٣٣٨/٢).

(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٦٧/١١).

قال رحمه الله -تعالى-: (وأما الأشعار فتكثرها في المواعظ مذموم، قال الله -تعالى- «والشعراء يتبعهم الغاؤون»^(١)، وقال تعالى: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له»^(٢)، وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف الوصف وجمال المعشوق وروح الوصال و ألم الفراق، و المجلس لا يحوي إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها، فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعمون ويتواجدون بضيقهم الوجد- وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد، فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استنشاد واستنناس، وقد قال- صلى الله عليه وسلم- (إن من الشعر لحكمة)^(٣)،^(٤) ويضاف إلى هذا ما قاله أيضا في موضع آخر: (لئن يمتلئ جوف أحدكم فيحا حتى يريه)^(٥) خير له من أن يمتلئ شعرا^(٦)) و عن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فقال: اجعل مكان ذكرا، فإن ذكر الله- تعالى- خير من الشعر، وعلى الجملة فإنشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن في كلام مستكراه، قال صلى الله عليه وسلم:- (إن من الشعر لحكمة) نعم مقصوده الشعر المدح والذم والتشبيب- الغزل- وقد يدخله الكذب، وقد أمر رسول الله- صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في المدح وإن كان كاذبا فإنه لا يلتحق في التحريم بالكذب لقول الشاعر^(٧).

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتيق الله سائله

(١) سورة الشعراء، ٢٢٤.

(٢) سورة يس، ٦٩.

(٣) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب الشعر، رقم ٣٧٥٥.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٤٩/١-٥٠).

(٥) بقره.

(٦) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الشعر، رقم ٢٢٥٧، (١٥-١٢).

(٧) الشاعر هو عبد الله بن الزبير الاسدي- رضي الله عنه- يمدح خارجه الفزاري- رضي

الله تعالى عنه،- أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني (٢٢٠/١٤).

فإن هذه عبارة عن الوصف بنهاية السخاء، فإن لم يكن صاحبه سخياً كان كاذباً وإن كان سخياً فالمبالغة من صفة الشعر، فلا يقصد منه ان يعتقد صورته، وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه، قالت عائشة- رضي الله عنها- (كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يخصف نعله- وكنت جالسة أغزل وجعل عرقه يتولد نوراً قالت: فبهت -أي دهشت-، فقال مالك بهت؟ قالت: يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرف وجعل عرقك يتولد نوراً، ولو رأك أبو كبير الهذلي^(١) لعلم أنك أحق بشعره، قال: ما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي؟ قلت: يقول هذين البيتين:-

ومبرأ من كل غير حيضه وفساد مرضعه وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل^(٢)

قالت: فوضع -صلى الله عليه وسلم- ما كان بيده وقام إليّ وقبل ما بين عيني، وقال:

جزاك الله خيراً يا عائشة ما سررت مني كسروري منك^(٣).

ولما قسم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الغنائم يوم حنين أمر العباس بن

مرداس^(٤) بأربع قلائص - من الإبل- فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره.

(١) هو عامر بن الحليس من كبار شعراء الهذليين، السكري، شرح أشعار الهذليين، (١٠٧٣/٣).

(٢) السكري، شرح أشعار الهذليين، (١٠٧٣/٣) ومعنى البيت الأول: أنه مبرأ و سالم من كل غير أي بقية من الحيض المرة من الحيض، ولم تحمل عليه فتسفيه الغيل أي وليس به داء شديد قد أعضل. ومعنى البيت الثاني: أنك إذا نظرت إلى قسماط وجهه وجبهته لشدة وضاعتها ورضاها أحسست أنها كبرق المطر المتهلل بجامع النور والوضاءة.

(٣) البيهقي، دلائل النبوة، كتاب العدد، باب الحيض على الحمل، رقم ١٥٢٤، (٤٢٢/٧).

(٤) العباس بن مرداس السلمي: شهد مع النبي -عليه الصلاة والسلام- حنيناً والفتح، ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، (٦٣٣/٣).

وما كان حصن^(١) ولا حابس^(٢) يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال -صلى الله عليه وسلم-: (اقطعوا عني لسانه) فذهب أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة من الإبل، ثم رجع وهو من أرضى الناس، فقال له -صلى الله عليه وسلم-: (أتقول في الشعر) فجعل يتعذر إليه ويقول: بأبي أنت وأمي، إني لأجد للشعر ديبياً على لساني كديبي النحل ثم يقرصني كما يقرص النحل، فلا أجد أبداً من قول الشعر، فتبسم -صلى الله عليه وسلم- وقال: (لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين)^(٣)(٤)

وقد جاء الاستشهاد بالشعر عنده على العموم في القضايا السلوكية التي تظهر من خلال فهم الآيات، غير أنه وردت عنده بعض الأغراض الأخرى، ولكن كانت على قلة وبنزر ويسير.

وقد جاءت الأبيات الشعرية في المعاني السلوكية لدى التفسير الصوفي الذي ولع به الإمام الغزالي وأكثر منه ومما جاء في ذلك:-

في قوله تعالى: (وإذ لم يهتدوا به فسيفولون هذا إفك قديم)^(٥)، قال الإمام الغزالي: (إن الناس أعداء ما جهلوا، قال الشاعر^(٦):-

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالاً^(٧)

وهنا يوضح حجة الإسلام من خلال استشهاده بالشعر إن كم من عائب قولاً صحيحاً و أفنته من الفهم السقيم.

(١) عينية بن حصن الغزالي: له صحبه، وكان من المؤلفة ولم تصح له رواية، أسلم قبل الفتح وشهداها، وشهد حنيناً والطائف، ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، (٧٦٧/٤).

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، رقم الحديث، ١٠٦٠، (٧٣٧/٢)، وينظر ابن هشام، السيرة النبوية، (١٧١/٥).

(٣) الغزالي، احياء علوم الدين، (٢٧١/٣-٢٧٢).

(٤) سورة الأحقاف، ١١.

(٥) الشاعر هو: المتنبي، بنظر ديوان المتنبي، ص ٣٣٠.

(٦) الغزالي: احياء علوم الدين (٧٠/١)

(٧) الأقرع بن حابس التميمي كان حكيماً في الجاهلية، شهد حنيناً وفتح مكة، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (١٠١/١) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (١٢٨/١).

وفي قوله تعالى: ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾^(١) يوضح حجة الإسلام جوانب الحب الإلهي ويستشهد ببعض الآيات الواردة في ذلك وهي:-

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع^{(٢)(٣)}

وهناك كثير من المواقع التي استشهد بالشعر فيها، ويصعب حصرها ههنا، ولكنني أكتفي بهذين المثالين محيلاً إلى بعض المواضع الأخرى^(٤).

هذا وقد وجدت بعض الأمثلة الفعلية والتي لا تكاد تذكر حول بعض الأغراض الأخرى، منها إثبات المسائل النحوية وإثبات بعض المسائل العقدية.

وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

- في اثبات المسائل النحوية ومن ذلك:-

قال حجة الإسلام: (وقد ورد الاستثناء من غير الجنس كقوله تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون* إلا إبليس^(٥)﴾ ولم يكن من الملائكة فإنه قال: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾^(٧)، وقال: ﴿ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى*

(١) سورة الحشر، ٩.

(٢) هذا الشعر عزاه الغزالي في الاحياء إلى عبد الله بن المبارك التابعي المشهور، (٧٨/١)

(٣) الغزالي، احياء علوم الدين، (٧٨/١)

(٤) الغزالي، احياء علوم الدين، (٣٣٠/٢، ٣٩٦)، (٣٧٢/٣)، (٢٩٧/٥، ٣٠١)، منهاج العليدين، ص ١٥٣، ص ٢٠٤.

(٥) سورة الحجر، (٣٠-٣١).

(٦) سورة الكهف، ٥٠.

(٧) سورة الشعراء، ٧٧.

(٨) سورة النساء، ٢٩.

إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى^(١)، وهذا الاستشهاد ليس فيه معنى التخصص والإخراج إذ المستثنى ما كان ليدخل تحت اللفظ أصلاً.

ومن معتاد كلام العرب: ما في الدار رجل إلا امرأة، وما له ابن إلا ابنه، وما رأيت أحداً إلا ثوراً، وقال شاعرهم^(٢):

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس^(٣)

وقال آخر^(٤):-

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكئاب^(٥)

في هذا المثال يستشهد حجة الإسلام ببعض الآيات الشعرية على مسألة نحوية للاستثناء وهي ما كان المستثنى ليس من جنس المستثنى منه.

فالبيت الأول: وبلدة ليس بها أنيس أي من البشر وهذا هو المستثنى منه ثم جاء المستثنى اليعافير (ولد الطيبي) والعيس (بقر الوحش) وهذه حيوانات ليست من البشر فهي ليس من جنس المستثنى منه، ورفعت اليعافير والعيس هنا على البدل من أنيس.

(١) سورة الليل، (١٩-٢٠)

(٢) هذا الشاعر هو عامر بن الحارث يفاله له جردان العود وهذا البيت من شواهد كتاب سيبويه، (٣٢٢/٢)، البغدادي، خزنة الأدب، (١/٢).

(٣) اليعافير: ولد الطيبي، العيس: جميع أعيس وعيساء وهي بقر الوحش، وأصله في الإبل فاستعير للبقرة، يقول الشاعر: ورب بلدة لا يوجد بها من البشر من تأنس به ويونسك لكن هناك الطباء وأبقار الوحش، وهذا من الشواهد على الاستثناء المنقطع، شرح هذا البيت عبد السلام هارون في تحقيقه لكتاب سيبويه، (٣٢٢/٢)

(٤) هو النابغة الذبياني: زياد بن معاوية بن ضباب، من الطبقة الأولى، المقدمين على سائر الشعراء، ينظر د. عفيف عبد الرحمن معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص ٣٥٨، نقلًا عن جمهرة أشعار العرب، ينظر هذا البيت في ديوان النابغة، ص ٤٧، السيرافي، شرح شواهد كتاب سيبويه، (٥٢/٢) والمعنى: لا عيب فيهم غير أن سيوفهم مغللة (بها ثلم) وهو بمنزلة قوله: (ليس فيهم عيب على وجه لأنه إذا كان تغليل سيوفهم هو عيبهم وهذا المعنى يمدح به فلا عيب فيهم على وجه، وهذا يقوله الناس على طريقة المبالغة في المدح، أي قد اختاروا لأنفسهم أشرف الأفعال، فأقل ما فيهم من أسباب الشرف أجل ما يمدح به الناس، السيرافي، شرح شواهد كتاب سيبويه، (٥٢/٢).

(٥) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (١٨٢/٢)، وينظر للاستزادة المصدر نفسه، (٦٧/٢)، (١٨٤).

وفي البيت الثاني: المستثنى هو عدم وجود العيب في القوم والعيب منه خلقي ومنه خلقي ولكن جاء المستثنى مما ليس له صلة بالمستثنى منه وهو أن سيوف القوم فيها تلمح أي أنهم يغزون كثيرا ويضاربون الأقران بسيوفهم وهذا قطعاً يسمى الاستثناء المنقطع، وهذا ما عبر عنه سيبويه بقوله: باب ما لا يكون إلا على معنى لكن^(١)، أي يصبح المعنى على هذا في البيت الأول:

وبلدة ليس بها أنيس لكن اليعافير ولكن العيس

وفي البيت الثاني:

ولا عيب فيهم لكن أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب.

وفي بيان بعض القضايا العقائدية، استشهد رحمه الله - تعالى - ببعض الشعر لتجلية المعاني وإيضاحها وما جاء من ذلك:-

* في قوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾^(٢)، حيث وضح معنى عالم الأمر وعالم الخلق، قال الإمام الغزالي: (كل ما يقع عليه مساحة وتقدير هو عالم الاجسام وعوارضها، يقال: إنه من عالم الخلق وهنا بمعنى التقدير لا بمعنى اليجاد والاحداث، يقال: خلق الشيء، أي قدره، قال الشاعر^(٣):

ولأنت تقري بعض ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي تقدر ثم تقطع الأديم^(٤)، وما لا كمي له ولا تقدير^(٥).

(١) سيبويه، الكتاب، (٣٢٦/٢).

(٢) سورة الإسراء، ٨٥، ومعنى من أمر ربي) أي من شأنه ومما استأثر بعلمه دونكم، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٨٤/٣).

(٣) هو الشاعر زهير بن أبي سلمى بن زينة، تنظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء، ص ٥١. والمعنى: أنت إذا قدرت أمراً قطعته وأمضيته وغيرك يقدر ما لا يقطعه لأنه ليس بماضي العزم وأنت مضاء على ما عزم عليه، ابن منظور، لسان العرب، (٨٧/١٠).

(٤) خلق الأديم (الجلد) خلقاً: قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربه أو خفاء، المصدر نفسه، (٨٧/١٠).

(٥) الغزالي، الأجوبة الغزالية عن المسائل الأخروية، ص ١٢٣.

وفي هذا المثال يبين حجة الإسلام أن الروح من عالم الأمر ويوضح معنى الخلق هنا بأنه التقدير ويستشهد ببيت من الشعر ليوضح أن الخلق يعطي معنى التقدير، ليصل إلى أن ما كان من أرواح البشر هو من عالم الأمر الخارج عن الموجودات الخارجية عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز وهو مما لا يدخل تحت المساحة والتقدير^(١). فهو يرى أن الروح مخلوقه ولكنها ليست مما يشبه ما في عالم الخلق والعوارض والاجسام.

وفي قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(٢)، قال الغزالي (وأما كون الاستيلاء معلوما ومرادا فالعقل لا يحيله، ولكن اللفظ لا يصلح له، وأما كونه مقدورا عليه وواقعا في قبضه القدرة ومسخر له مع انه أعظم المقدورات ويصلح الاستيلاء عليه لأن يمتدح به ويتبعه به على غيره الذي هو دونه في العظم، فهذا مما لا يحيله العقل ويصلح له اللفظ، فأخلق به أن يكون هذا هو المراد قطعاً، أما صلاح اللفظ له فظاهر عن الخبير بلسان العرب وإنما ينبو - يبعد - عن - فهم مثل إفهام المتطفلين على لغة العرب، الناظرين إليها من بعض المتقلين إليها بالتفات العرب إلى لسان الترك حيث لم يتعملوا منها (لا أوائلها، فمن المستحسن أن يقال: استوى الأمير على مملكته، حتى قال الشاعر^(٣)):

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهباق^(٤)

وفي هذا المثال يستشهد حجة الإسلام ببيت الأخطل التغلبي على تقرير معنى الاستواء الوارد في الآية الكريمة ويبين أنه بمعنى الاستيلاء لما ورد عن العرب من قولها نثرا وشعرا ويقرر أن هذا المعنى لا ينتبه إليه إلا من كان عالما بالعربية مطلقا على ما جاء فيها.

(١) ينظر المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف، (١/٤٢-٤٣).

(٣) الأخطل التغلبي: أبو مالك غيات بن غوث بن الصلت، شاعر مبدع أكثر من مدح خلفاء بني أمية، الجمحي، طبقات فحول الشعراء ص ٢٩٨، وقد قال هذا البيت في مدح بشر بن مروان في الكوفة، الأصبهاني، الأغاني، (٣٠٥/٨) والمعنى: استولى بشر على ملك العراق من غير قتال بالسيف أو اهراق الدماء فالشاهد هنا: ان معنى الاستواء الاستيلاء.

(٤) الغزالي: الأجوبة الغزالية عن المسائل الأخروية، ص ١٦٥.

رابعا: البلاغة

يمكن القول: إن الموضوعات البلاغية عند الإمام الغزالي جاءت على نطاق ضيق، إذ لم يتوسع في ذكرها وجاءت على شكل إلماحات سريعة وإشارات عابرة، وبعد البحث والنظر، أجد أن الغزالي في ثنايا تفسيره للآيات تناول البلاغة من جانبين: علم المعاني وعلم البيان، والحق أن هذين علمين على غاية الأهمية، ولا بد أن يكون المفسر على قدر من التمكن والبراعة فيهما، إذ بهما يتحصل المفسر على نكات لطيفة المسالك لا تتيسر إلا لمن تعاطى هذين العلمين وأجال النظر فيهما على ما يرى الزمخشري^(١).

وفي جانب علم المعاني عرض الإمام الغزالي إلى الإيجاز والإطناب والحذف والتقديم والتأخير وبعض النكات الدقيقة والأسرار البلاغية.

وأما في علم البيان فقد أشار إلى الاستعارة والكناية بإيجاز واختصار في بعض المواضع القليلة.

وقبل البدء في التمثيل لما نحن بصدده، يحسن أن يذكر هنا مسألة نظرية طرحها الإمام الغزالي ألا وهي: إثبات المجاز في القرآن الكريم، ففي كتاب "المستصفى" عقد الإمام مسألة بهذا الخصوص وهي (هل في القرآن مجاز؟)، فأجاب رحمه الله تعالى: (الفاظ العرب تشتمل على الحقيقة والمجاز، والقرآن يشتمل على المجاز خلافا لبعضهم^(٢))، فنقول: المجاز اسم مشترك، قد يطلق على الباطل الذي لا حقيقة له، والقرآن منزّه عن ذلك ولعله الذي أراده من أنكر اشتمال القرآن على المجاز، وقد يطلق على اللفظ الذي تتجاوز به عن موضوعه الأصلي، وذلك لا ينكر في القرآن مع قوله تعالى: ﴿وأسأل القرية التي كنا فيها

(١) الزمخشري، الكشاف، (٤٢/١-٤٣).

(٢) وممن منع المجاز في القرآن الكريم أبو إسحاق الإسفراييني (ت ٤١٨هـ)، والظاهرية، ينظر في ذلك السبكي، جمع الجوامع في أصول الفقه، ص ٣٠، الشنقيطي، منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، ص ٣٤.

والعير» (١) الآية ، . وقوله: «جدارا يريد أن ينقض» (٢) الآية ، وقوله: «لهدمت صوامع وبيع وصلوات» (٣)، الآية ، فالصلوات كيف تهدم، : «الله نور السماوات والأرض» (٤) الآية، : «يؤذون الله» (٥) الآية، وهو يريد رسوله صلى الله عليه وسلم - ، «فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» (٦)، والقصاص حق: فكيف يكون عدوانا ؟ ، «الله يستهزئ بهم» (٧) ، «لؤيمكرون ويمكر الله» (٨) ، «كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله» (٩) الآية ، «أحاط بهم سرادقها» (١٠) ، الآية ، وذلك ما لا يحصى (١١).

- (١) سورة يوسف ، ٨٢ ، والمعنى: واسأل أهل القرية، فهو مجاز مرسل علاقته المحلية.
- (٢) سورة الكهف، ٧٧، هنا استعارة مكنية، شبه الجدار بالرجل الذي يريد أن ينقض فحذف المشبه به وأبقى تعالى المشبه.
- (٣) سورة الحج ، ٤٠ ، معنى الصلوات هنا: كنائس اليهود وهم يسمونها صلوات واصلها بالعبرانية صلوتيا، الزمخشري، الكشاف، (١١٦/٣)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣٠٤/٣) فعلى هذا لا مجاز.
- (٤) سورة النور ، ٣٥ ، سائر الأنوار مستعارة لغيره سبحانه، وإنما النور الحقيقي نوره سبحانه، فالنور مجاز محض، والمعنى: الله هادي السموات والأرض، الغزالي، مشكاة الأنوار، ص ٦٢.
- (٥) سورة الأحزاب ، ٥٧ ، التعبير بالإيذاء (أيذاء الله عز وجل) عن فعل ما يكرهه الله تعالى يمكن حمل اللفظ هنا على المجاز ويمكن حمله على الحقيقة من الكفر والمعاصي...، وليس معنى إيذائه أنه يضره الأذى لأنه تعالى لا يضره شيء، ولا ينفعه شيء، وقيل إنها على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله والأول أرجح، وأما الحمل على الحقيقة: فأبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم - بالتعرض بما يكره من الأقوال والأفعال، جزي حجر الكلبي، التسهيل لعموم التذليل، (١٤٤/٣).
- (٦) سورة البقرة ، ١٩٤ ، وهذا ما يطلق عليه تجانس البلاغة وهو بيان بأنواع الكلام الذي يحمله أصل واحد في اللغة وهو على وجهين: مزوجة ومناسبة، فالمزوجة تقع في الجزاء، كقوله تعالى: «فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» أي جازوه بما يستحق طريق العدل إلا أنه استعير للثاني فقط الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزوجة الكلام لحسن البيان، الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص ٩٩.
- (٧) سورة البقرة ، ١٥ ، وهذا تجانس، والمعنى: يجازيهم على استهزائهم، المصدر السابق، ص ٩٩.
- (٨) سورة الأأنفال ، ٣٠ ، وهذا تجانس بلاغي والمعنى: يجازيهم على مكرهم، الرماني، النكت في بيان اعجاز القرآن، ص ٩٩.
- (٩) سورة المائدة، ٦٤ ، وهذا كناية عن الفتنة والافساد، وهو كناية عن صفة.
- (١٠) سورة الكهف، ٢٩ ، وهذا سبيل الاستعارة المكنية، إذ شبه السرادق بالجيش المحيط بالأسرى فحذف المشبه به وأبقى على المشبه.
- (١١) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٢٤/٢) .

وفي موضع آخر يقول - رحمه الله - : (المجاز : ما استعملته العرب في غير موضعه وهو ثلاثة أنواع : الأول : ما استعير للشيء بسبب المشابهة في خاصية مشهورة كقولهم للشجاع : أسد وللبايد : حمار ، فلو سمي الأبخر أسدا لم يجز ، لأن البخار ليس مشهورا في حق الأسد .

الثاني : الزيادة :، كقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ .^(١) فإن الكاف وضعت للإفادة^(٢) ، فإذا استعملت على وجه لا يفيد كان على خلاف الوضع ، الثالث : النقصان الذي لا يبطل التفهيم ، كقوله عز وجل : ﴿ وأسأل القرية ﴾^(٣) الآية ، والمعنى وأسأل أهل القرية ، وهذا النقصان اعتادته العرب ، فهو توسع وتجاوز^(٤) .

و عودا على ما تقدم ذكره من بيان للجوانب البلاغية التي وردت عند الإمام الغزالي ، يمكن القول إنه في علم المعاني قد تطرق وبإيجاز إلى الإيجاز والإطناب والحذف والتقديم والتأخير وفيما يلي بيان لذلك :

• الإيجاز : أشار رحمه الله إلى أن الإيجاز من البلاغة ولم يأت حديثه استقلالا ، بل جاء في معرض الرد على الباطنية الذين يشتغلون ببواطن النصوص ، قال رحمه الله : (وفائدة الإطناب الشرح والإيضاح المغني عن عناء التفكير وطول التأمل وأفته الإملال ، وفائدة الإيجاز جمع المقاصد وترصيفها وإيصالها إلى الأفهام على التقارب ، وأفته الحاجة إلى شدة التصفح والتأمل لاستخراج المعاني الدقيقة من الألفاظ الوجيزة الرقيقة)^(٥) .

(١) سورة الشورى ، ١١ .

(٢) المصنوع ، أنه لا زيادة في القرآن ، ينظر الدكتور عبد الله دراز ، النبا العظيم ، ص ، والأستاذ الدكتور فضل عباس ، لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن ، ص ١٦٩-١٧٦ .

(٣) سورة يوسف ، ٨٢ .

(٤) الغزالي ، المستنصر من علم أصول الفقه ، (٢ / ٢٤) .

• هو تقليد الكلام من غير إخلال بالمعنى ، الرماني ، النكت في بيان إعجاز القرآن ، ص ٧٦ .

(٥) الغزالي ، فضائح الباطنية ، ص ٨ .

وإذا كان الإمام الغزالي بين فوائد الإيجاز وأفته وفوائد الإطناب وأفته، فإن الرماني^(١) من قبل قد أوضح هذه القضية وأجاد حيث فرق بين الإيجاز والاختصار والإطناب والتطويل، فالأول بلاغة، والثاني عي، والإطناب بلاغة والتطويل عي، والإيجاز ليس فيه إخلال بالمعنى والاختصار لا بد من إخلال المعنى فيه والإطناب تحسن العناية به عند الحاجة إليه، لأن الحاجة إليه أشد كالسالك طريقاً طويلاً لأجل الفائدة وتحصيل الغرض، أما التطويل فكمين يسلك طريقاً بعيداً جهلاً منه بالطريق القريب^(٢).

والذي يظهر لدى التحقيق أن كلام الإمام الغزالي في هذه المسألة لا يختلف عن كلام الإمام الرماني.

ومما ورد من أمثلة على الإيجاز حيث يتداخل في هذا المعنى المجاز المرسل والذي عبر عنه الغزالي بالاختصار ما يأتي :

* قوله تعالى : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾^(٣)، قال الغزالي : (أي حب العجل فحذف العجل)^(٤)، هنا أقيم المضاف إليه مقام المضاف.

• قوله تعالى : ﴿ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾^(٥) ، الآية ، قال الغزالي (أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب السمات ، فحذف العذاب وأبدل الإحياء والموتى بذكر الحياة والموت ، وكل ذلك ، جائز في فصيح اللغة)^(٦) .

قال الزبيدي : (ويستاح أن يترك الوصف على لفظه ويضم (أهل) فيكون المعنى ضعف عذاب أهل الحياة وضعف عذاب أهل الممات)^(٧).

(١) الرماني : علي بن عيسى بن عبد الله من كبار النحويين ، مفسر معتزلي ، من مؤلفاته : الجامع في علم القرآن ، شرح أصول ابن سراج ، وغيرها ، توفي عام ٣٨٤ هـ ، ينظر القفطي ، إنباء الرواة على أنباء النحاة ، (٢ / ٢٩٤) .

(٢) الرماني ، الذك في إعجاز القرآن ، ص ٧٨-٧٩ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .

(٣) سورة البقرة ، ٩٣ .

(٤) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٣٨٦/١) .

(٥) سورة الإسراء ، ٧٥ .

(٦) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٣٨٦/١) .

(٧) الزبيدي ، إتخاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، (٥٤٤/٤) .

• وفي قوله تعالى : ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها ﴾^(١).

قال الغزالي : (أي أهل القرية وأهل العير فالأهل فيهما)^(٢).

وهنا يلحظ أن الغزالي ذكر الإيجاز بمعناه العام الذي يندرج تحته مصطلحات خاصة، فالحذف ليس المقصود به عنده الحذف الذي يدخل في علم المعاني ، بل قصد به المجاز المرسل ولكنه لم يذكر علاقاته المتعددة السببية والمسببية وغيرها ، ولم يتناول بالحديث أنواع المجاز .

• التقديم والتأخير : ومما جاء من ذلك :

- قوله تعالى : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ﴾^(٣) الآية ، قال رحمه

الله : (معناه لو لا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولو لاه لكان منصوبا كاللزام)^(٤).

فنلاحظ هنا تقديم اللزام على أجل مسمى، قال الزبيدي : (آخر لتحسين اللفظ ومزيد البيان)^(٥).

والمعنى عند الزمخشري : (الكلمة السابقة: هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة، يقول: لو لا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عادا وثمرودا لازما لهؤلاء الكفرة، واللزام: إما مصدر لازم وصف به، وإما فعال بمعنى مفعول، أي ملزم، كأنه الله اللزوم لفرض لزومه، (و أجل مسمى) لا يخلو من أن يكون معطوفا على (كلمة) أو على الصسير في (كان) أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمرود، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل)^(٦).

(١) سورة يوسف ، ٨٢ .

(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٣٨٦/١).

(٣) سورة طه ، ١٢٩ .

(٤) الغزالي : إحياء علوم الدين (٣٨٦/١).

(٥) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، (٥٤٧/٤)

(٦) الزمخشري، الكشاف، (٩٦/٣)

- وفي قوله تعالى : ﴿ وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون ﴾^(١) ، قال الغزالي : (وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة ، فذلك أوفق في الطب فإنها أسرع استحالة ، فينبغي أن تقع في أسفل المعدة ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد^(٢) .

وهنا ينبه الغزالي إلى قضية التقديم والتأخير حيث قدم من الأطعمة الفاكهة على اللحم ، وفي هذا إثبات لقضية طبية وكشف عن بعض الأسرار الدوائية والغذائية في القرآن الكريم .

قال الرازي : (ما الحكمة في تقديم الفاكهة على اللحم؟ الجواب من وجوه :

أحدهما : العادة في الدنيا التقديم للفواكه في الأكل والجنة وضعت بها علم في الدنيا من الأوصاف وعلى ما علم فيها ولا سيما عادة أهل الشرب ، وكان المقصود بيان حال شرب أهل الجنة .

وثانيها : الحكمة في الدنيا تقتضي أكل الفاكهة أولاً لأنها أطف وأسرع انحداراً وأقل حاجة إلى المكث الطويل في المعدة للهضم ، ولأن الفاكهة تحرك الشهوة للأكل واللحم يدفعها .

وثالثها : لما بين - تعالى - أن الفاكهة دائمة الحضور والوجود ، واللحم يشتهي ويحضر عند الانتهاء ، دل هذا على عدم الجوع ، لأن الجائع حاجته إلى اللحم أكثر من اختياره اللحم ، فقلل (وفاكهة) لأن الحال في الجنة يشبه حال الشبعان في الدنيا فيميل إلى الفاكهة أكثر فقدمها ، وهذا الوجه أصح لأن من الفواكه ما لا يؤكل إلا بعد الطعام فلا يصلح الأول جواباً في الكل^(٣) .

وفي قوله تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴾

^(٤) ، قال الغزالي : (رتب العذاب بالنار على ألم الحجاب ، وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار ، فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه^(٥)) ، وهنا يشير - رحمه الله تعالى - إلى ترتيب رتبي بين

٥٤٩٣٢٥

(١) سورة الواقعة ، (٢٠، ٢١) .

(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٢/٦٤) .

(٣) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (١٥/٢٩ / ١٥٤) .

(٤) سورة المطففون ، (١٥-١٦) .

(٥) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٥/١١٠) .

عذابين أحدهما مقدم على الآخر، غير أن رتبة العذاب الأول وهو حرمانهم من رؤية الله تعالى هو أشد وأقسى عليهم من العذاب الجسماني.

وقد أشار ابن عاشور إلى هذا المعنى بقوله: (عطفت الجملة بحرف (ثم) الدالة في عطفها الجمل على التراخي الرتبي وهو ارتقاء في الوعيد، لأننا، وعيد بأنهم من أهل النار وذلك من خزي الإهانة)^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم﴾^(٢)، وفي قوله تعالى: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾^(٣)، قال الإمام الغزالي: (ساق الكلام في معرض المدح، ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار، وفيه دلالة واضحة على مدح الفقر)^(٤)، وهنا تأمل الغزالي السياق القرآني ودقق النظر في تقديم وصف الفقر على الهجرة ليفيد الثناء على أولئك الفقراء ومدح الفقر، وهذه دقيقة ونكتة رائعة، قال ابن عاشور: (للفقراء: بدل مما يصلح أن يكون بدلاً منه من أسماء الأصناف المتقدمة التي دخلت عليها اللام مباشرة وعطف قوله: ﴿ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ بدل بعض من كل، وأول فائدة في هذا البديل التنبيه على أن ما أفاد الله تعالى على المسلمين من أهل القرى المعينة في الآتية لا يجري قسمه على ما جرى عليهم قسم أموال بني النضير التي اقتصر في قسمها على المهاجرين وثلاثة من الأنصار وأربع منهم فكانه قيل: ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل للفقراء منهم لا مطلقاً يدخل في ذلك المهاجرين والأنصار والذين آمنوا من بعدهم وأعيد اللام مع البديل لربطه بالمبدل منه لانفصال ما بينهما بطول الكلام من تقليل وتذييل وتحذير وإفادة التوكيد)^(٥).

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٠/٣).

(٢) سورة الحشر، ٨.

(٣) سورة البقرة، ٢٧٣.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٥٢/٥).

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٨٧/٢٨-٨٩).

وهذه النكتة التي استخرجها الإمام الغزالي لم أر في ما اطلعت عليه من نوه إليها من المفسرين .

وأما في علم البيان فمما عرض له على وجه التحديد :

- الاستعارة ، والكناية .

- الاستعارة* : حيث جاء حديثه عنها في بعض المواضع سريعا ، ومن ذلك :

• يقول الغزالي : (القرآن يشتمل على المجاز والحقيقة خلافا للحشوية* ، ودليله كثرة الاستعارات لا سيما في سورة يوسف)^(١) .

وفيما يلي مثال على الاستعارة : ففي قوله تعالى : ﴿ أُولَا مَسْتَمِ الْمَسَاءِ ﴾^(٢) ، الآية ، يقول الغزالي : (وقد نقل عن الشافعي قوله : (أحمل آية اللمس على المسس والوطء جميعا)^(٣) ، وإنما قلنا أن هذا أقرب ؛ لأن المسس مقدما للوطء والنكاح ، أيضا يراد للوطء فهو مقدمته ، ولأجله استعير للعقد اسم النكاح الذي وضعه للوطء واستعير للوطء اسم (المسس) ، فلتعلق أحدهما بالآخر ربما لا يبعد أن يقصدا جميعا باللفظ المذكور مرة واحدة)^(٤) .

فيلاحظ هنا أن اللبس لفظ استعير لمعنى الجماع عند من يرى أن اللبس الجماع لا اللبس باليد ، قال الرازي : (اللبس حقيقته المسس باليد ، فأما تخصيصه بالجماع فهو مجاز)^(٥) .

* وهي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة ، الرماني ، النكت في بيان إعجاز القرآن ، ص ٨٥ .

* الحشوية : هم الذين يتتبعون ظواهر الأحاديث وزعموا أن في القرآن مالا معنى له ، الزبيدي ، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، (٢/٥٨) .

(١) الغزالي : المنحول من علم أصول الفقه ، ص ٧٦ .

(٢) سورة النساء ٤٣ .

(٣) الشافعي ، أحكام القرآن بجمع البيهقي ، (١/٤٦) .

(٤) الغزالي : المستصفي من علم أصول الفقه ، (٢/١٤٢) .

(٥) الرازي ، مفاتيح الغيب ، (٥/١٠) .

وقد أشار أيضا إلى الاستعارة في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(١)،

قال الإمام الغزالي: (وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل)^(٢).

قال الزبيدي: (وهما متقابلان، وهما من أحسن الاستعارات لهذين الضدين)^(٣).

وقال الرماني: (كل ما جاء في القرآن من ذكر من الظلمات إلى النور فهو مستعار

وحقيقته من الجهل إلى العلم والاستعارة أبلغ لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يدرك بالأبصار)^(٤).

ومن باب ما يسمى بالمجاز العقلي: قال الغزالي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾^(٥)، الآية، قال رحمه الله تعالى: (وسجود الناس غير سجود الشجر والدواب بل هو في الشجر مجاز)^(٦).

وهنا أسند إلى الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وهي مخلوقات غير عاقلة، أسند إليها فعل من يعقل، وهذا ما يعرف بالمجاز العقلي أو الحكمي، وقد عبر عنه الغزالي بالمجاز مطلقا.

والسجود في هذه الآية هو الخضوع والانقياد للأمر، وهو سما يتعذر فيسه السجود المتعارف، وقال مجاهد: سجود هذه الأشياء هو بظلالها، وقال بعضهم: سجودها هو بظهور الصنعة فيها^(٧).

(١) سورة البقرة، ٢٥٧.

(٢) الغزالي، احياء علوم الدين، (١٠٨/١)

(٣) الزبيدي، انحاف السادة المتقين، (٤٥٢/١)

(٤) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص ٩٢.

^٥ هو الكلام المراد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأمل إفادة للخلاف لا بواسطة، القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٠، وله تعريف آخر: وهو اسناد الفعل أو ما في معناه إلى غيره لقربنه أو علاقة صارفة عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر، ينذر أ.د فضل عباس، علم البيان، البديع، ص ١٩٣.

(٥) سورة الحج، ١٨.

(٦) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (١٤٣/٢)

(٧) ابن عطية، المحرر، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١٨٦/١١)

وإذا كان المراد إثبات السجود لجميع المخلوقات المذكورة ولكن على وجه لا نعلمه ولا نفقهه يكون السجود حقيقياً، وإلا فهو مجاز كما أشار الإمام الغزالي.

قال ابن عاشور: (وقد استعمل السجود في حقيقته ومجازه وهو حسن وإن أباه الزمخشري، لأن السجود المثبت لكثير من الناس هو السجود الحقيقي ولو لا إرادة ذلك لما احتسب بإثباته لكثير من الناس لا لجميعهم، ووجه دلالة تلك الموجودات على أنها مسخرة بخلق الله تعالى، فاستعير السجود لحالة التسخير والانطباع، وأما دلالة حال الإنسان على عبوديته معه تعالى فلما خالطها إعراض كثير من الناس عن السجود لله تعالى وتلبسهم بالسجود للأصنام كما هو حال المشركين غطى سجودهم الحقيقي على السجود المجازي الدال على عبوديتهم لله لأن المشاهدة أقوى من دلالة الحال، فلم يثبت لهم السجود الذي أثبتته لبقية الموجودات وإن كان حاصلًا في حالهم كحال المخلوقات الأخرى^(١)).

والذي أميل إليه حمل السجود على المجاز على ما ذهب إليه الإمام الغزالي.

ومما ورد ذكره عند الغزالي في موضوع الكناية ما قاله في قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾^(٢): (فإن العمل المقتصر على الذرة يكاد لا يتصور وقوعه، فيكون ذكره كناية عن المبالغة في معنى القليل)^(٣).

وبهذا يظهر لنا جليا عناية الإمام الغزالي باللغة في تفسير كتاب الله - تعالى - بالقدر الذي ينفك به اللفظ ويتضح به المعنى.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٢٦/١٧)

(٢) الكناية هي: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، ينظر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٠١.

(٣) سور الزلزلة، ٧.

(٣) الغزالي، أساس القياس، ص ٧٠-٧١.

المبحث الخامس: التفسير العلمي عند

الإمام الغزالي

المطلب الأول: الناحية النظرية

المطلب الثاني: الجانب العملي في التفسير العلمي عند الإمام

الغزالي

التفسير العلمي

التفسير العلمي: (هو التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن الكريم في ضوء ما أثبتته العلم، والكشف عن سر من أسرار إعجازه، من حيث أنه تتضمن هذه المعلومات الدقيقة التي لم يكن يعرفها البشر وقت نزول القرآن، فدل ذلك على أنه ليس من كلام البشر ولكنه من عند الله تعالى - خالق القوى والقدرة^(١)).

ومن يتتبع بدايات التفسير العلمي ومسيرته عبر القرون السابقة التي فسر المسلمون فيها كتاب الله تعالى - يجد أن هذه النزعة تمتد من العصر العباسي الذهبي إلى أيامنا هذه، ومن الطبيعي أن تكون بدايتها على شكل محاولات للتوفيق بين الإسلام وبين ما ترجم من ثقافات أجنبية وما استحدثت من علوم في البيئة الإسلامية، حتى صارت هذه النزعة قوية ومعلنة في القرن الخامس الهجري وما تلاه^(٢).

ويكاد يتفق الباحثون على أن الإمام الغزالي كان إلى عهده أول من قام ببيان التفسير العلمي والحديث حوله بشيء من التفصيل، وأهم من أيدته، وعمل على ترويجه في الأوساط العلمية الإسلامية^(٣).

فقد بحث الإمام الغزالي هذا الجانب من التفسير بحثاً دقيقاً دل على جوانب مختلفة من المعرفة، وأبان عن فهم دقيق واستيعاب عميق لأصول العلوم المختلفة والمتنوعة.

وقد بحث هذا الجانب في أكثر من موضع في مؤلفاته، ومن هذه الكتب التي تناول البحث فيها هذا الموضوع (جواهر القرآن) و (الحكمة في مخلوقات الله عز وجل) و (المقصد الأسنى في معرفة أسماء الله الحسنى) و (إحياء علوم الدين) و (الأجوبة الغزالية عن المسائل

(١) أحمد أبو حجر، التفسير العلمي في الميزان، ص ٦٦.

(٢) الدكتور عبد المجيد المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٢٤٥.

(٣) الدكتور الذهبي، التفسير والمفسرون، (٥١١/٢)، الدكتور فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر الهجري، (٥٥١/٢).

الأخروية)، إضافة إلى ما تضمنته كتبه الأخرى من إشارات ورموز إلى بعض المسائل العلمية التي تناولها القرآن الكريم.

ولعل أبرز كتاب أصل فيه الإمام الغزالي جوانب هذا اللون من التفسير وأصوله كتابه (جواهر القرآن)، حيث يجد الباحث أن الغزالي في هذا الكتاب رتب المسائل العلمية فيه وجعل فيه مدخلا للموضوع الذي نحن بصدده.

وقد وضع الإمام الغزالي - رحمه الله - الأسس النظرية لهذا اللون من التفسير العلمي فكان ما أشار إليه فتحا في بابه ومعينا نهل منه من جاء بعده، وقد كانت جهوده في هذا المضمار على جانبين:

الجانب الأول:

الناحية النظرية حيث أرسى من خلالها قواعد هذا العلم وأسس وأتى بالأدلة الدالة عليه.

الجانب الثاني:

الناحية العملية حيث سلك فيها هذا اللون من التفسير ضمن أسس وثوابت راسخة، وفيما يلي بيان لهذا الأمر.

المطلب الأول: الناحية النظرية:

أشار الغزالي إلى أدلة هذا اللون من التفسير، والذي يعد جانباً من جوانب التفسير بالرأي المحمود، يقول رحمه الله: (ولعلك تقول: إن العلوم وراء هذه كثيرة، كعلم الطب والنجوم وهينة العالم وهينة بدن الحيوان وتشريح أعضائه و علم السحر والطلسمات وغير ذلك، فاعلم أنا إنما أشرنا إلى العلوم الدينية التي لا بد من وجود أصلها في العالم حتى يتيسر سلوك طريق الله تعالى والسفر إليه، أما هذه العلوم التي أشرنا إليها فهي علوم، ولكن لا يتوقف على معرفتها صلاح المعاش والمعاد، فلذلك لم نذكرها، ووراء ما عدته علوم آخر يعلم تراجمها^(١)) ولا يخلو العالم عن معرفتها ولا حاجة إلى ذكرها، بل أقول ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التي لا يتمادى فيها أن في الإمكان والقوة أصنافاً من العلوم بعد لم تخرج من الوجود، وإن كان في قوة الأدمي الوصول إليها، وعلوم كانت قد خرجت إلى الوجود واندرست الآن، فلا يوجد في هذه الأعصار على بسيط الأرض من يعرفها، وعلوم آخر ليس في قوة البشر أصلاً إدراكها والإحاطة بها، ويحظى بها بعض الملائكة المقربون، فإن الإمكان في حق الأدمي محدود، والإمكان في حق الملك محدود إلى غاية في الكمال بالإضافة، كما أنه في حق البهجة محدود إلى غاية في النقصان، وإنما الله سبحانه هو الذي لا يتناهى العلم في حقه، ويفارق علمنا علم الحق في شينين: أحدهما: انتفاء النهاية عنه، والآخر: أن العلوم ليست في حقه بالقوة والإمكان الذي ينتظر خروجه بالوجود، بل هو بالوجود^(٢) والحضور، فكل ممكن في حقه من الكمال فهو حاضر موجود، ثم هذه العلوم ما عدناها وما لم نعدها ليست أوائلها خارجة عن القرآن، فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال.

(١) أي ظاهرها ولا يخلو العالم عن معرفتها.

(٢) الوجود: هو بعد الارتقاء عن الوجه، ولا يكون وجود الحق إلا بعد خمود البشرية، لأنه لا يكون لبشرية

بقاء عند ظهور سلطان الحقيقة الإلهية، القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٦٢.

والحضور: أن يكون العبد حاضرًا بالحق أي يكون كأنه حاضر، وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه فهو

حاضر بقلبه بين يدي ربه - جلا وعلا- القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٧٠.

وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له، وأن البحر: لو كان مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفذ، فمن أفعال الله تعالى وهو بحر الأفعال مثلاً الشفاء والمرض، كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾^(١)، وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله، إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته ومعرفة الشفاء وأسبابه^(٢)، ومن أفعاله، تقدير معرفة الشمس والقمر وسنازلهما بحسبان، وقد قال الله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾^(٣)، وقال: ﴿وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾^(٤)، وقال: ﴿وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر﴾^(٥)، وقال: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾^(٦)، وقال: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾^(٧)، ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما وولوج الليل في النهار وكيفية تكور أحدهما على الآخر إلا من عرف هياكل تركيب السماوات والأرض^(٨)، وهو علم برأسه ولا يعرف كمال معنى قوله: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك﴾^(٩)، إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها، وقد أشار في القرآن إلى مواضع إليها، وهي من علوم الأولين والآخرين، وكذلك لا يعرف كمال معنى قوله: ﴿سويته ونفخت فيه من روحي﴾^(١٠)، ما لم يعلم التنسوية والنفخ ويفهمونها إن سمعوا من العالم بها^(١١)، ولو ذهبت أفصل ما

(١) سورة الشعراء، ٨٠.

(٢) هذه إشارة إلى علم الطب، قال الشيخ طنطاوي جوهرى: (نسب الشفاء إلى الله -تعالى- ليفتح لنا باب البحث والنظر في أمر الشفاء وعلم الطب)، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (١٣/٤٩).

(٣) سورة الرحمن، ٥.

(٤) سورة يونس، ٥.

(٥) سورة القيامة، (٨-٩).

(٦) سورة فاطر، ١٣.

(٧) سورة يس، ٣٨.

(٨) ينظر طنطاوي جوهرى، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (٢٣/٥٩)، محمود شكري الألوسى، ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان، ص ١١٩-١٢٥.

(٩) سورة الانفطار، (٦، ٧، ٨).

(١٠) سورة الحجر، ٢٩.

(١١) قال طنطاوي جوهرى: (سواء سبحانه من العناصر الأرضية التي يتغذى بها النبات ويتغذى بذلك الإنسان، ويصير في دم الحيض الذي يغذي الجنين ثم يأكل الطعام المكون من الطين من جملة الجسم الإنساني والماء معه) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (٧/٣٣).

تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطلال، ولا يمكن الإشارة إلا إلى مجامعها، وقد أشرنا إليه حيث ذكرنا أن من جملة معرفة الله تعالى معرفة أفعاله، فتلك الجملة تشتمل على هذه التفاصيل وكذلك كل قسم أجملناه لو شغبت إلى تفاصيل كثيرة، فتفكر في القرآن والتمس غرانبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين وجملة أوائله، وإنما التفكر فيه للتوصل من جملته إلى تفصيله وهو البحر الذي لا شاطئ له^(١).

وقد سبق في موضوع التفسير بالرأي ما ذكره الغزالي من الأدلة على جواز التفسير بالرأي، وقد أتى بالأدلة التي تدل على أن في القرآن علوما ثرة لا يدرك منتهاهها، ويمكن الرجوع إليها فهي أدلة صالحة للاستشهاد بها في هذا الموضوع.

ومن خلال ما سبق يمكن لي أن أسجل بعض النقاط الآتية:

أولاً: يأخذ الغزالي في الاعتبار محدودية القدرة العقلية للبشر في استنباط المعاني القرآنية حيث يقول: (و هناك أصناف بعد لم تخرج إلى حيز الوجود)^(٢).

وفي هذه الرؤية بيان لعظمة القرآن وإعجازه غير المتوقع أو المتحدد بحد، وهذه في حد ذاتها حركية الحياة في المعاني القرآنية التي تتجدد عبر الزمان والمكان.

ثانياً: في رؤية الإمام الغزالي أن استخراج العلوم واستنباط المعاني العلمية لا بد لها من تعمق وفهم عميق والآت فكرية للكشف عن الآيات المتنوعة في مجالات العلوم الكثيرة، يقول الإمام الغزالي: (والمقامات في التعمق بتفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك)^(٣). وربما كان المقصود بالمقام هنا ما يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات^(٤).

(١) الغزالي، جواهر القرآن ودرره، ص ٢٥ - ٢٨.

(٢) الغزالي، المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٨٣).

(٤) الغزالي، الإملاء في إشكالات الإحياء، (٦/٢٠٨) بذيل الإحياء.

ثالثاً: تقسيم الغزالي العلوم إلى علم القشور وعلم اللباب، وكأنني بالغزالي يقصد علم الأوليات فأقسام العلوم في علم القشور الذي أسماه مقدمات للعلوم التي أسماها علم اللباب، ولا يمكن فهم علم اللباب إلا بعلم القشور، فهي وإن كانت تسميات إلا أن الهدف من ذلك أنه لا بد من التكامل والتعاقد بين المقدمات والنتائج والسوابق واللاحق، وهذا حث على الترتيب المنطقي في العلوم وماخذها، وأنه لا يكتفي بالمقدمات عن النتائج وثمارها، وهذا ما أوضحه في قوله: (فاعلم أن لهذه الحقائق التي أشرنا إليها أسرار وجواهر ولها أهداف، والصدف أول ما يظهر، ثم يقف بعض الواصلين إلى الهدف على الصدف، وبعضهم يقف على الصدف ويطلع الدر، فكذلك جواهر القرآن وكسوته)^(١).

وعلم القشور يقصد به عند الصوفية العلم بالظاهر، وعلم اللباب: علم الباطن والحقائق، والقرآن الكريم حسب ما يرى الإمام الغزالي يتشعب منه أصناف شتى من العلوم وهي على كثرتها على قسمين: القسم الأول: علم القشور وهي التي تعنى بالظواهر التي تقف بطالب الحقيقة على بداية الطريق التي تعلمه ما يجب عليه أن يعرف ليسلك طريق المعرفة الحقيقي.

والقسم الثاني: علوم اللباب وهي العلوم التي تجعله يترقى في علم الحقيقة ويكتشف الأسرار، فالعلوم الأولى مقدمة للعلوم التالية.

وهذه دعوة إلى الإنفتاح على العلوم البحتة والتجريبية والفكرية حتى نتطافر في خدمة القرآن الكريم، وفي هذا المجال يقول سيد قطب - رحمه الله تعالى - : (والقرآن يصح للإنسان فطرته كي لا تتحرف ولا تفسد ويصح له النظام الذي يعيش فيه كي يسمح له باستخدام طاقاته الموهوبة له، ويزوده بالتصور العام لطبيعة الكون وارتباطه بخالقه وتناسق تكوينه وطبيعة العلاقة القائمة بين أجزائه وهو - أي الإنسان - أحد أجزائه، ثم يدع له أن

(١) الغزالي، جواهر القرآن ودرره، ص ١٨.

يعمل في إدراك الجزئيات والاندفاع بها في خلافته، ولا يعطيه تفصيلات لأن معرفة هذه التفصيلات جزء من عمله الذاتي^(١).

والحق أن الغزالي في هذا التقسيم يقدم لنا تصورا معينا لإعجاز القرآن، وأن كل آية لا بد وأن لها معاني متعددة ومتوعدة لا يعلم منتهاها و غايتها إلا الله تعالى منزل الكتاب، وهذه مزايا لا يمتلكها كتاب آخر سوى القرآن الكريم.

وبهذا فإن الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - كشف عن الأدلة والبراهين التي تثبت بجواز التفسير العلمي.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (١/١٨١ - ١٨٤).

المطلب الثاني: الجانب العملي في التفسير العلمي عند الغزالي:

قد يظن بعض الباحثين أن الغزالي روج لهذا اللون من التفسير ودافع عنه أمام خصومه من المعارضين له في هذا المقام في عصره، ولكنه لم يمارس ذلك في كتبه، بل اكتفى بوضع الأسس العامة وإثبات الأدلة التي تثبت هذا اللون من التفسير^(١).

ولكن في حقيقة الأمر وبعد الاطلاع والتأمل وطول النظر، وجدت أن الإمام الغزالي ذكر جوانب متعددة من هذا التفسير، وأجاد فيه وأبدع، وكانت آراؤه فيه ضمن أصول وقواعد تمت مراعاتها بدقة وعناية، فكشفت عن مدى الالتزام في المسلك العلمي الذي سار فيه الإمام - رحمه الله تعالى - .

ولدى الاطلاع يمكن القول بأن مسلك الإمام الغزالي في الناحية العملية في التفسير

العلمي ينحصر في ما يلي:

أولاً: تحديد الجوانب التي لا ينبغي الخوض فيها في هذا المضمون، قال رحمه الله تعالى: (... أعلم أن كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقته، وكل ذرة من الذرات من جوهر و عرض وصفة وموصوف فيها عجائب و غرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته، وإحصاء ذلك غير ممكن، لأنه لو كان البحر مدادا لذلك لتفد البحر قبل أن ينفد. عشر عشيره، ولكننا نشير إلى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول: الموجودات المخلوقة منقسمة إلى ما لا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكير فيها، وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال تعالى: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾^(٢)، ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾^(٣)، وقال: ﴿وننشقكم فيما لا تعلمون﴾^(٤)، وإلى ما يعرف أصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها، فيمكننا أن نتفكر في

(١) ومن هؤلاء الأستاذ فهد الرومي في كتابه: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، (٢/٥٥٥)

حيث قال: إن الغزالي روج للتفسير العلمي، ومهد السبيل لمن أراد سلوكه، وإن كان هو لم يسلكه.

(٢) سورة النحل، آية ٨.

(٣) سورة يس، ٣٦.

(٤) سورة الواقعة، ٦١.

تفصيلها وهي منقسمة إلى ما أدركناه بحس البصر وإلى ما لا ندركه بالبصر، كالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك، ومجال الفكر في هذه الأشياء مما يضيق ويغمض، فلنعدل إلى الأقرب إلى الأفهام وهي المدركات بحس البصر، وذلك هو السماوات السبع والأرض وما بينهما... وكل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريانه وهي الآيات الدالة عليه، وقد ورد القرآن بالحث على التفكير في هذه الآيات، كما قال تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار﴾^(١)، وكما قال تعالى: ﴿ومن آياته...﴾^(٢)، من أول القرآن إلى آخره^(٣).

يلمح هنا جانب من احترام العقل في هذا الميدان، وهذا ضابط من ضوابط التفسير العلمي وأساس من أسسه ومرتكزاته، وهذا لا يعني الحجر على العقل والتفكير ولكنه تعريف بحدده ومنتهى إدراكه وخبراته مهما بلغ من الوعي والإدراك والسعة في مساحة التفكير، جاء في الإسلام والفكر العلمي: (فصل الإسلام بين عالم الشهادة وعالم ما وراء الطبيعة كالملائكة... وذلك من حيث صلة الإنسان بهما، وطريقه للتعرف عليهما فجعل صلة الإنسان بعالم الشهادة طريقها الحواس والتفكير أي أدوات الشهادة، وصلته بعالم الغيب طريقها الإيمان، وعن طريق الوحي والنبوة، ولذلك يعالج الإنسان الحوادث والمسائل الكونية معالجة موضوعية بحسب ما يشهد بحواسه ويدرك بعقله)^(٤).

ثانياً: تقسيم الآيات إلى كونية ونفسية من حيث تفسيرها، حيث بدأ في كتاب الإحياء في الحديث عن جوانب خلق الإنسان ومظاهره وطرأته في الحياة والتفكير، وجوانب عظمة الله تعالى في إبداعه وتكوينه وجاء بالشواهد القرآنية التي تدل على قدرة الله تعالى، ثم انتقل إلى الحديث عن الأرض وما فيها من أنهار وجبال ومعادن، وذكر الآيات الدالة على قدرته تعالى في تكوينها وتمهيدها، لتكون مهادا للإنسان والنعم العظيمة التي سخرها

(١) سورة آل عمران، ١٩٠.

(٢) سورة الروم، ٢١.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٥٨/٦).

(٤) محمد المبارك، الإسلام والفكر العلمي، ص ٣٩.

للإنسان فيها، ثم انتقل للحديث عن أصناف المخلوقات من الحيوانات المختلفة و عجائب صنعتها الدالة على قدرته جلّ و علا، وأنماط السلوك الذي يدل على وجود خالق حكيم هدى هذه الكائنات إلى الأنماط السلوكية العجيبة الدقيقة.

ثم انتقل إلى أحوال الجو و المطر حيث يتبدى صنع الله الذي أنقذ كل شيء، و أحوال السحب و الغيوم ثم انتقل للحديث عن السماء الدنيا وما فيها من الكواكب و النجوم السيارة وكيف أقسم الله تعالى بالكواكب: الشمس و القمر و الطارق و مواقع النجوم، و إنه ليُلمح في كتاب (الحكمة في مخلوقات الله تعالى) أنه قد غاير فيه هذا الترتيب حيث بدأ بالحديث عن خلق السماء وما فيها من الكواكب و النجوم ثم عن الأرض وما فيها ثم عن البحار و الهواء ثم في حكمة خلق الإنسان ثم في أصناف الحيوانات من الطير و البهائم و الحشرات كالنمل و العنكبوت و غيرها.

وفي هذا تنبيه على أن في كل أفق من آفاق هذا الكون مجموعات من الآيات إذا درستها على حدة فإنها كافية، و هي حسبك في أن تعرف قدرة الله تعالى عليك. و الذي يبدو أن تقسيم الآيات إلى كونية و نفسية هي محطات للتأمل و وقات للدراسة و البحث، مصداقا لقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾^(١).

رابعاً: تفسير الآيات العلمية (الكونية و النفسية) بالمأثور:

لم يغفل الغزالي التفسير بالمأثور في جانب التفسير العلمي، و هذا ما يؤكد أهميته عنده و اهتمامه به، و هذا ما يؤكد حقيقة الالتزام بالأصول و القواعد التي ذكرها عند حديثه حول التفسير بالرأي كما سبق بيانه.

و هذا المسلك من ضوابط التفسير العلمي و أسس قبوله و اعتماده، و من ذلك ما قاله - رحمه الله تعالى -: (فقد علمت أن عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الأولون

(١) سورة فصلت، ٥٣.

والآخرون، وما أقسم الله تعالى به، فما ظنك بما أقسم الله تعالى به، وأحوال الأرزاق عليه وأضافها إليه، قال تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾^(١)، وأثنى على المفكرين فيه فقال: ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾^(٢)، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم مسح بها سبيلته))^(٣)، أي تجاوزها من غير ذكر، ودم المعرض عنها فقال: ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون﴾^{(٤)(٥)}.

ومما جاء أيضا في ذلك: في قوله تعالى: ﴿رفع سمكها فسواها﴾^(٦)، قال الغزالي: (وفي الأخبار ((إن ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام))^{(٧)(٨)}، وفي قوله تعالى: ﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾^(٩)، قال الغزالي: (انظر كيف جعل الأرض مهادا يستقر عليها الحيوان فإنه لا بد له من مستقر، ولا غنى له عن قوت جميع الأرض كل للنبات لقوته ومسكن يسكنه من الحر والبرد، ومدفن يدفن فيه ما تؤذي رائحته والجيف والأقذار من أجسام بني آدم وغيرها، كما قال سبحانه: ﴿لم نجعل الأرض كفاتا* أحياء وأمواتا﴾^(١٠)، قيل في تفسير هذه الآية هذا القول وغيره^(١١))^(١٢).

- (١) سورة الذاريات، ٢٢.
- (٢) سورة آل عمران، ٩١.
- (٣) المنذري، الترغيب والترهيب، كتاب قراءة القرآن، رقم ٢٢٥٥، (٢/٢٤٣).
- (٤) سورة الأنبياء، ٣٢.
- (٥) الغزالي، إحياء علوم الدين (٦/٦٨).
- (٦) سورة النازعات، ٢٨.
- (٧) أورده ابن كثير في جامع المسانيد والسنن الهادي إلى أقوم سنن، رقم ٥٠١٠، (٧/٢٠٣).
- (٨) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٦/٧٠).
- (٩) سورة الذاريات، ٤٨.
- (١٠) سورة المرسلات، (٢٥-٢٦).
- (١١) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، (٤/٥٩١)، النسفي، مدارك التنزيل، (٢/٧٦١).
- (١٢) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله تعالى، ٩٢، وينظر للمزيد أيضا المصدر نفسه، ص ٩٠، و ص ٩٥، إحياء علوم الدين (٦/٥٨).

قال طنطاوي جوهرى: (فيها) مخازن الماء وما يمسكها لنلا نتشتت وتزل وذلك يوجب
تيقظ الإنسان للأمور العامة فيدرس الأرض وطبقاتها) (١).

خامساً: الإفادة من التفسير الظاهر لتعميق الدلائل العلمية للآية: ومن ذلك: في قوله تعالى:
﴿والسماوات ذات الحبك﴾ (٢)، قال الغزالي: (قيل الحبك: الطريق) (٣)، وقيل: ذات
الزينة (٤)، فهي دلائل واضحة تدل على فاعلها وصنعتة المحكمة الصمدية التي تدل
على سعة علم بارئها، وأمور ترتبها كلها تدل على إرادة منشئها فسيحان الله القادر
العالم المرید) (٥).

وفي موضع آخر قال الإمام الغزالي: (وقال تعالى امتنانا على عباده: ﴿وأنزلنا
الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ (٦)، والنزول بمعنى الخلق، كما قال سبحانه: ﴿وأنزل
لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ (٧)، أي خلق (٨)، وأهمهم استخراج ما في الأرض من ذهب
وفضة، وغير ذلك لمنافعهم وما يحتاجون إليه في معاشهم وفي ضبط ما يحتاجون إلى ضبطه
وتقويته واتخاذ أنواع من الحجارة النفيسة لتبقى فيها كالزجاج، ويتخذون منها أواني لحفظ ما
يحصل فيها من الأمور النفيسة لتبقى فيها سليمة لوقت الاحتياج إذ لا غنى لهم عنها) (٩).

سادساً: التركيز على جانب الهداية وربط الأسباب بالمسببات، وهذا هو الدافع وراء بحثه في
هذا الجانب من التفسير، بل التفسير ككل وفرعيات الشريعة الأخرى، حيث يدعو

(١) طنطاوي جوهرى، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (٣٣٣/٢٤).

(٢) سورة الذاريات، ٧.

(٣) هذا قول الضحاك، ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٩٧/٤).

(٤) هذا قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبیر، المصدر نفسه، (٢٩٧/٤).

(٥) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله، ٨٥.

(٦) سورة الحديد، ٢٥. قال السيوطي: (والآية أصل في جميع ما يتخذ منه من سلاح وغيره)، الإكليل فسي

استنباط التنزيل، ص ٢٥٥.

(٧) سورة الزمر، ٤.

(٨) ينظر النسفي، مدارك التنزيل، (٤٤٧/٢).

(٩) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله، ص ٩٤، وينظر للمزيد المصدر نفسه، ص ٩٨.

بدعوة القرآن العظيم إلى إجماله البصر في أنحاء هذا الكون الرحيب وأرجائه المترامية الأطراف، والتبصر في آيات الله التي لا تنتهي ولا تحد بحد.

وهو بهذا يثير في النفوس النشاط وعماراة الأرض وتسخير أدواته من أجل طاعة الله سبحانه وتعالى ، وهذا ما يدعو إليه القرآن الكريم وهذا أساس من أسس التفسير العلمي، حيث يكون الهدف منه تعميق الشعور الإيماني لدى المسلم، يقول الزرقاني في بيان شروط التفسير العلمي: (أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة ويفتحهم إلى جلال القرآن، ويحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون الذي سخره الله تعالى لنا انتفاعا يعيد للأمة الإسلامية مجدها)^(١).

وقد جاءت لفئات الإمام الغزالي إلى جوانب الهداية بعبارات متعددة في كل موضوع بحث فيه الجوانب العلمية، فتارة يقول: (فانظر ما أطف هذا التدبير)^(٢)، ومن رحمته كذا وكذا...^(٣)، ويقول في قوله تعالى: ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً﴾^(٤): (فتأمل عجائب البحر فإن فيه من الحيوانات والجواهر والطيب أضعاف ما نشاهده على وجه الأرض، كما أن سعته أضعاف سعة الأرض)^(٥)، ويقول: (فالعجب ممن يغفل عن نعمة الله في هذا كله، وفي بعضه متسع للتفكير، وكل ذلك شواهد متظاهرة ودلائل متظافرة وآيات ناطقة بلسان حالها، مفصحة عن جلال بارئها، معربة عن كمال قدرته وعجائب حكمته، قائلة: أما ترى تصويري وتركيبني وصفاتي زمنا واختلاف حالي وكثرة فوائدي، أبطن ذو لب سليم وعقل رصين أنني تكونت بنفسي، أو أبد عني أحد من جنسي بل ذلك صنع القادر القاهر العزيز الجبار)^(٦).

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/٥٦٩-٥٧٠).

(٢) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله تعالى، ٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ٩٣.

(٤) سورة النحل، ١٤ .

(٥) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله تعالى، ص ٩٨.

(٦) الغزالي، المصدر نفسه، ٩٩.

ويقول أيضا: (فانظر إلى آثار رحمة الله، فسبحان اللطيف بخلقه المدبر لملكه) (١).

وتلمح في هذا أيضا أن الإمام الغزالي يقدم لنا التفسير العلمي بصورة دعوية بعيدا عن الشيء عن الأسلوب التقليدي في تفسير الآيات الذي اعتاده المفسرون في التفسير التحليلي والمقارن، وهذه طريقة نجدها عند بعض من كتب في التفسير العلمي المعاصر، كالشيخ طنطاوي جوهرى، والشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، والشيخ مصطفى المراغى، وغيرهم حيث ساروا على خط ومنهج الإمام الغزالي في هذا النمط، فقدموا لنا تفسيراً علمياً دعوياً يكشف عن جوانب الهداية للبشرية جمعاء، ولعل هذا النمط من التفسير يشد القلب ويشوق النفس فتأنس إليه وتتفاعل معه، ويحدث فيها أثرا طيبا بخلاف التفصيلات التحليلية المتخصصة التي قد تورث السامة والملل وعدم المتابعة عند القارئ، مما قد تذهب بفائدتها لا سيما إذا جردت من الهدف الأسمى أعني جانب الهداية.

سابعاً: الأخذ عن أهل التخصص في العلوم المختلفة والاطلاع على الثقافات والعلوم المتنوعة: يعدُّ الغزالي علماً وبحراً في العلوم المختلفة، ويتأكد هذا على الحقيقة عندما نراه يسترى البحث بمعلومات دقيقة متخصصة في الطب والفلك وعلم البحار وعلم الأنواء وغيرها، وهذا ما أشار إليه من قبل في أن هذا النوع من التفسير يحتاج إلى أدوات فكرية وعلمية وعملية لتعميق مدلول الآيات القرآنية، وإن الباحث والقارئ على حد سواء لينبهر من الدقائق العلمية التي يتحفنا الإمام الغزالي بها، وهذا بحق يشكل الالتصاق والتماسك بين الأصالة الفكرية والثقافة العلمية المتنوعة التي كان يتسم بها عالم كالغزالي - رحمه الله تعالى - ومما جاء من أمثلة على ما تقدم ما يأتي:

• ففي قوله تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ (١).

(١) الحكمة في مخلوقات الله تعالى، ص ١٠٣، وينظر للمزيد أيضا المصدر نفسه، ص ١١٣، وص ١٢٧،

إحياء علوم الدين (٦/٦٣). و المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ص ٨٧، ص ٩٢، وص ١١١.

(٢) سورة الأنعام، ٧٥.

يقول رحمه الله تعالى: (وقد اتفق الناظرون - علماء الهيئة والفلك - إلى أن الشمس مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة، وفي الأخبار ما يدل على عظمها، ثم الكواكب التي تراها، أصغرها مثل الأرض ثماني مرات وأكبرها ينتهي إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض، وبهذا نعرف ارتفاعها وبعدها، إذ للبعد صارت ترى صغارا^(١)).

وما ذكره الإمام الغزالي أمر تقديري وليس بالمعنى الدقيق فحقيقة حجم الشمس بالنسبة للأرض أكثر مما ذكره - رحمه الله تعالى -، ولعل الفرق بين ما قاله رحمه الله تعالى - وما توصل إليه العلم اليوم راجع إلى دقة الوسائل العلمية المعاصرة، وقد ذكر علماء الفلك أن هناك كويكبات وهي أجزاء من المجموعة الشمسية صغيرة الحجم بالمقارنة مع الأرض وهي أجسام صلبة تسبح في الفضاء، وهناك نجوم يبلغ حجمها أضعاف أضعاف حجم الأرض والشمس وتعد الشمس نجما صغيرا بالنسبة لنجوم مجرة درب التبانة^(٢)).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(٣) قال الإمام الغزالي: (ثم انظر كيف جعل خلق الرأس مركبا من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال والصور، وألف بعضها إلى بعض بحيث استوت كرة الرأس كما ترى، فمنها ستة تختص بالقحف - الجمجمة - وأربعة وعشرون للحي الأعلى، واثنان للحي الأسفل، والبقية من الأسنان بعضها عريض يصلح للطحن، وبعضها حاد يصلح للقطع، ثم جعل الرقبة مركز الرأس، فركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات وزيادات ونقصان لينطبق بعضها على بعض، ويطول ذكر الحكمة فيها، ثم ركب الرقبة على الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظمة العجز من أربعة

* قال الزبيدي: قال الحافظ العراقي: أخرجه أبو الشيخ في العظمة وابن مردويه في التفسير، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (١٠/٢١٤).

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٦/٧٠).

(٢) الدكتور بلاد سعد عميره وزملاؤه، علوم الأرض والبيئة، ص ٧٥.

(٣) سورة المؤمنون، ١٢.

وعشرين خرزة ويلي عظم العجز ثلاثة أخرى مختلفة، ووصل به من أسفله عظم العصعص وهو مؤلف من ثلاثة أخرى^(١).

وما ذكره الإمام الغزالي يشبه إلى حد ما ما توصل إليه الطب الحديث وإن كان هناك بعض الاختلاف، أما وجه الاتفاق فإن الإمام الغزالي ذكر أن عظام الرقبة عددها سبع وهذا صحيح إذ هي تتألف من سبع فقرات عنقية، وما ذكره من أن ما بين أسفل الرقبة إلى منتهى العجز يوجد أربع وعشرون فقرة فهذا يعني أن الإمام عنى بذلك الفقرات المفصليّة التي تتصل كل منها مفصلياً بالفقرة التي تسبقها والفقرة التي تليها، ولكن هناك فقرات أخرى تسمى فقرات ملتحمة أو غير متحركة وهذه عددها تسع لم يذكرها الإمام الغزالي، وعلى هذا فإن عظام العمود الفقري مكونة من ثلاث وثلاثين عظمة.

وأما وجه الاختلاف بين ما ذكره الإمام وبين ما يبينه الطب الحديث فهو أن عدد فقرات العجز خمس فقرات وليس ثلاث، والفقرات العصصية تتألف من أربع إلى خمس فقرات صغيرة ملتحمة^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾^(٣)، يقول: (ثم انظر إلى العنكبوت وما خلق فيها من الحكمة، فإن الله -تعالى- خلق في جسدها رطوبة تنسج منها بيتاً لتسكنه وشركاً لصيدها، فهو مخلوق من جسدها وجعل الله غذاءها من أقاتها ينصرف إلى تقويم جسدها وإلى خلق تلك الرطوبة المذكورة، تنصبه أبداً مثل الشرك وفي ركن الشرك بيتها، والشرك من خيوط رقائق تلتف على أرجل الذباب والناموس وما شابه، ذلك إذا أحست أن شيئاً من ذلك وقع في شركها خرجت إليه بسرعة، وأخذته محتاطة إليه ورجعت إلى بيتها فتقاتت بما تيسر لها من رطوبة تلك الحيوانات، وإن كانت مستغنية في ذلك الوقت شكلته وتركته إلى وقت الحاجة) (٤).

وحول هذا المعنى جاء في كتاب "العلوم الطبيعية في القرآن" (كشف بعض علماء الحشرات الألمان عن أن بعض العناكب تنسج خيوطاً دقيقة جداً إذ إنها تنسج بيتها من خيوط كل خيط منها مؤلف من أربعة خيوط أدق وكل واحد من هذه الخيوط الأربعة مؤلف من ألف، وكل واحد

(١) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله تعالى، ١١١، وينظر للمزيد جواهر القرآن ودرره، ص ٤٠-٤١.

(٢) ينظر في ذلك الدكتور عدنان بدران، البيولوجيا (علم الحياة)، ص ٢٩٧.

(٣) سورة الأنعام، ٣٨.

(٤) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله تعالى، ص ١٣٩.

من الألف يخرج من قناة خاصة في جسم العنكبوت، وهذا يعني أن كل خيط ينقسم إلى ١٠٠٠×٤ = ٤٠٠٠ (أربعة آلاف خيط) وإن الكيفية التي خلق الله بها في جسم العنكبوت ألف تقب يخرج منها ألف خيط في أن وحد حيث يخرج الخيط الدقيق فيتجمع كل ألف خيط في خيط أغلظ ومن الخيوط الجديدة يتجمع كل أربعة سوية لتشكل خيطاً أكبر، وهكذا تتجمع الخيوط لتتشئ مسكناً ومصيدة للعنكبوت لتدعو العاقل والعالم والمؤمن إلى التفكير في عظمة الخالق - جل وعلا. (١).

ويظهر الإمام الغزالي هنا عالماً طبيعياً درس العلوم الأرضية والكونية، وأفاد منها في خدمة كتاب الله تعالى وتفسير آياته الكريمة تفسيراً علمياً دقيقاً. وهنا يكشف الغزالي عن ثقافة العصر والحركة العلمية في ذلك الوقت، وهذا يعزز من الأخذ بمعطيات العصر والإفادة من ثقافته بما يفيد وينفع.

ومما سبق، فإن الإمام الغزالي قدّم لنا تفسيراً علمياً يقوم على الأسس والشروط التالية، وهي تعد اليوم ركائز لقبول التفسير العلمي:

أولاً: الأخذ بالتفسير بالمأثور وإيلاءه المكانة اللائقة، والربط بين الآيات في الموضوع الواحد.

ثانياً: عدم الخوض في مجال الغيبيات وما لا يخضع للحس، وأما ما يقع تحت الحس والمشاهدة فهذا هو المجال المسموح للبحث فيه.

ثالثاً: مراعاة النظم والسياق في فهم الآيات الكونية والنفسية، وقد جاء هذا في الجواهر حيث قال: (ونحن الآن ننظم جواهر القرآن في مسلك واحد، ودرره في سلك آخر، وقد يصادف كلاهما منظوماً في آية واحدة، فلا يمكن تقطيعها، فننظر إلى الأغلب من معانيها) (٢).

جاء هذا أثناء ذكره للآيات التي تطرقت للجوانب العلمية، فيذكر ما قبلها وما بعدها حتى يتم فهمها من خلال السياق القرآني، فالسياق هو الذي يحدد المعنى، ولا ينبغي أن يكون التفسير العلمي خارجاً عن هذا النطاق.

رابعاً: إبراز الهدف من التفسير العلمي: وهو التركيز على جانب الهداية، وأن لا تطنى العلوم التجريبية أو الحقائق العلمية على هذا الهدف الأسمى.

خامساً: تناول التفسير العلمي بالأسلوب الدعوي وعرضه على الناس بطريقة سليمة بعيدة عن التفاصيل المملة المرهقة التي يبدو فيها التكلّف والتحمل.

سادساً: توثيق المرجعية العلمية والاستعانة بعلوم أهل العصر والاطلاع الواسع عليها للإفادة منها، وفي هذا تأكيد على أن لا تعارض بين القرآن الكريم والحقائق العلمية، وفي هذا ردّ عملي على من يخطر بباله مثل هذه الأوهام أو الشكوك.

(١) الأستاذ الدكتور فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، (٢/٦٣٢)، نقلاً عن

يوسف مروة، العلوم الطبيعية في القرآن، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢) الغزالي، جواهر القرآن ودرره، ص ٥٢.

المبحث السادس: التفسير الصوفي عند

الإمام الغزالي

التفسير الصوفي:-

يقسم الباحثون التفسير الصوفي إلى قسمين اثنين: التفسير الصوفي النظري، والتفسير الصوفي الإشاري.

فالتفسير الصوفي النظري: (هو الذي يبني على مقدمات وتعاليم ونظريات فلسفية، يوع فيها المفسر الآيات والنصوص مع نظرياته وتتفق مع تعاليمه) (١).

وهذا اللون من التفسير لا يمكن قبوله والأخذ به بأي وجه لأنه لا يقوم على الدليل أولاً: ولأنه تحكم بالنصوص عن طريق الهوى والزيغ ثانياً، (والتفسير الصوفي النظري مرفوض جملة وتفصيلاً، لأنه خروج بالقران عن معانيه وأهدافه ومراميه، بل هو لي لأعناق آيات القران الكريم، تحت وطأة التأثير بالنزعات والتعاليم الفلسفية، وتشهد له اللغة التي نزل بها القران) (٢).

ويعرف التفسير الإشاري أو الفيضي: بأنه (تأويل آيات القران الكريم على خلاف ما ظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة) (٣).

وقد اختلف العلماء في التفسير الإشاري- بين مؤيد له مستدل عليه بالأدلة وبين رافض له مانع قبوله.

ويظهر الفرق بين التفسيرين فيما يلي:-

أولاً: التفسير الصوفي النظري مبني على مقدمات علمية وهمية تتقدح في ذهن الصوفي أولاً، ثم ينزل القران عليها بعد ذلك، ومعنى هذا ان هناك تصورات مسبقة لدى الصوفي ويريد أن يجد لها دليلاً من القران الكريم.

أما التفسير الإشاري فلا يرتكز على تلك المقدمات بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تتكشف له فيها من سجع العبارات هذه الإشارة القدسية وتتهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية.

ومعنى هذا أن الصوفي خال من مقدمة علمية وهمية أو نظرية فلسفية عندما يريد تفسير الآيات بل تتهاى عليه فتوحات ربانية يشعر أنها استقرت في قلبه، فيظهر تفسيره للآيات على هذا النحو.

(١) د. الذهبي، التفسير والمفسرون، (٢/٣٣٩).

(٢) د. مصطفى المشني، ابن العربي وكتابه أحكام القران، ص ٣٦١.

(٣) د. الذهبي، التفسير والمفسرون، (٢/٣٥٢).

ثانياً: التفسير الصوفي يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من المعاني، وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه، وهذا بحسب طاقته طبعاً، ومعنى هذا أن المعنى الباطني هو التفسير المراد تفسيره.

أما التفسير الإشاري: فلا يرى الصوفي أنه كل ما يراد من الآية، بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية، ويراد منها أولاً وقبل كل شيء المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره.

عني الإمام الغزالي - رحمه الله - بالتفسير الإشاري عنايةً بالغة، وقد جاء هذا النوع من التفسير عنده ليصل للقارئ إلى السمو الروحي في فهم الآيات القرآنية، وقد جاء منهجه في هذا النوع من التفسير فيما يلي:

أولاً: إحكام التفسير الظاهر قبل البدء بالتفسير الإشاري للآية:

كثيراً ما كان الإمام الغزالي يقرن التفسير الإشاري بالتفسير الظاهر حتى يتضح للقارئ وجه الجمع بينهما^(١)، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢) قال رحمه الله تعالى: (وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً، فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً من كل رجس، ومستتيراً بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح للمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان، ولا لنيل معانيه كل قلب)^(٣)، فهنا قدم الإمام الغزالي التفسير الظاهر على التفسير الإشاري.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾^(٤)، قال - رحمه الله تعالى - : (فإذا لزمك بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك

(١) الباحث عدنان يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين، ص ١٧٨.

(٢) سورة الواقعة، ٧٩.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٧٣).

(٤) سورة الأنفال، ٦٠.

الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى.)^(١)، (فالمعنى الظاهر هو الحذر من العدو الكافر والمعنى الإشاري هو الحذر من العدو الشيطان اللعين)^(٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم نرهم في خوضهم يلعبون ﴾^(٣)، قال حجة الإسلام: (معنى قوله تعالى ﴿ قل الله ثم نرهم في خوضهم يلعبون ﴾ هو أن تذر بالكلية غير الله، ومعنى قوله تعالى: ﴿ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾^(٤) هو معنى قولك لا إله إلا الله، ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشعر وأحد من السيف مثل الصراط الموصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير، إذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قاذح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لا محالة نقصاناً في درجات القرب. ومع كل نقصان ناران: نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان، ونار جهنم كما وصفها القرآن، ولا يخلو بشر في غالب الأمر عن واحد من الأمرين قال الله تعالى: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً^(٥)، ولذلك قال الخائفون من السلف: إنما خوفنا لأننا نيقنا أنا على النار واردون وشكنا في النجاة)^(٦).

وفي هذا المثال يبين رحمه الله تعالى رتبة من تحلى بأصل الإيمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه، فإن راس الإيمان هو التوحيد وهو أن لا يعبد إلا الله -تعالى-، ومن اتخذ

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٠٨/٤).

(٢) الباحث، عدنان يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين، ص ١٧٨.

(٣) سورة الأنعام، ٩١.

(٤) سورة فصلت، ٣٠.

(٥) سورة مريم، ٧١-٧٢.

(٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٦٤/٤).

إليه هو اه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة. (١)، ونلاحظ أن الغزالي رحمه الله تعالى لم يبعد عن ظاهر الآية القرآنية فيما ذهب إليه من بيان للطائفها.

وفي قوله تعالى: ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية ... ﴾ (٢)، قال الغزالي: (معنى الماء هنا القرآن، ومعنى الأودية هي القلوب، وإن بعضها احتل شينا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتل، والزبد مثل الكفر والنفاق، فإنه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فإنه لا يثبت، والهداية التي تنفع الناس تمكث) (٣).

وهذه المعاني الإشارية التي أوردها الإمام الغزالي في هذا المثال ليس فيها بعد عن ظاهر النظم القرآني، وإنما هي سعة إدراك لبعض ما تدل عليه الآية من المعاني العميقة. (فهذه الآية تشتمل على أمثال ضربها الله - سبحانه - لتشبيه القرآن المنزل بالماء المنزل من السماء، وشبه القلوب بالأودية وشبه وساوس الشيطان وهو اجس النفس بالزبد الذي يعلو الماء، وشبه الباطل بخبث هذه الجواهر، وكما أن الأودية مختلفة في صغرها وكبرها، وأن بقدرها تحتل الماء في القلة والكثرة كذلك القلوب تختلف في الاحتمال بحسب الضعف والقوة، وكما أن السيل إذا حصل في الوادي أفاض عليه الماء فكذلك القرآن إذا حصل حفظه في القلوب نفى الوسوس والهوى عنها، وكما أن الماء قد يصحبه ما يكره ويخلص بعضه مما يشوبه فكذلك الإيمان وفهم القرآن في قلوب المؤمنين حين تخلص من نزعات الشيطان، فالقلوب بين صافٍ وكدر، وكما أن الجواهر التي تتخذ منها الأواني إذا أذيت خلصت من الخبث، كذلك الحق يتميز من الباطل، ويبقى الحق، ويضمحل الباطل) (٤).

(١) ينظر الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٢٦٤).

(٢) سورة الرعد، ١٧.

(٣) الغزالي، قواعد العقائد، ص ٥٤ - ٥٥، ومشكاة الأنوار، ص ٧٦.

(٤) القشيري، لطائف الإشارات، (٢/٢٢٤-٢٢٥)، الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، (٢/٧٦-٧٧).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾^(١)، قال الإمام الغزالي: (رابطوا أنفسهم بالمشاركة ثم بالمراقبة ثم المحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاقبة، فكانت لهم في المرابطة ست مقامات)^(٢).

معنى المشاركة: اشتراط العقل على النفس فيوظف عليها الوظائف ويشترط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك الطرق^(٣).

ومعنى المراقبة: عدم إغفال النفس أو إهمالها في سلوكها الطريق وهي حالة القلب يثمرها نوع من المعرفة، وتتم الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب^(٤)، ومعنى المحاسبة: محاسبة النفس على الأنفاس وعلى المعصية بالقلب والجوارح في كل ساعة^(٥).

ومعنى المعاقبة: معاقبة النفس إن لم تسلم عن مفارقة المعصية، ومعاقبة كل طرف من أطراف البدن بمنعه عن شهواته، وهذه عادة سالكي طريق الآخرة^(٦).

ومعنى طريق المجاهدة: هو إلزام النفس فنونا من الوظائف جبرا لما فات منها وتداركا لما فرط^(٧).

ومعنى المعاقبة: توبيخ النفس ولومها رجاء أن تصير النفس مطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية^(٨).

(١) سورة آل عمران، ٢٠٠.

(٢) الغزالي، أحياء علوم الدين، ٥/٦.

(٣) المصدر نفسه، ٥/٦.

(٤) المصدر نفسه، ٥/٦.

(٥) المصدر نفسه، ٢٠/٦.

(٦) المصدر نفسه، (٢٢/٦).

(٧) المصدر نفسه، (٣٠/٦).

(٨) المصدر نفسه، ٣٣/٦.

والمقام: هو الذي يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات، فمتى أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينقل منه إلى غيره^(١). وكل هذا يتطلب القيام على النفس وتعهدها في خطراتها وسكناتها وحركاتها ولحظاتها.

وظاهر الآية يدل على أن المصابرة والمرابطة في مقام الجهاد والدعوة، قال الزمخشري: (اصبروا) على الدين وتكاليفه، (وصابروا) أعداء الله في الجهاد، أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب، لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً، والمصابرة: باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصاً لشدته وصعوبته (ورابطوا): أقيموا في الثغور رابطتين خيلكم مترصدين^(٢) فالنفس أماره بالسوء، وهي عدو يحتاج إلى جهاد (وإنما سماوا الجهاد مع الهوى والنفس والشيطان أكبر لأن الجهاد معها أدوم وجهاد الكفار يكون في وقت دون وقت)^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى: (فيه رجال يحبون أن يتطهروا)^(٤).

قال الإمام الغزالي: (فتفتن ذوو البصائر بهذه الظواهر إلى أن أهم الأمور تطهير السرائر، إذ يبعد أن يكون المراد بقوله عليه السلام: (الطهور نصف الإيمان) عمارة الظاهر بالتنظيف بإضافة الماء وتخريب الباطن وإبقاؤه مشحوناً بالأخبار، والأقذار هيئات هيئات)^(٥).

ومعنى هذا أنه لا بد من تطهير النفس والقلب (الباطن) من المعاصي (وهذه سمة العابدين فهم يتطهرون عن الشهوات ولما نبي النفس وهذه صفة الزاهدين)^(٦).

(١) الغزالي كتاب الإملاء في اشكالات الإحياء، (٢٠٨/٦)، بذيل الإحياء.

(٢) الزمخشري، الكشاف، (٤٨٨/١-٤٨٩).

(٣) مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف، ص ٢٢.

(٤) التوبة، ١٠٨.

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٦٧/١) والحديث أخرجه أبو نعيم الأصفهاني، المسند المستخرج على

صحيح مسلم، كتاب الطهارة في الوضوء وفضله، رقم ٥٣٤، (٣٨٩/١).

(٦) القشيري، لطائف الإشارات، ٦٢/٢.

وطهارة الباطن هنا (عبارة عن الابتعاد عن ما يجتنب ويطلب البعد عنه، من الشرك بالله تعالى، وفساد العقيدة، ورداءة الخلق^(١)).

والذي ذهب إليه حجة الإسلام محتمل يتفق وما يطلبه الشرع من تزكية النفس وتطهيرها بقوله تعالى: (قد أفلح من زكاهها)^(٢).

ومما يوضحه رحمه الله تعالى - في بيان المنهج الصحيح للتعامل مع الآيات القرآنية على أساس التفسير الإشاري قوله: (إن إبطال الظواهر رأي الباطنية السذي نظروا بالعين العوراء إلى أحد العالمين^(٣))، ولم يعرفوا الموازنة بين العالمين، ولم يفهموا وجهه، كما أن إبطال الأسرار - اللطائف الباطنية - مذهب الحشوية^(٤)، فالذي يجرد الظاهر حشوي^(٥)، والذي يجرد الباطن باطني^(٦)، والذي يجمع بينهما كامل (يعني معرفته بأصول هذا العلم كاملة) قال عليه السلام: (للقران ظاهر وباطن وحد ومطلع)^(٧).

والظاهر والباطن في معناه وجوه: أحدها أنك إذا بحثت عن باطن الآية وقسسته على ظاهرها وقفت على معناها، والثاني: أن ما من آية إلا عمل بها قوم، ولها قوم سيعملون بها، كما قال ابن مسعود، الثالث: أن ظاهرها لفظها، وباطنها تأويلها، الرابع: إن القصص التي قصها الله - تعالى - عن الأمم الماضية وما عاقبهم به: ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، إنما

(١) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، (١/٣٠٧-٣٠٨) فعمارة الظاهر وطهارته موافقة لعمارة الباطن وطهارته بل هما متلازمان.

(٢) سورة الشمس، ٩.

(٣) عالم الغيب والشهادة.

(٤) الحشوية: الذين يتبعون ظواهر الأحاديث نسبة إلى الحشاء أي الجانب والطرف، أو بسكون الشين لقولهم بذلك في القران حيث زعموا أن في الكتاب والسنة ما لا معنى له، الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، (٥٨/٢).

(٥) يعني لا يرى في القران إلا المعاني الظاهرة.

(٦) يعني لا يرى في القران إلا المعاني الباطنة ولا يقر بالظاهر.

(٧) هذا من الأحاديث المختلفة التي لم يروها أحد من أهل العلم ولا يوجد في شيء من كتب الحديث، ولكن يروى عن الحسن البصري موقوفاً أو مرسلًا، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٣/٢٣١-٢٢٢).

هو حديث حدث به عن قوم، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعالهم، فيحل بهم مثل ما حل بهم.

الخامس: إن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمنته من

الأسرار التي اطلع الله تعالى، عليها أرباب الحقائق وربما نقل هذا عن علي موقوفا عليه^(١)

أجمع بين الظاهر والسر والباطن جميعا، فهذا هو الكمال، وهو المعنى بقولهم: الكامل

من لا يطفى نور معرفته نور ورعه (يعني نور المعرفة الظاهري يزيد من نور المعرفة

الباطني وسمو الروح وصفاء الباطن فيتعاقد النوران وهذا هو الكمال بينهما) بل أقول: فهم

موسى من الأمر بخلع النعلين^(٢) إطراح الكونين^(٣) - الدنيا والآخرة - فامتثل الأمر ظاهرا بخلع

فعله وباطنا بإطراح العالمين^(٤)، - عالم الغيب والشهادة - هذا هو الاعتبار، أي العبور من

الشيء إلى غيره، ومن الظاهر إلى السر - الباطن^(٥)

(١) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١/١٢٢٠.

(٢) يشير إلى قوله سبحانه: (فلما أتاها نودي يا موسى * إني أنا ربك فأخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى)، طه، ١١-١٢)

(٣) وهي عبارة عن جميع ما خلق الله تعالى في الدنيا والآخرة، يعبر عنهما بعالم الغيب والشهادة، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (٣/٣٣٠).

(٤) منازل الأنبياء الترقى إلى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال، ولا يمكن وطء ذلك الوادي المقدس إلا بطرح الكونين - الدنيا والآخرة - والتوجه إلى الواحد الحق، وكانت الدنيا والآخرة متقابلتين متحاذيتين، وهما عارضان للجوهر النوراني البشري يمكن اطراحهما مرة، والتلبس بهما مرة أخرى، فمثال اطراحهما عند الاحرام للمتوجه إلى كعبة القدس خلع النعلين، بل يترقى إلى الحضرة -حضرة الربوبية مرة أخرى، ابن تيمية، بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ص ٢٠٨. ويقول أيضا: ظاهر خلع النعلين منبه على ترك الكونين، فالمثال في الظاهر حق، وأداه إلى السر الباطن حقيقة، والمعنى أنه يعنيه عن شهود ما سوى الله تعالى من كوني الدنيا والآخرة فيختلف القلب عن شهود هذا وهذا بشهود المكون، المصدر نفسه، ص ٢١٤. وفي مدارج السالكين (المراد: أن النفس لما كانت مائلة إلى الملذوات المحسوسة والمعنوية المشاهدة والمعانية كان النظر إليها والوقوف معها علة في الطريق والقصد جميعا، وكان شاغلا لها عن النظر إلى المقصود وحده والوقوف معه دون غيره، والالتفات إليه دون سواه، فمتى قوي تعلق القلب بالمقصود الأعلى بحيث يشغله ذكره عن ذكر غيره وحبه عن حب غيره، وكان أنسه به نظره إلى الكونين وانفصل توفقه عليهما، وانفصلت مبالاته بهما ضررا أو نفعاً أو عطاء أو متعاً، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (٣/٣٣٠).

(٥) الغزالي، مشكاة الأنوار، ص ٧٧.

فالإمام كما يلحظ يقول بالظاهر ويقر به إقراراً تاماً، وهو عنده المعتمد والاصل، ولكنه يرى أن القرآن الكريم منطوق على أسرار عظيمة تكشف لأرباب السلوك وأصحاب البصيرة النافذة، وقد أشار إلى هذا المعنى بطريق الاعتبار، ومعنى الاعتبار: (العبور من حال إلى أخرى، فإسالك من أهل الأسرار يتجاوز من الظاهر إلى الباطن) (١).

وقد نص يرحمه الله تعالى على أن التفسير الظاهري يجب أن يقدم على غيره إذ قال: (ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولاً، ولا يطمح في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم تحك التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، أو يدعي فهم مقاصد الأثر من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك، فإن ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد منها للفهم) (٢).

ثانياً: الإمساك عن التوغل في الخوض في إشارات الآيات:

لم يكن الإمام الغزالي يوغل في الخوض في إشارات الآيات أو تفسيرها، وإنما كان يعرج على هذه المعاني الإشارية بعبارات واضحة وأسلوب سهل مختصر لا تعقيد فيه (٣)، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله الإمام الغزالي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمِ ﴾ (٤): (تتدبها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق) (٥).

وقد أشار الألويسي إلى هذا المعنى بقوله: (لا تودعوا الناقصين عن مراتب الكمال أسراركم وعلومكم) (٦).

(١) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين؛ (٣٠٧/١)

(٢) إحياء علوم الدين، ٣٨٦/١.

(٣) الباحثة، عدنان يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في الإحياء في علوم الدين، ص ١٨١.

(٤) سورة النساء، ٥.

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٧٧/١).

(٦) الألويسي، روح المعاني، (٢٠٩/٤).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَمَا لَبَسَ بِهَذَا الْغُشَىٰ﴾^(١)، قال الغزالي: (وهو المسمى حياة لقوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^(٢)، والمعنى بقوله تعالى: ﴿أَقْمِنِ شَرْحَ اللَّهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٣)، وأما الرشد^(٤)، فنعني به: العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه، وتفتره عن فساد، ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رِشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾^(٥)، والرشد: عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها، فالصبي إذا بلغ خبيراً بحفظ المال وطرق التجارة والاستملاء*، وكأنه مع ذلك يبذل ولا يريد الاستملاء لا يسمى رشيداً، لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته^(٦).

فالهداية على تفسير الإمام الغزالي عناية إلهية ترشد إلى التمييز بين ما فيه صلاح العبد وما فيه مفسدته، وهي معنى نفسي ولا يكون ذلك إلا بالقاء في القلب فتور به الروح فتتحصل للإنسان السعادة القلبية والنفسية، وتقوده إلى ما فيه خيره ومنفعته.

وهنا تظهر بعض اللطائف والإشارات في الآيات التي وردت فيها الرشد والهواية بأسلوب سهل يستطيع القارئ فهمه بيسر دون تعقيد أو غموض.

في تفسير قوله تعالى (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا)^(٧)، قال رحمه الله: (وتنزِيل قوله تعالى خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض أولي، والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأنعام بل أهم أضل سبيلاً، إذ البهيمة

(١) سورة البقرة، ١٢٠.

(٢) سورة الأنعام، ١٢٢.

(٣) سورة الزمر، ٢٢.

(٤) الرشد: الاهتداء لوجوه الصلاح في الدين والدنيا، ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (١١/مج ٢٢/١٨٠).

(٥) سورة الأنبياء، ٥١.

* يعني: طرق إنماء المال والتصرف فيه، وهي من علامات الرشد.

(٦) الغزالي، الصبر والشكر، ص ١٣٠، وينظر أيضاً المصدر نفسه، ص ٧٦، وينظر الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣/١٢٤)، (٥/٢٠٨).

(٧) سورة التوبة، ١٠٢.

لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات، وهذا قد خلق له ذلك وعطاه
الناقص حقاً - من سمته النقص - المدبر - يقينا ولذلك قيل:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كتنقص القادرين على التمام^(١).

فالمجاهدة معنى قلبي كبير، إذ به يقدر المرء على كسر شوكة الشهوات ومغالبتها فيسمو
عليها، ولا بد لهذا الأمر من صبر وجلد.
والمعنى الظاهر: (يحتمل أنهم يتوبون، فالتوبة عمل صالح، وآخر سيناً) يحتمل، أنه
نقضهم التوبة، فتكون الإشارة في قوله «عسى الله أن يتوب عليهم»^(٢) فالمجاهدة معنى قلبي
له أثر فعال في السلوك، وما ذهب إليه الإمام الغزالي محتتمل إذ فسر الآية بناء على معنى
المجاهدة و القدر التي بها تجاهد مقتضى الشهوات، و من يعجز عن دفع بعض الشهوات
دون بعض لضعف المجاهدة عنده يكون خلط عملاً صالحاً بسيء وأخر سيناً بصالح.

ثالثاً: النقل عن علماء الصوفية في تفسيره الإشاري للآيات:

ومن الأمثلة على ذلك: ما قاله - رحمه الله تعالى -: (وسئل بعضهم عن قوله تعالى:
«رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه»^(٣)، فقال: معناه ذلك لمن راقب ربه عز
وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده)^(٤).

وهذا يدخل في مقام المراقبة والمحاسبة والزام النفس الطاعات ومراقبة الحق في جميع
الأوقات فتصل النفس إلى مقام الرضا، قال القشيري: (لم تبق لهم مطالبة إلا حققها لهم
سبحانه)^(٥).

* أي خلقت له المعرفة التي يتدبر بها شؤونه.

(١) البيت للمتنبى، ينظر البغدادي، خزانة الأدب، (٢٠٥/١) ولم أجده في ديوانه.

(٢) القشيري، لطائف الإشارات، (٩٥/١).

(٣) سورة البينة، ٨.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٠/٦).

(٥) القشيري، لطائف الإشارات، (٧٥٤/٣).

وفي قوله تعالى: ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾^(١)، قال -رحمه الله تعالى-: (قال أبو سليمان الداراني: هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى، وقال: إنما هدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للأخرة)^(٢).

وهذا هو زهد الصديقين، فالزهد دوام التفرغ لله تعالى بحسن الإقبال إليه وترك ما يشغل عن الله تعالى - بالقلب^(٣).

ويقول القشيري أيضاً: (القلب السليم هو الذي سلم من إرادة نفسه^(٤)) أي سلم من حظوظ نفسه وانقطع بكليته إلى الله تعالى فلم يشغله عن ذكره وطاعته شاغل، وهذا من تمام الزهد. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾^(٥)، قال -رحمه الله تعالى-: (اللباس يواري سوءاتكم) يعني العلم، « وريشاً» يعني اليقين « ولباس التقوى » الحياء^(٦)، وقد ذكر الباحث عدنان يعقوب أن الإمام الغزالي نقل هذا القول في كتاب "قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد"^(٧)

ومما يسجل للإمام -رحمه الله- في هذا المضمار أيضاً رأيه فيما يسمى بالشطح* الصوفي، إذ أطلال في هذا الموضوع النفس، وأشار إلى أن النأي عن ظواهر القرآن قد يبطل الثقة بألفاظ القرآن ويذهب بالمعنى الصحيح للآيات، وهذه الكلمة الطيبة التي سجلها الغزالي

(١) سورة الشعراء، ٨٩.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٩٥/٥).

(٣) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ١١٧.

(٤) لطائف الإشارات ١٦/٣

(٥) سورة الأعراف، ٢٦.

(٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣١٩/١).

(٧) الباحث عدنان يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين، ص ١٨٣، حيث ذكر أن هذا الكلام منقول من كتاب "قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد" لأبي طالب المكي، (٢٤٩/١).

* الشطح: هو كلام يترجم به اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى إلا أن يكون صاحبه محفوظاً، ينظر الغزالي، الإملاء في إشكالات الإحياء، (٢٠٨/٦) بذيل الإحياء.

حرية بأن تثبت ههنا بتمامها لما فيها من شمول ودقة نظر، وتصور كلي للموضوع، قال رحمه الله (وأما الشطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية:

إحداهما: الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى، والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد^{*} وارتفاع الحجاب، والمشاهدة^{*} بالرؤية والمشاهدة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا وقلنا كذا، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج^(١) الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: أنا الحق، وبما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: سبحاني سبحاني، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام، حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم، وأظهروا مثل هذه الدعاوي، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع؛ إذ فيه البطالة من الأعمال مع تركية النفس بدرك المقامات^{*} والأحوال^{*}، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم، ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة، ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا: هذا إنكار مصدره العلم والجدول، والعلم حجاب والجدول عمل النفس، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطل بمكاشفة^{*} نور الحق، فهذا ومثاليه

* اتحاد الذات البشرية بالله تعالى، والعياذ بالله وهي فكرة وفدت إلى التصوف الإسلامي عن طريق الحكمة الإشرافية الهندية، ينظر الدكتور أبو الوفاء الغنيمي، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ٧٥.

* المشاهدة ثلاثة أنواع: مشاهدة بالحق وهي رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، ومشاهدة للحق وهي رؤية الحق في الأشياء، ومشاهدة الحق وهي حقيقة اليقين بلا ارتياب، الغزالي، الإملاء في إشكالات الأحياء، (٢٠٩/٦) بذيل الأحياء.

(١) الحلاج: هو الحسين بن منصور، صحب الجنيد والنوري وغيرهما، اختلف فيه المشايخ، فرده أكثرهم وقبله ابن عطاء والنصرى بادي وابن خفيف، قتل بسيف الشرع ببغداد سنة تسع وثلاثمائة، ينظر ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٨٧.

المقام هو: الذي يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات، فمتى أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينقل منه إلى غيره، ينظر الغزالي، الإملاء في إشكالات الأحياء، (٢٠٨/٦).

* منزلة العبد في الحين، فيصفو له في الوقت حاله ووقته، وقيل: هو ما يتحول فيه العبد ويتغير مما يرد على قلبه، فإذا صفا تارة وتغير أخرى قيل له حال، وقال بعضهم: الحال لا يزول فإذا زال لم يكن حالاً، ينظر الغزالي، الإملاء في إشكالات الأحياء، (٢٠٨/٦).

* المكاشفة: وهي أتم من المشاهدة، وهي تحقيق الإصابة بالفهم وتحقيق صحة الإشارة، القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٧٥، الغزالي، الإملاء في إشكالات الأحياء، (٢٠٩/٦)، بذيل الأحياء.

مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره، حتى من نطق بشيء منه، فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة، وأما أبو يزيد البسطامي -رحمه الله- فلا يصح عنه ما يُحكى، وإن سمع ذلك منه فلعنه كان يحكيه عن الله -عز وجل- في كلام يردده في نفسه، كما لو سمع وهو يقول: ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾^(١)، فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية*.

الصنف الثاني من الشطح: كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة، وفيها عبارة هائلة وليس وراءها طائل، وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها، بل يصدرها عن ضبط في عقله وتشويش في خياله لقلّة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه، وهذا هو الأكثر، وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره، لقلّة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب، ويدهش العقول، ويحير الأذهان، أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها، ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال صلى الله عليه وسلم: ما حدث أحدكم قوماً بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم))^(٢)، وقال -صلى الله عليه وسلم-: ((كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله))^(٣)، وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع، فكيف فيما لا يفهمه قائله؟ فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره، وقال عيسى عليه السلام: ((لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع

(١) طه، ١٤.

* دفاع الإمام الغزالي عن البسطامي فيه شيء من التكليف فهو يحاول أن يجد لكلامه تخریباً إذ هو يحسن النظر به، ولكن الفيصل في القضية ظاهر الكلام والله تعالى وحده هو الذي يتولى السرّات، وما قتل البسطامي إلا لأجل كلامه المخالف للشرع.

(٢) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مقدمة صحيح مسلم، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم (٥٠)، (٧١/١).

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، رقم (١٢٧)، ص ٥٠.

الداء)) وفي لفظ آخر: من ((وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل، ومن منعها أهلها فقد ظلم، إن للحكمة حقا وإن لها أهلا فأعط كل ذي حق حقه)).

وأما الطامات، فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها، وهو: صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الإفهام فائدة: كدأب الباطنية في التأويلات، فهذا أيضا حرام وضربه عظيم، فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع، ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ، وسقط به منفعة كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به، والباطن لا ضبط له، بل تتعارض فيه الخواطر، ويمكن تنزيله على وجوه شتى، وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر، وإنما قصد أصحابها الإغراب؛ لأن النفوس مانلة إلى الغريب ومستلذة له، وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها، وتنزيلها على رأيهم، كما حكيناه من مذاهبهم في كتاب المستظهري^(١) المصنف في الرد على الباطنية.

ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ، ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخالق، يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع، كمن يضع في كل مسألة يراها حقا حديثا عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، فذلك ظلم وضلال، ودخول في الوعيد المفهوم من قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار))^(٢)، بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أظم وأعظم، لأنها مبطللة للثقة بالألفاظ، وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية، فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة إلى المذمومة، فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسماء، فإن اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول، كنت كمن

(١) ينظر هذا الكتاب، ص ٣٦.

(٢) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مقدمة صحيح مسلم، باب (٢)، رقم (٢)، (١/٦٤) من المقدمة.

طلب الشرف بالحكمة باتباع لا من يسمى حكيماً، فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ^(١).

ومن خلال ما سبق يمكن أن يتبين لنا مسلك الإمام الغزالي في التفسير الإشاري بإيجاز

على النحو الآتي:

أولاً: قبول التفسير الإشاري بشرط عدم معارضته لظاهر النظم القرآني، وبشرط أن يسدل عليه دليل شرعي ولا يناقضه وأن يكون المعنى محتملاً.

ثانياً: الإمساك عن التوغل في الخوض في إشارات الآيات.

ثالثاً: الأخذ عن أرباب السلوك الصوفي في المعاني السلوكية والقلبية التي تؤثر في القلوب والنفوس.

رابعاً: كان الهدف من هذا التفسير تصحيح الأوضاع الاجتماعية و الأنماط السلوكية التي عانى منها أهل عصره، والرد على زيغ بعض الفئات الضالة، وتقديم تفسير أولى بالقبول يعتمد الدليل أولاً، والتفسير الظاهري ثانياً، ومن ثم العبور من الظاهر إلى الباطن الذي لا يناقض ذلك الظاهر.

يقول الدكتور محمود قمبر: (إن صوفية الغزالي علم وعمل، تأخذ من العالم عقله ومن الصوفي قلبه، ولهذا فإنه لم ينظر بعين الرضى إلى صوفية العوام، ولم يتقبل شطحات المتصوفة، كما رفض التجارة الرخيصة بالعلم...، فالغزالي يريد في الواقع صوفياً على مثاله: عالماً ذكياً، تقياً، يحصل على أعلى درجات العلم يزكي به قلبه، ويرضى به ربه، ويتخرج لا يبتغي الرفعة عند الناس، ولكن يعتزل الناس؛ لأن وجهته غير وجهتهم...، فهو في تصوفه يدعو إلى التمسك بالشريعة والحقيقة، بعلوم العقل ومعارض القلب، ولا يختار للتصوف إلا أحسن العلماء وأطهر الأتقياء)^(٢).

(١) الغزالي، ، إحياء علوم الدين، (١/٥٠-٥٢).

(٢) الدكتور محمود قمبر، بحث بعنوان الفكر التربوي و مصادره عند الغزالي، ضمن كتاب (الإمام الغزالي ، الذكرى المئوية التاسعة لوفاته ، ١٩٨٦م جامعة قطر ، ص ٢٥٦-٢٥٩ .

وهكذا نجد أن حجة الإسلام كان في تفسيره الإشاري معتدلاً غير مغالٍ، وجاءت المعاني
القلبية التي انتقدت في ذهنه ونقلها بفكره في تفسيره للنصوص القرآنية منسجمة مع الضوابط
والشروط التي رسمها ووضعها للالتزام بالمنهج الصحيح في التفسير الصوفي، ولا غرو في
أن ينقل العلماء عن الإمام -رحمه الله- هذه الضوابط، وأن ينقل عنه الباحثون أقواله الرائدة
في هذا المقام.

ولعل المعاني التي تناولها الإمام مما يرفق الفؤاد، ويعود بنا إلى العهد الإسلامي الأول
في فهم الآيات، بعيداً عن أسلوب المنطق والجمود والتعقيد، لتعيش لحظات روحانية يرهف
لها الحس، وتبهج بها النفس، وتجد بغيتها إشراقاً وأملاً بالنور الإلهي الفياض، وإذا ما عرفنا
أن الإمام -رحمه الله- كان يعيش في عصر سادت فيه النظريات الفلسفية والتيارات الباطنية،
وطغت عليه الأفكار الصوفية ذات الأصول الفلسفية اليونانية والرومانية، وغرق المجتمع
آنذاك بالنزعات العقلية، ندرك أن حجة الإسلام أراد من خلال تفسيره الإشاري العودة
بالتصوف إلى مهده الأول وعهده الميمون، حيث تتسجم في تفسيره الحاسة الإيمانية، مضيئاً
عليها طابعاً من الروحانية متفقاً مع الأدلة الشرعية غير منافية لها.

زيادة على هذا جمع رحمه الله إلى صفة العالم المتبحر في العلوم رقة الفؤاد وصفاء
الفكر، ورياضة الروح وأخلاق الزاهدين، وحس العارفين الملازمين طاعة الله تعالى، ناقلين
المعاني السلوكية إلى واقع معيش وملمس.

الفصل الثالث: موضوعات تفسيرية عند

الإمام الغزالي

المبحث الأول: تفسير آيات العقيدة عند

الإمام الغزالي

المبحث الثاني: تفسير آيات الأحكام عند

الإمام الغزالي

المبحث الأول: تفسير آيات العقيدة عند

الإمام الغزالي

عني حجة الإسلام بجوانب العقيدة الإسلامية عنايةً بالغة، فقلما يتصفح القارئ كتاباً من كتبه إلا ووجد المسائل العقديّة ومناقشة القضايا المتعلّقة بها شغله الشاغل.

وهذه المسائل في نظر الغزالي هي المقصد الأقصى من العلوم الشرعيّة، قال رحمه الله تعالى: ((إن معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته هي المقصد الأقصى من علوم القرآن، وإن سائر الأقسام مرادة له، وهو مراد لنفسه لا لغيره، فهو المتبوع وما عداه التابع))^(١)، وفي موضع آخر: (وهو غاية جميع العلوم وهي معرفة الله على الحقيقة والصدق، فالعلوم كلها خدم لهذا العلم، وهذا العلم حرّاً لا يخدم غيره)^(٢).

وقد صرف حجة الإسلام همته لتناول هذا العلم بمسائله وقواعده وأحكامه، فقرّر قواعد العقيدة عند أهل السنّة والجماعة، وتناولها على نهجه الأشعري، وأوضح المنهج القويم في التعامل مع الأصول العقديّة.

ومما تناوله الإمام الغزالي في تفسير آيات العقيدة ما يأتي:

أولاً: بيانه لتوحيد الألوهية وتوحيد الصفات وتوحيد الربوبية من خلال الآيات القرآنية: وهذا ما يعرف بالإلهيات*.

قال - رحمه الله تعالى -: (وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنّة الله في عباده الذين خلوا من قبل، فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور، وتعرف من الله تعالى إلى خلقه، فتارة يتعرف إليهم بالتقديس - التوحيد -، فيقول: ﴿قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم

(١) الغزالي، جواهر القرآن، ص ٤٥.

(٢) الغزالي، ميزان العمل، ص ١٠٠.

* وهي المسائل المبحوث فيها عما يتعلّق بالإلهيات وما يجوز في حقّه وما يستحيل عليه، البرجوري، تحفة المرید بشرح جوهرة التوحيد، ص ٥٢ وهذه التسمية (الإلهيات) تسمية قديمة تعود بجذورها إلى الأصول اليونانية، وقد أخذها الفلاسفة الإسلاميون عن اليونانيين وبحثت على أنها قسم من أقسام الفلسفة، فكانت علوم الفلسفة عندهم عدة أقسام: منها: المنطق والهيئة والطبيعيات والإلهيات، ولكل واحد منها فروغ يتفرع عنها) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (١/٦٧٩).

يوند* ولم يكن له كفوا أحد»^(١)، وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله فيقول: ﴿الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر...﴾^(٢)، وتارة يتعرف إليهم في أمثاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول: ﴿لم تر كيف فعل ربك بعاد * ارم ذات العماد»^(٣)، "لم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل»^(٤)، ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي:

الإرشاد إلى معرفة الله وتقديسه، أو معرفة صفاته وأسمائه وأفعاله، وسنته مع عباده، ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاث وهو التقديس وازنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاث القرآن»^(٥).

فهنا أشار - رحمه الله - إلى أقسام التوحيد الثلاثة:

القسم الأول: معرفة الله وتقديسه وهذا هو توحيد الألوهية

القسم الثاني: معرفة أسمائه وصفاته، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات.

القسم الثالث: معرفة سنته مع عباده وهذا هو توحيد الربوبية.

وقد تطرق الإمام الغزالي إلى المعنى اللغوي للإيمان والإسلام، فبين أن معنى الإيمان التصديق، ومعنى الإسلام الاستسلام والانقياد، ثم توصل من خلال المعنيين إلى أن بين الإسلام عموم وخصوص من جهة أن الإيمان أخص من الإسلام إذ محله القلب فقط، وأما الإسلام فهو عام في القلب واللسان والجوارح، فعلى هذا كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً.

(١) سورة الإخلاص، (٤-١).

(٢) سورة الحشر، ٢٣.

(٣) سورة الفجر، (٦-٧).

(٤) سورة الفيل، ١؛

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٥/٢٣٩)، وينظر الحديث الوارد في فضل سورة الإخلاص في صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم ٨١.

قال رحمه الله تعالى: (الإيمان عبارة عن التصديق، قال الله تعالى: ﴿وما أنت بمؤمن لنا ...﴾^(١)، أي بمصدق*، والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والإباء والعناد، وللتصديق محل خاص وهو القلب، واللسان ترجمانه، وأما التسليم فإنه عام في القلب واللسان والجوارح، فإن كل تصديق بالقلب فهو تسليم، وترك الإباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان، وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح، فموجب اللغة أن الإسلام أعم، والإيمان أخص، فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام، فإذن كل تصديق تسليم، وليس كل تسليم تصديقاً^(٢).

وقد تطرق بشيء من التفصيل إلى المعنى الاصطلاحي للإيمان والإسلام وبين إطلاقات الشرع فيهما، قال رحمه الله تعالى: (وأما من حيث الاصطلاح فإن الشرع قد ورد باستعمال الإيمان والإسلام على سبيل الترادف والتوارد، وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل، أما الترادف، ففي قوله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾^(٣)، ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد^(٤)، وقال تعالى: ﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾^(٥)

وأما الاختلاف، فقوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾^(٦)، ومعناه: استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان هنا التصديق فقط، وبالإسلام الاستسلام ظاهراً باللسان والجوارح...

(١) سورة يوسف، ١٧.

* ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١/١٦٢).

(٢) الغزالي، قواعد العقائد، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) سورة الأحقاف، (٣٥، ٣٦).

(٤) ينظر الزمخشري، الكشاف، (٤/٤٠٥).

(٥) سورة بونس، ٨٤.

(٦) سورة الحجرات، ١٤.

وأما التداخل، فما روي أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال عليه السلام: (الإسلام) فقليل له: أي الإسلام أفضل؟ فقال: (الإيمان)^(١)، وهذا دليل على الاختلاف والتداخل، وهو أوفق الاستعمالات في اللغة، لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها، والإسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح، وأفضلها القلب وهو التصديق الذي يسمى إيمانا، والاستعمال لها على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف* كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة^(٢).

وفي هذا المثال يوضح الإمام الغزالي أن الإيمان والإسلام قد وردا بطريق الشرع على معاني مختلفة، وإن كان لا يوافق على ما قاله بشأن ترادف فهمها في بعض الآيات، والآية التي استشهد بها على وجود الترادف بينهما يأبى تفسيرها ذلك، قال ابن كثير: (احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المعتزلة فمن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام، لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا يعكس، فانفق الاسمان هنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال)^(٣).

وقد استدل على وجود الله تعالى من خلال النظر في الأدلة النقلية قال رحمه الله: (أما الدليل على معرفة الله فمثل قوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ومن يخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾^(٥)، وأمثال ذلك، وهي قريب من خمسمائة آية جمعناها في كتاب جواهر القرآن، بها ينبغي أن يعرف الخلق جلال الخالق وعظمته،... وأما الدليل على الوحدانية فيقتنع

(١) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء أي الأعمال أفضل، رقم ١٦٦٨، (٤/١٨٥).

* الصواب أن الترادف غير صحيح؛ لأن كل لفظة في القرآن الكريم لها معناها الذي لا يؤديه غيرها من الألفاظ الأخرى، ينظر في هذا الأستاذ الدكتور فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص ١٧٢.

(٢) الغزالي، قواعد العقائد، ص ١٠٤-١٠٦.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/٣٠٢).

(٤) سورة يونس، ٣١.

(٥) سورة ق، ٦.

فيه بما في القرآن من قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا﴾^(١)، وأن اجتماع المدبرين سبب إفساد أمر التدبير، وبمثل قوله: ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق﴾^(٣)،

فأدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان)^(٤).

يلحظ أن الإمام الغزالي استعمل منهم الاستدلال المنطقي لإثبات وحدانية الله عز وجل بإبطال إمكانية وجود الهين في العالم، فإذا بطلت هذه الإمكانية ثبت أن لا إله في العالم إلا الله تعالى^(٥).

وقد وضع الإمام الغزالي هذه القضية بقوله: (وبيانه أنه لو كانا اثنين و اراد أحدهما أمرا فالثاني إن كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقصورا عاجزا ولم يكن إلهها قادرا، وإن كان على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا، والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلهها قادرا)^(٦) ومن ذلك استعماله في تفسير قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾^(٧)، طريق السير والتقسيم: وذلك بأن ينحصر شيء في جهتين ثم يبطل أحدهما فيتعين الآخر، أو ينحصر في ثلاث ثم يبطل اثنان فينحصر الحق في الثالث، أو يبطل واحد فينحصر في الباقيتين^(٨).

(١) سورة الأنبياء، ٢٢

(٢) سورة الإسراء، ٤٢.

(٣) سورة المؤمنون، ٩١

(٤) الغزالي، الجام العوام، ص ٧٠.

(٥) الباحث عدنان يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين، ص ١٦٢

(٦) الغزالي، معيار العلم، ص ١٩٩، وينظر أساس القياس، ص ٣٢

(٧) النحل، ٤٠.

(٨) الغزالي، أساس القياس، ص ٣٢.

وهو ما يعرف عند المنطقيين بالقياس الشرطي المنفصل (وهو القياس الاستثنائي المؤلف من الشرطيات المنفصلة ومن الحملية الاستثنائية) ^(١). ومثاله: (قولنا العالم إما قديم وإما محدث، لكنه محدث فهو إذ ليس بقديم ^(٢)).

فكأنه يقول: (إن مراد هذه الآية إما الظاهر وإما الكناية، لكن الظاهر ممتنع فمرادها إذن الكناية ^(٣))، وهذا ما نفهمه من قوله الإمام الغزالي: (فإن ظاهره ممتنع، إذ قوله (كن) إن كان خطاباً للشيء قبل وجوده فهو محال، إذا المعدوم لا يفهم الخطاب أبطل حتى يمتثل، وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين) ^(٤) فقد أبطل بهذا الاحتمال الأول فتعين أن الاحتمال الثاني هو الصحيح فرجح هذا الاحتمال.

وقال: (ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهيم عناية الاقتدار عدل إليها) ^(٥).

وعلى هذا فإن الإمام الغزالي كان يعتمد على الاستدلال المنطقي في تفسير آيات العقيدة، وكان يستخدم ثقافته العقلية في توضيح المفاهيم والقضايا المتعلقة بها ^(٦).

ثانياً: بيانه لبعض آيات الأسماء والصفات:

وقد أفرد حجة الإسلام لهذا الموضوع كتاباً مستقلاً أسماه "المقصد الأسنى" في شرح أسماء الله الحسنى، ومما عرض له الإمام الغزالي في هذا الصدد تحديد معنى الاسم ومباينته للصفة، فهو يرى أن الاسم غير المسمى لأنه أضاف الاسم إلى التسمية و أضاف التسمية إليهم فقال: «أسماء سميتوها» ^(٧)، يعني أسماء حصلت بتسميتهم وقطعهم، وأشخاص الأصنام لم

(١) عبدالكريم الأثري، تسويل المنطق، ص ٥٤.

(٢) الغزالي، معيار العلم ص ١٦٢.

(٣) الباحث عدنان يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في احياء علوم الدين، ص ١٦٢.

(٤) الغزالي، معيار العلم، ص ٩٦.

(٥) الغزالي، معيار العلم، ص ٩٦.

(٦) الباحث يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في احياء علوم الدين، ص ١٦٠.

(٧) سورة النجم، ٢٣.

تكن هي الحادثة بتسميتهم، فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(١)، والذات هي المسبحة دون الاسم، قلنا: الاسم ههنا زيادة على سبيل الصفة وعادة العرب جارية بمثله، وهو كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢)، ولا يجوز أن يستدل فيقال: فيه إثبات المثل إذ قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ كما يقال: ليس كولدك أحد، إذ فيه إثبات الولد، بل الكاف فيه زيادة^(٣)، والاسم وإن كان غير المسمى فهو متعلق بالمسمى ومطابق له، وهذا لا ينبغي أن يلبس على البصير في أصل الوضع، كيف وقد استدلل القائلون بأن الاسم غير المسمى بقوله: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٤) وبقوله صلى الله عليه وسلم: - ((إن لله سبحانه وتعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة))^(٥)(٤).

وهنا يقرر أن الاسم ما دل على الذات وليس هو ذات المسمى، وأن الصفة معنى زائد عن الذات.

قال الإمام القرطبي: (الاسم يجري مجرى الذات، يقال: ذات ونفس وعين واسم بمعنئى، وعلى هذا حمل أكثر أهل العلم قوله سبحانه: ((سبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى))^(٦)، وهذا الرأي أميل إليه.

وقد كان منهج حجة الإسلام التأويل في آيات الصفات ومن الأمثلة على ذلك:-

- (١) سورة الأعلى، ١.
- (٢) سورة الشورى، ١١.
- (*) للدكتور عبد الله دراز بحث نفيس في هذه الكاف بين فيه أنها أصيلة، ينظر النبا العظيم، ص ١٢٧، فالآية نفتت مثل مثله تعالى فمن باب أولى أن لا يكون له مثل، ومن القائلين بعدم زيادة الكاف الأستاذ الدكتور فضل عباس، ينظر لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزوائد في القرآن، ص ١٧٠.
- (٣) سورة الأعراف، ١٨٠.
- (٤) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء، باب فسي أسماء الله تعالى، رقم ٢٦٧٧، (٦/١٧).
- (٥) الغزالي، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ص ٣٧-٣٨.
- (٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١/٢٨٢)، (٧/٢٣٧).

صفة الاستواء:

قال الإمام الغزالي في تفسير قوله تعالى: «ثم استوى إلى السماء وهي دخان...»^(١) وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر:

استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق^(٢)

واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل إلى تأويل قوله تعالى: «وهو معكم أينما كنتم...»^(٣)، إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم، والاستواء لو تنوك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسماً مما ساء للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر، وذلك محال، وما يؤدي إلى المحال فهو محال^(٤)

ونلاحظ هنا أن الإمام الغزالي أول صفة الاستواء على معنى الاستيلاء، واستشهد على تأويله هذا بما ورد عن العربي من الشعر.

"والمختار وامرار ذلك على الظاهر وأن لا نتكلف لهذه الصفة تأويلاً، فأنه تعالى مستوٍ على عرشه على الحقيقة على موجه الذي يشاء ولا نعلم الكيفية"^(٥).

وفي تفسير قوله سبحانه: (وهو القاهر فوق عباده)^(٦)، قال الإمام الغزالي: (فإنه وإن ظهر في وضع اللسان أن الفوق لا يحتمل إلا فوقية المكان أو فوقية الرتبة وقد بطل فوقية المكان لمعرفة التقديس لم يبق إلا فوقية الرتبة، كما يقال للمسيح فوق العبد، والزوج فوق

(١) سورة فصلت، ١١.

(٢) هذا البيت للأخطل التغلبي في مدح بشر بن مروان، ينظر أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني (٣٣٩/٢).

* يريد بذلك المجسمة القائلين بأن المعية هنا معية الذات، ينظر ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسله، (١٥٣١/٤)

(٣) سورة الحديد، ٤.

* ابن تيمية، العقيدة الواسطية، ص ٢٨.

(٤) الغزالي، قواعد العقائد، ص ٧٣-٧٤.

(٥) الشوكاني، التحف في مذاهب السلف، ص ٨٧.

(٦) الأنعام، ١٨.

* التوحيد

الزوجة والسلطان فوق الوزير، فانه تعالى فوق عباده بهذا المعنى، وهذا كالمقطوع به لفظ
الفوق وأنه لا يستعمل في لسان العرب إلا هذين المعنيين^(١).

وفي موضع آخر يقول: (إذا سمع لفظ الفوق في قوله تعالى: (وهو القاهر فوق عباده)
وفي قوله: (يخافون ربهم من فوقهم)^(٢)، فليعلم أن الفوق اسم مشترك يطلق على معنيين:
أحدهما: نسبه جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والأخر أسفل، يعني أن الأعلى من جانب
رأس الأسفل، وقد يطلق لفوقية الرتبة، وبهذا المعنى يقال: الخليفة فوق السلطان، والسلطان
فوق الوزير، وكما يقال العلم فوق العلم، والأول يستدعي جسماً ينسب إلى جسيم، والثاني: لا
يستدعيه فليعتقد المؤمن قطعاً أن الأول غير مراد وأنه على الله تعالى محال، فإنه من لوازم
الأجسام أو لوازم أعراض الأجسام^(٣)).

وقد أشار الإمام القرطبي إلى هذا المعنى بقوله: (وهو القاهر فوق عباده) القهر: الغلبة،
وأقهر الرجل إذا صير بحال المقهور الذليل، ومعنى (فوق عباده) فوقية الاستعلاء بالقهر
والغلبة عليهم أي هم تحت تسخيرها لا فوقية مكان، كما تقول: السلطان فوق رعيته، أي
بالمنزلة والرفعة^(٤).

وعلى هذا فإن الإمام الغزالي يؤول الفوقية والعلو بمعنى فوقية أو علو المكانة لا فوقية
أو علو المكان لأنه برأيه يستدعي هذا القول بالجهة والقول بالجهة يؤدي إلى التجسيم وهذا
محال.

والمختار أن الفوقية يراد بها فوقية المكان وفوقية الرتبة معاً^(٥).

(١) الغزالي، الجامع العوام، ص ٦٥.

(٢) النحل، ٥٠.

(٣) الغزالي، مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ص ٤٤-٤٥.

(٤) القرطبي الجامع لأحكام القرآن، (٣٩٩/٦).

(٥) د. الحكمي معارج القبول، (١٥١/١)، د. مروان القبسي، التحفة السنوية بتهذيب شرح العقيدة الطحاوية،

ص ٦٤.

ثالثاً: بيانه لبعض الآيات التي وردت فيها المغيبات (السمعيات):

(وهي كل ما غاب عن حواس المرء ولا سبيل إلى معرفته إلا بالنقل ولا تتلقى أحكامها إلا من جهة السمع)^(١)، وقد بين الغزالي مستندها إذ قال: (فمستندها السماع: إما متواتر وإما أحاد)^(٢)، والسمعيات تؤخذ على التسليم، فإذا ورد بها الخير الصحيح وجب الإيمان بها والتسليم على وجه الإلزام. ومما تناوله حجة الإسلام في هذا الجانب :

الوحي:

(هو أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سريعة خفية غير معتادة للبشر)^(٣).

قرر الإمام الغزالي أن الوحي من عالم الغيب، وأنه على أنواع وصور متعددة، قال رحمه الله تعالى: (إن الأنبياء عليهم السلام يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام، وعن مثله عبر النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: (إن روح القدس نفث في روعي - قلبي - أحبب من أحببت فإنك مفارقه)^(٤)، وهذا للنمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة^(٥) الأذن و مشاهدة الملك بحاسة البصر^(٦)، ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع، ودرجات الوحي كثيرة، والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة، بل هو من باب علم المكاشفة)^(٧)، في هذا المثال يتطرق الإمام إلى قضية الوحي، ويبين أن الوحي على درجات مختلفة، وهو بهذا يشير إلى ما اتفق عليه السلف والمحققون من العلماء إلى أن الوحي منقسم باعتبار معناه المصدري إلى أربعة أقسام:-

(١) البيهقي، تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد، ص ٥٢.

(٢) الغزالي، قواعد العقائد، ص ٨٧.

(٣) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (٦٤/١).

(٤) ابن الجوزي، الموضوعات، (١٠٨/٢)، الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، (٢٢/٥)

(٥) إشارة إلى طريق التكليم.

(٦) إشارة إلى تعليم الله تعالى أنبياءه بوساطة الملك.

(٧) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١١٥/١).

أولاً: تكليم الله - عز وجل - لنبيه بما يريد من رواء حجاب إما في اليقظة وذلك مثل ما حدث لموسى عليه السلام، ومثل ما حدث لنبينا عليه السلام ليلة الاسراء والمعراج، وإما في المنام.

ثانياً: الإلهام أو القذف في القلب، بأن يلقي الله تعالى أو الملك الموكل بالوحي في قلب نبيه ما يريد مع يقينه ان ما القي إليه من قبل الله تعالى، أي يختلف عن أنواع الوحي الأخرى من حيث طريقة القائه على النبي - صلى الله عليه وسلم - من قبل الله تعالى.

ثالثاً: الرؤيا في المنام، ورؤيا الأنبياء وحي، وذلك مثل رؤية إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه.

رابعاً: تعليم الله تعالى أنبياءه بوساطة ملك، والمختص بذلك من ملائكة الله تعالى وهو أمين الوحي (جبريل) عليه السلام، وهذا القسم يعرف بـ (الوحي الجلي)، وقد بين الله - سبحانه وتعالى - هذه الأقسام بقوله: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾^(١).

إذ المراد بالوحي في الآية: (الإلهام أو المنام، لمقابلته للقسمين الآخرين: التكليم من وراء حجاب أو بوساطة رسول)^(٢).

ويشير الإمام الغزالي إلى أنه ينبغي الإمساك عن الخوض في حقيقة الوحي ومعانيه المتفرعة عنه على وجه التعمق، فهذا ليس بمقدور الإنسان معرفته على وجه الحقيقة فهو من عالم الغيب ويحتاج إلى معرفة دقائق الأشياء وإلى علم المكاشفة (وهي تحقيق الإصابة بالفهم وهذا هو المكاشفة بالعلم)^(٣)، ولذلك لا يعلم حقيقة الوحي تمام العلم إلا الأنبياء.

(١) الشورى ٥١.

(٢) أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص ٧٩-٨٠.

(٣) الغزالي، الاملاء في اشكالات الاحياء، (٦/٢٠٨).

الروح:

يرى الإمام الغزالي أن الروح مخلوقة، وأنها من عالم الأمر، وهو بهذا يوافق ما عليه جمهور السلف من أنها مخلوقة محدثة^(١)، قال الإمام الغزالي في تفسير قوله تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي...﴾^(٢): (الروح: ليس بجسم يحل في البدن حلول الماء في الإناء، بل هو جوهر وليس بعرض، لأنه يعرف نفسه وخالفه ويدرك المعقولات، وهو غير متجزئ وأنه قائم بنفسه وهو غير متحيز)^(٣)، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي...﴾^(٤)، قال الغزالي: (الروح من عالم الأمر لا من عالم الخلق، لأن عالم الخلق عالم الأجسام والعوارض، وما كان من أرواح البشر وأرواح الملائكة فهو من عالم الأمر، وعالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال و الجهة والمكان والتحيز، وهو مما لا يدخل تحت المساحة والتقدير لانقضاء الكمية عنه)^(٥).

وقد وافق الإمام الغزالي جمهور السلف في بيان معنى الروح، فهي من عالم الأمر كما قرر جمهور العلماء، وقد أوردوا أدلة كثيرة على ذلك منها: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ والمراد بالأمر هنا المأمور، فهذه الآية تدل على أن الروح حادثية، وقوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾^(٦)، فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما، ولا يدخل في ذلك صفات الله تعالى، فما سوى الله بما في ذلك الروح مخلوق، إلى غير ذلك من الأدلة^(٧).

(١) ينظر ابن القيم الجوزية، الروح، ص ١٤٤.

(٢) سورة الحجر، ٢٩.

(٣) الغزالي، الأجوبة الغزالية، ص ١١٩.

(٤) سورة الإسراء، ٨٥.

(٥) الغزالي، الأجوبة الغزالية، ص ١٢٣.

(٦) سورة الرعد، ١٦.

(٧) ينظر ابن القيم الجوزية، الروح، ص ١٥، وينظر في هذا أيضا التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية للدكتور مروان القيسي، ص ٧٢.

وإذا كان الإمام الغزالي بين أن الروح مخلوقة وأنها تفترق بطبيعتها عن الجسم البشري، إلا أنه لم يبين المراد بها في الآية الكريمة، وتنميماً للفائدة أذكر بعض أقوال العلماء في بيان معنى الروح في هذه الآية:-

قال أبو الحسن الأشعري: هو النفس الداخل والخارج، وقال ابن الباقلاني: هو متردد بين الذي قاله الأشعري والحياة.

وقيل: هو جسم لطيف مشارك للأجسام الظاهرة والأعضاء الظاهرة، وهو قول إمام الحرمين الجويني^(١).

وقال بعضهم: لا يعلم الروح إلا الله- تعالى^(٢)- لقوله تعالى- (قل الروح من أمر ربي) وقال الجمهور: هي معلومة* واختلفوا فيها على هذه الأقوال، وقيل: هي الدم، وقيل غير ذلك، وليس في الآية دليل على أنها لا تعلم ولا أن النبي- صلى الله عليه وسلم- لم يكن يعلمها وإنما أجاب بما في الآية الكريمة لأنه كان عندهم أنه إن أجاب بنفسير الروح فليس بنبي، وفي الروح لغتان التذكير والتأنيث والله أعلم^(٣).

البعث (الحشر والنشر):

قال -رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم* قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾^(٤)، (فاستدل بالابتداء على الإعادة، وقال

(١) البيجوري، تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد، ص ١٦٥.

(٢) ينظر البغوي، معالم التنزيل، (١٨٢/٣).

* قال ابن جزى الكلبي: (والروح هنا عند الجمهور هو الذي في الجسم)، التسهيل لعلوم التنزيل، (١٧٨/٢).

(٣) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي- صلى الله عليه وسلم- عن الروح، رقم ٢٧٩٤، (١١٣/١٧).

(٤) سورة يس، ٧٨-٧٩.

- عز وجل -: «ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة»^(١)، والإعادة ابتداءً شأن فهو ممكن كالابتداء الأول^(٢).

وهنا استدل -رحمه الله تعالى- من خلال آية يس وآية لقمان على الإعادة بعد الموت وأن هذا مقدور لله تعالى وهو كابتداء الإنشاء.

(ومذهب أهل الحق من الإسلاميين أن إعادة كل ما عدم من الحوادث جائز عقلاً وواقع سمعاً ولا فرق في ذلك بين أن يكون جوهرًا أو عرضاً)^(٣).

الميزان:

في تفسير قوله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)^(٤) قال -رحمه الله تعالى-: (الميزان حق، قال تعالى: «فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم»^(٥)، ووجهه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى، فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد، حتى يظهر لهم العدل في العقاب، أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب)^(٦).

وفي هذا المثال وضح الغزالي من خلال الآية الكريمة في سورة الأعراف أن الميزان حق وأن صحائف أعمال الناس ستوزن به بحسب أعمالهم.

(١) سورة لقمان، ٢٨.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/١٥١).

(٣) الأمدى، غاية المرام في علم الكلام، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٤) سورة الأنبياء، ٤٧.

(٥) سورة الأعراف، ٨-٩.

(٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/١٥٢).

وقد بين الإمام أن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، وإن الأعمال نفسها توزن يوم القيامة^(١) بأن يحدث الله - تعالى - فيها وزناً.

ونلاحظ أن الإمام لم يتطرق صراحة إلى بيان كيفية هذا الميزان وهل هو حسي مشاهد أو هو أمر معنوي للدلالة على العدل الإلهي، ولكن من خلال كلامه يفهم ضمناً أنه أراد الميزان الحسي المشاهد، فالأعمال لها مقادير وأوزان لتكون معلومة للعباد وهذا يتأتى بالميزان الحسي.

الصراط:

قال رحمه الله تعالى: (الصراط جسر ممذود على متن جهنم، أرق من الشعرة، وأحد من السيف) قال تعالى: ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم إنهم مسؤولون﴾^(٢)، وهذا ممكن، فيجب التصديق به، فإن القادر على أن يطير الطير في الهواء، قادر على أن يسير الإنسان على الصراط^(٣).

(١) قال ابن كثير: (أي ونضع الموازين العدل ليوم القيامة والاكتر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه، تفسير القرآن العظيم، (٣/٢٤٣)، والقول في الموزون على ثلاثة أوجه: أنه الأعمال نفسها هي التي توزن وأن الأفعال العباد تجسم فتوضع في الميزان، ودليله قوله عليه الصلاة والسلام: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، (مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم ٢٦٩٤، (١٦/١٧)).

الثاني: أن الموزون هو ثواب العمل.

الثالث: أن الموزون هو العامل نفسه ودليله قوله عليه الصلاة والسلام، إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضه، وقال: اقرأوا إن شئتم: (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) الكهف:

١٠٦، مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفات المنافقين وأحوالهم، باب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٥، (١٧/١٠٧)، معارج القبول، (٢/٨٤٦-٢٤٨).

(٢) الصافات، ٢٣-٢٤.

(٣) الغزالي، أحياء علوم الدين، (١/١٥٢).

وقد جاءت إشارة أخرى إلى هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا* ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾^(١). قال الإمام الغزالي: (كل نفس مستيقنة للورود على النار، وغير مستيقنة للصدور عنها)^(٢).

ويقول في تفسير هذه الآية في موضع آخر: (لارجم من استوى على الصراط المستقيم في الدنيا، جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة)^(٣).

نلاحظ في هذه الأمثلة أن الإمام الغزالي يسلم كثيره من العلماء بوجود الصراط المستقيم ويفسر الورود في سورة مريم بالمرور على الصراط، وفي اكتفائه بهذا المعنى دلالة على ثبوته وأنه هو الراجح عنده من بين الآراء المختلفة فيه، إذ ذكرت لبيان معنى السورود أقوال متعددة، قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: (وفي هذا السورود خمسة أقوال: أحدهما: أنه الدخول وممن ذهب إلى هذا ابن عباس والحسن في رواية، والثاني: أن السورود المرور عليها قال ابن مسعود وقتاده).

والثالث: ورودها: حضورها قاله عبيد بن عمير، والرابع: ورود المسلمين والمرور على الجسر، وورود المشركين دخولها، قاله ابن زيد، والخامس: أن ورود المؤمن إليها ما يصيبه من الحمى في الدنيا فعلى هذا حم من المسلمين فقد وردها، قاله مجاهد)^(٤).

الجنة والنار:

في تفسير قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾^(٥)، قال - رحمه الله تعالى - (الجنة والنار مخلوقتان، فقوله تعالى

(١) مريم، ٧١-٧٢.

(٢) الغزالي، أحياء علوم الدين، (٢٠٣/٥).

(٣) الغزالي، المصدر نفسه، ١٩٠/٣.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (٢٥٥/٥-٢٥٧).

(٥) سورة آل عمران، ١٣٣.

«أعدت» دليل على أنها مخلوقة ، فيجب إجراؤه على الظاهر، إذ لا استحاله فيه، ولا يقال: لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء؛ لأن الله -تعالى- «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون»^(١)(٢).

وهنا استدل الإمام الغزالي على أن الجنة والنار مخلوقتان وهما موجودتان الآن، فكلمة (أعدت) جاءت بصيغة الماضي اتفيد تحقق الوقوع، وعامة العلماء على أن الجنة مخلوقة موجودة، وقالت المعتزلة: إنهما غير مخلوقتين وقتنا، وإن الله تعالى إذا طوى السموات والأرض ابتداء خلق الجنة والنار حيث شاء، لأنهما دار جزاء بالثواب والعقاب فخلقنا بعد التكليف في وقت الجزاء لئلا تجتمع دار التكليف ودار الجزاء في الدنيا كما لم يجتمعا في الآخرة^(٣).

ونلاحظ من خلال ما سبق أن الإمام الغزالي يأخذ بالمغيبات على التسليم وذلك لورود الآيات بشأنها.

(١) سورة الأنبياء، ٢٣.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/١٥٣).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٤/٢٠٥).

رابعاً: موقف حجة الإسلام من الفرق الإسلامية:

كان الإمام الغزالي من أعيان أهل السنة والجماعة، لذا كان من الضروري أن يتصدى لآراء الفرق الإسلامية الأخرى المخالفة لعقيدته دفاعاً عن عقيدة أهل السنة، ودحواً للشبهات التي تثار حولها، وممن ناقش من الفرق المعتزلة والمرجئة، وقد ناقشهم في بعض المسائل المهمة منها:

مسألة مرتكب الكبيرة: فالمعتزلة يقولون: (إن مرتكب الكبيرة إن مات دون توبة فهو في منزلة بين المنزلتين، والمرجئة يرون أن مرتكب الكبيرة إن مات دون توبة فهو مؤمن لأن الأعمال ليست من الإيمان^(١))، (وأهل السنة يقولون إن أمره متروك للمشيئة الإلهية^(٢))، وقد عرض الغزالي هذه المسألة وأجاب عنها بدقة، قال رحمه الله تعالى: (أما المرجئة فقالوا: لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾^(٣) وقوله: ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها﴾^(٤)، عام فينبغي أن يكون كل من ألقى في النار مكذباً، ولقوله تعالى: ﴿لا يصلاحها إلا الأشقى* الذي كذب وتولى﴾^(٥)، وهذا حصر وإثبات ونفي، ولقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾^(٦)، فالإيمان - أساس الحسنات^(٧).

ويجيب الغزالي عن هذا قائلاً: (لا حجة لهم في ذلك، فإنه حيث ذكر الإيمان في هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل، إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الإسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل، ... فقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن

(١) ينظر ابن حزم الظاهري، الفصل بين الملل والأهواء والنحل، (٨٩/٢)، الإيجي، المواقف، (٢٧/٣).

(٢) أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ص ٢٧.

(٣) سورة الجن، ١٣.

(٤) سورة الملك، ٨.

(٥) سورة الليل، (١٦، ١٥).

(٦) سورة النمل، ٨٩.

(٧) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٥٨/١)، وينظر للمزيد أيضاً: الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص ١٨٨،

المعارف العقلية، ص ٩١.

يشاء ..»^(١)، والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام، وقوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها﴾...^(٢)، وتخصيصه بالكفر تحكّم، وقوله تعالى: ﴿ألا إن الظالمين في عذاب مقيم﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار﴾^(٤)، فهذه العمومات في معارضة العمومات، ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبيين، لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون، بل قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾^(٥)، كالصريح في أن ذلك لا بد منه للكل، إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه، وقوله تعالى: ﴿لا يصلها إلا الأثقى * الذي كذب وتولى﴾^(٦)، أراد به جماعة مخصوصين أو أراد به الأثقى شخصا معينا أيضا، وقوله تعالى: ﴿كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنته﴾^(٧)، أي فوج من الكفار، وتخصيص العمومات قريب.

وأما المعتزلة فحجبتهم قوله تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾^(٩)، وقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾^(١٠)، ثم قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾...^(١١)، وقوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم﴾...^(١٢)، وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرّونا بالإيمان، وقوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها﴾^(١٣)،

(١) سورة النساء، ٤٨.

(٢) سورة الجن، ٢٣.

(٣) سورة الشورى، ٤٥.

(٤) سورة النمل، ٩٠.

(٥) سورة مريم، ٧١.

(٦) سورة الليل، (١٥، ١٦).

(٧) سورة الملك، ٨.

(٨) سورة طه، ٨٢.

(٩) سورة العصر، (١-٤).

(١٠) سورة مريم، ٧١.

(١١) سورة مريم، ٧٢.

(١٢) سورة الجن، ٢٣.

(١٣) سورة النساء، ٩٣.

وهذه وهذه العمومات مخصوصة بدليل قوله تعالى: ﴿يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ﴾^(١)، فينبغي أن تبقى له مشيئته في مغفرة ما سوى الشرك، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، فكيف يضيع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة^(٣).

وهكذا فإن الإمام الغزالي يرد على المرجئة القائلين بأن الإيمان لا تضر معه معصية، وعلى المعتزلة القائلين بأن مرتكب الكبيرة إن مات من غير توبة فهو في منزلة بين المنزلتين، ويرى -رحمه الله تعالى- رأي أهل السنة والجماعة بأن أمر مرتكب الكبيرة إن مات دون توبة فهو متروك لمشئته الله -تعالى-.

وقد أشار رحمه -الله تعالى- إلى مسألة خلق القرآن بين المعتزلة* وأهل السنة، فالمعتزلة يقولون بأنه كلام الله تعالى وأنه مخلوق، ولكن الغزالي يتمسك برأي أهل السنة ويرفض هذا القول موضحاً أنه كلام الله تعالى والكلام صفة المتكلم فهو ليس بمخلوق ومن قال بغير هذا فهو على ضلال^(٤).

وفي تفسير قوله تعالى: (وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)^(٥)، قال حجة الاسلام: (الله تعالى منزّه عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار، مرئي بالأعين والابصار في الدار الآخرة دار القرار، ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله - عز وجل -: (لَسَنَ تَرَانِي)^(٦) وليت شعري كيف عرف المعتزلي^(٧) من صفات رب الأرباب ما جهله موسى - عليه السلام -؟ وكيف يسأل موسى - عليه السلام - الرؤية مع كونها محالاً؟ وأما وجه إجراء

(١) سورة الفتح، ١٤.

(٢) سورة يوسف، ٩٠.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/١٥٨-١٥٩).

* المعتزلة والخوارج وأكثر الزيدية والمرجئة وكثير من الرافضة على أن القرآن مخلوق، ينظر أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، (١/٥٨٣).

(٤) الغزالي، المعارف العقلية، ص ٩١.

(٥) سورة القيامة، ٢٢-٢٣.

(٦) سورة الاعراف، ١٤٣.

(٧) ينظر رأي المعتزلة هذا عند ابن حزم الظاهري، الفصل بين الملل والأهواء والنحل (٢/٣).

آية الرؤية على الظاهر، فهو أنه غير مؤد إلى محال، فإن الرؤية نوع كشف وعلم، إلا أنه أتم وأوضح من العلم، فإذا أجاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة، وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك بالإيجاد والاختراع، لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه، وبرهانه قوله تعالى: (لو كان فيهما الهة إلا الله لغسدتا) ^(١) وبيانه: أنه لو كان اثنان وأراد أحدهما أمراً فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً ولم يكن إلهاً قادراً، وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعتة كان الثاني قوياً قاهراً والأول ضعيفاً قاصراً ولم يكن إلهاً قادراً ^(٢).

وفي هذا المثال يثبت الإمام الغزالي أن رؤية الله تعالى في الدار الآخرة ممكنة وليست مستحيلة، وأن هذا لا يؤدي إلى محال، وأن طلب موسى - عليه السلام - من الله عز وجل - رؤيته ليس محالاً، لأنه يعلم ما يجوز وما يستحيل في حق الله عز وجل - ويحسن أن أنقل هنا ما قاله الشيخ الشنقيطي في هذا المعنى، إذ قال: (استدل المعتزلة النافون لرؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة على مذهبهم الباطل، وقد جاءت آيات تدل على أن نفي الرؤية المذكورة إنما هو في الدنيا، وأما في الآخرة فإن المؤمنين يرونه - جل وعلا - بأبصارهم كما صرح الله تعالى بحجب الكفار: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ^(٣)، فإنه يفهم من مفهوم مخالفته أن المؤمنين ليسوا محجوبين عنه - جل وعلا - وتحقيق المقام في المسألة: أن رؤية الله - جل وعلا - بالأبصار جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة ومن أعظم الأدلة على جوازها عقلاً في الدنيا قول الله تعالى في حق موسى عليه السلام: (رب أرني أنظر إليك) ^(٤)، لأن موسى

(١) سورة الانبياء، ٢٢.

(٢) الغزالي، احياء علوم الدين، (١/١٤١-١٤٢).

(٣) سورة المطففين، ١٥.

(٤) سورة الأعراف، ١٤٣.

عليه السلام لا يخفى عليه الجائز والمستحيل في حق الله - تعالى -، وأما شرعاً فهي جائزة وواقعه في الآخرة، كما دلت عليه الآيات المذكورة^(١).

وبعد فهذه جهود حجة الإسلام في دراسة آيات العقيدة، قدم في بيانها وتفسيرها النافع والمفيد، وناجح بقوة عن عقيدة أهل السنة والجماعة وسجل مواقف رائعة في الدفاع عنها والذب عن حرمتها.

(١) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٢/٢٩٧-٢٩٨).

المبحث الثاني: تفسير آيات الأحكام عند

الإمام الغزالي

المطلب الأول: أصول الأحكام عند الإمام الغزالي

المطلب الثاني: الموضوعات الأصولية التي عرض لها الإمام الغزالي

المطلب الثالث: منهج الإمام الغزالي في استنباط الأحكام الشرعية

من الآيات

المبحث الثاني: تفسير آيات الأحكام عند الإمام الغزالي:

يعد الإمام الغزالي من كبار فقهاء المذهب الشافعي وتعد كتبه: البسيط والوسيط والوجيز والمستصفي والمنخول من أعمدة المذهب الشافعي وأصوله لما لها من أهمية كبيرة وفوائد جمة.

وقد عني رحمه الله بدراسة آيات الأحكام عناية بالغة وتناول بيانها على وفق أصول المتكلمين التي قرر قواعدها في كتبه المستقلة، ومما يحسن ههنا أن أقدم بين يدي الموضوع الأصول الفقهية التي تطرق إليها في تفسيره لآيات الأحكام.

يمكن القول: إن الأصول التي تناولها الإمام الغزالي بالبيان هي الأصول الشافعية عموماً، إلا أنه خالف في بعضها، فالأصول التي يتفق فيها مع الشافعية هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وأما ما عداها كالاستحسان وشرع من قبلنا فقد أسماها أصولاً على التجوز.

وفي ما يلي عرض موجز لهذه الأصول في ثنايا عرضه لآيات الأحكام:

أولاً: القرآن الكريم:

وهو المصدر الأول عند المسلمين، إذ له الصدارة والأولية ومن الأمتساة على عده مصدراً من مصادر التشريع عند الإمام الغزالي:-

- رده على من قال: (إن أوامر الشرع إنما تتكرر بنكرات الأسباب كقوله تعالى: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾^(١)، و﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا﴾^(٢)، قال الغزالي: (ليس ذلك بموجب اللغة ومجرد الإضافة، بل بدليل شرعي في كل شرط، فقد قال تعالى: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾^(٣)، ولا يتكرر الوجوب بنكرات الاستطاعة)^(٤).

(١) سورة المائدة، ٦.

(٢) سورة المائدة، ٦.

(٣) سورة آل عمران، ٩٧.

(٤) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (١٧/٢).

هنا بين الإمام الغزالي عدم اطراد القاعدة وهي أن أوامر الشرع تتكرر بتكرر الأسباب بدلالة قوله تعالى: (وَنذَرْنَا عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا)، فهذا أمر بالحج معلق على سبب وهو الاستطاعة، ومعلوم أن وجوب الحج لا يتكرر كلما تكررت الاستطاعة، فأوامر الشرع منها ما جاء على التكرار مثل (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) ومنها ما جاء على غير التكرار كما في الحج^(١).

وأخذ رحمه الله تعالى - بمفهوم المخالفة وعرفه: بأنه فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده، كفهم تحريم الشتم والقتل والضرب^(٢) من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٍ وَلَا تَنْهَرَهُمَا﴾^(٣)، وفهم تحريم إحراق مال اليتيم وإهلاكه من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾^(٤)، وفهم ما وراء الذرة والدينار^(٥) من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٦).

(١) ينظر الشوكاني، إرشاد الفحول، ص ١٧٧.

* الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٢/١٩٥-١٩٦).

(٢) وهذا ما يعرف بتبنيه الخطاب: وهو: أن ينص على الأعلى بحكم ينبه به على الأدنى، أو على الأدنى لينبه به على الأعلى، ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه، (٢/٤١-٤٢). والآية نبهت بالأدنى وهو قول (أف) لتدل بطريق الأولى على تحريم ما هو أعلى من هذه الكلمة من الضرب والشتم والقتل وسائر أنواع الإيذاء، (فالتأنيف حرام نصاً، والقتل والشتم دلالة النص، ولما كان سبب الحرمة معناه وهو الإيذاء وأنه بقدره موجود في كلمات أخر وأفعال من الضرب والقتل مع زيادة تثبت الحرمة عامة) الدبوسي، الأسوار في الأصول والفروع في تقويم أدلة الشرع، (١/٢٩٧). والحرمة إذا ثبتت للقدر الأدنى كانت ثابتة للأعلى والأقوى من باب أولى، فحكم النص أولى بشمول الضرب، لأن الأدنى وهو علة الحكم متحقق في الضرب بصورة أشد وأكد من التأنيف، على الرغم من أن النص لم يتناوله نطقاً (أي منطوق النص) ولفظاً (لغة)، أ.د فتحي الدريني، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٣) سورة الإسراء، ٢٣.

(٤) سورة النساء، ١٠.

(٥) يفهم من هذه الآية عن طريق دلالة الأولى أنه ما هو أكثر من مثقال ذرة من الخير أحمد، وما هو أثقل من الذرة في الشر أعظم في المأثم، الشافعي، الرسالة، ص ٥١٥، فإذا كان الإنسان يجزى على مثقال الذرة فمن باب أولى أنه إذا عمل عملاً كبيراً من خير أو شر فإنه يجزى عليه.

(٦) سورة الزلزلة، ٧.

و «منهم من إن تأمنه بدینار لا یؤده إلیک»^(١)، الآية ، وقد سمي الغزالي هذا النوع من الدلالات بالتنبیه بالأدنى على الأعلى^(٢).

وقد أخذ رحمه الله تعالى أيضا بمفهوم الموافقة وأسماء دليل الخطاب و المفهوم^(٣).

وقد بین رحمه الله تعالى علة الحكم بدلالة النص القرآني ومثاله: في قوله تعالى: «إنما یرید الشیطان أن یوقع بینکم العداوة والبغضاء فی الخمر والمیسر»^(٤)، قال الغزالي: (هذا بیان لتعلیل تحريم الخمر حتى یطرد فی کل مسکر، وكذلك ذکر الصفة قبل الحكم كقوله تعالى: «قل هو أذی فاعتزلوا النساء فی المحیض»^(٥)، فهو تعلیل حتى یفهم منه تحريم الإتیان فی غیر المأتی، لأن الأذی فیہ دائم ولا یجری فی المستحاضة لأن ذلك عارض وليس بطبیعی)^(٦).

هنا علة الحكم وصف یصلح أن یكون علة، إذ هو وصف ظاهر منضبط ومطرود فی كل مسکر فی الآية الأولى، وفي الآية الثانية لأذی علة حرمة إتیان النساء وقت حیض وهو وصف منضبط دائم فی كل حائض.

(١) سورة آل عمران، ٧٥.

(٢) يفهم من هذه الآية أن فريقا من أهل الكتاب يتصف بالأمانة إلى حد أنه يفهم من الآية أنه لو اتتمن على قنطار فإنه سيؤديه، ويفهم منها أن فريقا آخر من أهل الكتاب من أنفسهم يتسمون بالخيانة حتى إنه لو اتتمن على دينار فإنه لا يؤديه، ويفهم عن طريق دلالة الأولى أن الفريق لو اتتمن على أقل من قنطار فإنه يؤديه لأن من كان أمينا على الكثير فهو أمين على القليل بطريق الأولى، السمعاني، قواطع الأدلة، (٤/٢)، (٥/٤).

(٣) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٢/١٩٥-١٩٦).

(٤) الغزالي، أساس القياس، ص ٧٠-٧١.

(٥) سورة المائدة، ٩١.

(٦) سورة البقرة، ٢٢٢.

(٧) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٢/٢٩٨-٢٩٩).

ثانياً: السنّة النبوية:

وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي عند المسلمين جميعاً، وقد استشهد الغزالي بالسنّة الشريفة في بيان الأحكام الشرعية الواردة في الآيات، ففي قوله تعالى: ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾^(١)، ذكر من أحكام الحيض أربعة أمور منها: الجماع، إذ قال: (وهو محرّم بالنص، والاستمتاع بما فوق السرة وتحت الركبة جائز، وفي الاستمتاع بما تحت الإزار مما سوى الجماع وجهان:

ويشهد للإباحة قوله عليه السلام: "افعلوا كل شيء إلا الجماع"^(٢)، وللتحريم قول عائشة - رضي الله عنها - قالت: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - في مضجعه فحضت فانسلت، فقال: مالك، أنفست؟ قالت: نعم، فقال: خذي ثياب حيضتك وعودي إلى مضجعتك، ونال مني ما ينال الرجل من امرأته إلا ما تحت الإزار"^{(٣)(٤)}.

في هذا المثال استدل الإمام الغزالي بالحديث النبوي الشريف على حرمة إتيان المرأة في غير المأتمى مما تحت الإزار، واستدل على حلّ ذلك بحديث نبوي آخر، فالحديث النبوي شارح للقران ومبين أحكاماً عديدة لم ترد فيه.

ثالثاً: الإجماع:

وهو المصدر الثالث من مصادر الأحكام الشرعية، ومن الأمثلة على أخذه بالإجماع ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله...﴾^(٥)، قال الغزالي:

(١) سورة البقرة، ٢٢٢.

(٢) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب الرجل يصيب من الحائض دون الجماع، رقم: ١٣٩٦، (٣١٣/١).

(٣) مالك، الموطأ، كتاب الطهارة، باب ما يحل للرجل من امرأته وهي حائض، رقم ٩٧، ص ٥٢.

(٤) الغزالي، الوسيط، (٥٦٥/١)، وينظر للمزيد الإحياء، (١٧٦/١)، (٣١١)، (١٠٦/٢).

(٥) سورة فصلت، ٣٧.

وليس المأمور به هو المنهي عنه، والإجماع منعقد على أن الساجد للشمس عاص بنفس السجود والقصد جميعاً^(١).

هنا استدلل الإمام الغزالي بالإجماع لبيان أن الفعل الواحد لا يكون واجبا حراما طاعة معصية، فالسجود بالإجماع للصنم والشمس وغيرها فيه عصيان بالفعل والقصد (قصد التعظيم)، وليس العصيان كائنا بالقصد فحسب لا بنفس السجود بل بهما معا.

(ويجوز أن ينقسم النوع الواحد من الأفعال إلى الواجب والحرام ويكون انقسامه بالأوصاف كالسجود لله تعالى والسجود للصنم إذ أحدهما واجب والآخر حرام ولا تناقض، وإذا تغير متعلق الأمر والنهي لم يتناقض والسجود للصنم غير السجود لله تعالى لأن اختلاف الإضافات والصفات يوجب المغايرة، إذ الشيء لا يغير نفسه والمغايرة تارة تكون باختلاف النوع وتارة باختلاف الوصف وتارة باختلاف الإضافة^(٢)).

وفي تفسير قوله تعالى: (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)^(٣)، قال الإمام الغزالي: (أي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال ولي وجهه شطرها^(٤))، والكعبة مما يمكن رؤيتها، وطلب العين عند المشاهدة مجمع عليه^(٥)، وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكتفي استقبال الجهة^(٦).

(١) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (١٤٧/١).

(٢) ينظر الأمدي، الأحكام، (١٥٩/١).

(٣) سورة البقرة، ١٥٠.

(٤) قال الإمام الشافعي في الرسالة: (فرض عليهم حيث ما كانوا أن يولوا وجوههم شطره، وشطره جهته في كلام العرب، إذا قلت أقصد شطر كذا معروف أنك تقول أقصد عين كذا، يعني قصد نفس كذا وكذلك تلقاه: جهته، أي استقبل تلقاه وجهته وإن كلها بمعنى واحد، وإن كانت بألفاظ مختلفة)، ص ٣٤.

(٥) قال الإمام النووي: (إن كان بحضرة الكعبة لزمه التوجه إلى عينها لتمكنه منها وله أن يستقبل أي جهة منها أراد)، المجموع، ١٨٩/٣-١٩٣.

(٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٧٢/٢).

وفي هذا المثال يبين الإمام الغزالي أن المشاهد للكعبة يجب عليه أن يستقبل عينها وذكر أن هذا وارد باتفاق العلماء وإجماعهم، ثم بين أن من لم يستطع مشاهدتها يجب عليه أن يستقبل جهتها، لأن هذا هو المقدور عليه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

رابعا: القياس:

وهو المصدر الرابع من مصادر الأحكام الشرعية عند جميع المسلمين بخلاف الظاهرية^(١)، والغزالي من دعاة القياس ومثبتيه، إذ عرفه وبين بالأدلة النقلية أنه دليل شرعي معتبر^(٢)، واستدل به على بعض المسائل الشرعية، وقد رد على منكري القياس والصائرين إلى حظره من جهة الكتاب والسنة^(٣).

ومما جاء من أمثلة على أخذه بالقياس ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾^(٤)، قال رحمه الله تعالى: (أوجبوا تخصيص الحكم بمحل النص، وقاس أبو بكر والصحابة خليفة الرسول - عليه السلام - على الرسول - عليه السلام -، إذ الرسول - عليه السلام - إنما كان يأخذ للفقراء لا لحق نفسه، والخليفة نائب في استيفاء الحقوق)^(٥).

هنا رد الغزالي على أهل الظاهر* الذين لا يأخذون بالقياس والذين أوجبوا أن يكون الحكم خاصا بحمل النص أي هذه الآية، فبينت أن الخطاب موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم - وإلى الخليفة الذي ينوب عنه، إذ إن الخليفة نائب في استيفاء الحقوق، وهو يأخذ الحق للفقراء لا لنفسه، فكان لزاما أن نقول بالقياس هنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حفاظا على حق الفقراء، فإنه وإن كان الخطاب موجها للنبي - عليه الصلاة والسلام - فهو

(١) ينظر الشيخ محمد أبو زهرة، أصول الفقه، ص ٢٢٤.

(٢) ينظر الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٢/٢٣٦-٢٦٦).

(٣) ينظر المصدر نفسه، (٢/٢٦٦).

(٤) سورة التوبة، ١٠٣.

(٥) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٢/٢٥٠)، وينظر أيضا المصدر نفسه (٢/٢٦٤، ٢٩٨).

* ينظر ابن حزم، الاحكام، (٧/٣٥٠).

موجه إلى خليفته من بعده دل على ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يأخذ المال لحق نفسه، وإنما كان يأخذه لحق الفقراء، فإذا قلنا بعدم قياس خليفته عليه - صلى الله عليه وسلم - فقد هضمنا حق الفقراء.

وقد بين الغزالي أن ثمة أصولاً أخرى اختلف العلماء في اعتبارها منها: الاستحسان، شرع من قبلنا، الاستصحاب، المصلحة المرسلة، مذهب الصحابي، والعرف.

أولاً: شرع من قبلنا

لم يعده الغزالي دليلاً شرعياً ولم يأخذ به في الأحكام، وقد جاء بالأدلة على ما ذهب إليه، وقد رد على من عده دليلاً شرعياً بجملة من الردود أذكر بعضها:

قال الغزالي: (ومما استدل به القائلون بحجية هذا الأصل - الآية الأولى: أنه تعالى لما ذكر الأنبياء قال: ﴿أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده...﴾^(١)، قلنا: أراد بالهدى التوحيد، ودلالة الأدلة العقلية على وحدانيته وصفاته بدليلين: أحدهما: أنه قال: "فبهداهم اقتده"، ولم يقل بهم، وإنما هداهم الأدلة التي ليست منسوبة إليهم، أما الشرع فمنسوب إليهم فيكون اتباعهم فيه اقتداء بهم... الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾^(٢)، قلنا: المراد به: ومن لم يحكم بما أنزل الله مكذباً به وجاحداً له، لا من حكم بما أنزل الله عليه خاصة أو من لم يحكم به ممن أوجب عليه الحكم به من أمته، وأمة كل نبي إذا خالفت ما أنزل على نبيهم أو يكون المراد به يحكم بمثلها النبيون إن كان بوحى خاص إليهم بطريق التبعية)^(٣).

يبين الإمام الغزالي أن المطلوب الاقتداء يهدى الأنبياء وإن هداهم أدلة التوحيد التي هداهم الله تعالى إليها، فالهدى من الله تعالى وليس منهم، فالمطلوب منا الاقتداء بهدى الله

(١) سورة الأنعام، ٩٠.

(٢) سورة المائدة، ٤٤.

(٣) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٣٩٨/١)، المنخول من علم أصول الفقه، ص ٢٣١-٢٣٤.

تعالى - الذي هداهم إليه، والذين قالوا بان شريعة من قبلنا شرع لنا قالوا: (الهدى هنا هو الشريعة، ولكن الإمام الغزالي رفض ذلك وقال المراد: الأصول، (أصول التوحيد) (١)).

وقال الأمدى في الأحكام: (إنما أمره باتباع هدى مضاف إلى جميعهم مشترك بينهم دون ما وقع فيه الخلاف فيما بينهم والناسخ والمنسوخ منه، لاستحالة اتباعه وامتناله، والسهدى المشترك فيما بينهم إنما هو التوحيد والأدلة العقلية الهادية إليه وليس ذلك في شرعهم ممن شيء، ولهذا قال (فبهدهم) ولم يقل (بهم) وبتقدير أن يكون المراد من الهدى المشترك ما اتفقوا فيه من الشرائع دون ما اختلفوا فيه، فاتباعه له إنما كان بوحى إليه وأمر مجدد لا لأنه بطريق الاقتداء بهم (٢)).

ثانياً: الاستحسان

لقد رفض الغزالي الاستحسان المبني على الهوى المجرد، إذ هو كاستحسان العامي ومن لا يحسن النظر، وأما ما بني على الدليل فهو المقبول.

ومن جملة ردوده على من قال بجواز الاستحسان المجرد عن الدليل قوله: (ولهم شبهة ثلاث: الشبهة الأولى: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ (٣)، قلنا: اتباع أحسن ما أنزل إلينا هو اتباع الأدلة، فبين أن هذا سما أنزل إلينا فضلاً عن أن يكون من أحسنه، وهو كقوله: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ (٤)، ثم نقول: نحن نستحسن إبطال الاستحسان وأن يكون لنا شارع سوى المصدق بالمعجزة فليكن هذا حجة عليهم... (٥).

ولم أعتز على أمثلة في ثنايا كتبه تدل على أخذه بالاستحسان في الفروع فيما اطلعت عليه .

(١) الشوكاني، ارشاد الفحول، ص ٣٩٩.

(٢) (١٤٩/٤)

(٣) سورة الزمر، ٥٥.

(٤) سورة الزمر، ١٨.

(٥) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (٤١٤/١).

ثالثاً: مذهب الصحابي

لم يعد الغزالي مذهب الصحابي دليلاً شرعياً، بل ردّ على من قال به، لذا فإنه لم يفرع على هذا الأصل مسائل فقهية، وفي هذا يقول رحمه الله تعالى: (قوله سبحانه: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾^(٢)، قلنا: هذا كله ثناء يوجب حسن الاعتقاد في علمهم ودينهم ومحطهم عند الله تعالى، ولا يوجب تقليدهم لا جوازا، فإنه صلى الله عليه وسلم - أثى أيضا على آحاد الصحابة، ولا يتميزون عن بقية الصحابة بجواز التقليد أو وجوبه كقوله عليه السلام: ((إن منكم لمحدثين وإن عمر لمنهم))^(٣)، وكل ذلك لا يوجب الاقتداء أصلاً^(٤).

وأما بقية الأصول كسد الذرائع والعرف وعمل أهل المدينة فلم ينطرق إلى بيانها ولم يتناول مسائل فرعية بناءً عليها فيما اداامت عليه من تفسيره لآيات الأحكام.

الموضوعات الأصولية التي عرض لها الغزالي:-

وبالإضافة إلى ما تقدم فإن هناك موضوعات أصولية ظهرت في ثنايا مؤلفاته، وهي موضوعات اقتضتها طبيعة البحث في تفسير آيات الأحكام واستنباط المسائل الفقهية، ومن هذه الموضوعات: دلالات الألفاظ، الحكم، وغيرها مما يتطلب ذكرها ههنا استكمالاً لجوانب الموضوع

- **الحكم الشرعي:** إذ عرفه الغزالي بأنه: (خطاب الشرع إذا تعلق بأفعال المكلفين)^(٥)، وتناوله بقسميه التكليفي والوضعي وما يتفرع عنهما، وذكر أركان الحكم وهي: الحاكم

(١) سورة النساء، ٥٩.

(٢) سورة الفتح، ١٨.

(٣) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، رقم ٢٣٩٨، (١٥/١٣٥).

(٤) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٤٠٥/١-٤٠٦).

(٥) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٤٠٥/١-٤٠٦).

والمحكوم عليه والمحكوم فيه ونفس الحكم، وعرض لأهلية التكليف ومناطه وتكليف المعذور وشروط المكلف، وبين أن التكليف بالمستحبات غير ممكن عقلاً^(١).

• **دلالات الألفاظ:** ومما عرض له الغزالي من الدلالات الأصولية اللغوية والشرعية الأمر والنهي والعموم والخصوص، وفي ما يلي أمثلة على ذلك.

• **دلالة الأمر:** قال الغزالي: (وقد صرح الشافعي في كتاب "أحكام القرآن" بتردد الأمر بين الندب والوجوب، وقال: النهي على التحريم، وقال: إنما أوجبنا تزويج الأيم لقوله تعالى: (فلا تعضلوهن)^(٢)، وقال: لم يتبين لي وجوب إنكاح العبد، لأنه لم يرد فيه النهي عن العضل بل لم يرد إلا قوله تعالى: (وأنكحوا الأيامى)^(٣)، فهذا أمر وهو محتمل للوجوب والندب)^(٤).

فهنا يلحظ أن صيغة الأمر في هذه الآية عند الغزالي دائرة بين الوجوب والندب، والذي يحددها القرينة ليعرف بها الغرض الذي تؤديه صيغة الأمر.

• العموم والخصوص:-

عرف الغزالي العام بقوله: (عبارة عن اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شينين فصاعداً مثل الرجال والمشتركين)^(٥)، وبين رحمه الله صيغ العموم^(٦)، ومن الأمثلة على دلالة العام في الآيات عند الغزالي قوله: (وما ورد من الخطاب مضافاً إلى الناس والمؤمنين يدخل تحته العبد، كقوله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً)^(٧)، وقال قوم: لا يدخل تحته، لأنه مملوك للآدمي بتمليك الله تعالى، فلا يتناول إلا خطاب خاص به،

(١) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٤١٢/١).

(٢) سورة البقرة، ٢٣٢.

(٣) سورة النور، ٣٢.

(٤) الغزالي، المستصفي، (٧٢/٢)، وينظر الشافعي، أحكام القرآن بجمع البيهقي، (١٧٦/١)، وينظر للمزيد المستصفي، (٧٦/٢).

(٥) الغزالي، المستصفي، (١٠٦/٢).

(٦) ينظر المصدر نفسه، (١١٠/٢).

(٧) سورة آل عمران، ٩٧.

وهذا هوس لأنه لم يخرج عن معظم التكاليف، وخروجه عن بعضها كخروج المريض والمسافر وذلك يوجب رفع العموم فلا يجوز إخراجها بدليل خاص^(١).

يرى الإمام الغزالي أن العبد مخاطب بجميع التكاليف، وخروج العبد عن بعض التكاليف إنما هو مثل خروج المريض عن بعض التكاليف لوجود العذر، والخطاب يوجه للناس والعبد من ضمنهم فكيف يخرج من الخطاب الخاص بالناس والحال أنه مخاطب بمعظم التكاليف من صلاة وصيام وغيرها، وفي هذا يقول الألويسي في روح المعاني: (يا أيها الناس) خطاب يعم المكلفين من لدن نزل إلى يوم القيامة وفي تناول نحو هذه الصيغة للعبيد شرعا حتى يعمهم الحكم خلاف، فذهب الأكثرون إلى التناول لأن العبد من الناس فيدخل في الخطاب العام له قطعا، وكونه عبدا لا يصلح مانعا لذلك، وذهب بعضهم إلى عدم التناول، قالوا: لأنه قد ثبت بالإجماع صرف منافع العبد إلى سيده فلو كلف بالخطاب لكان صرفا لمنافعه إلى غير سيده، وذلك تناقض فيتبع الأطماع ويترك الظاهر، وأيضا خرج العبد عن الخطاب بالجهاد والجمعة والعمرة والحج ونحوها ولو كان الخطاب متناولا للعموم للزم التخصيص، والأصل عدمه، والجواب عن الأول أنا لا نسلم صرف منافعه إلى سيده عموما بل قد يستثنى من ذلك وقت فوات الصلاة فإنها واجبة عليه، وعدم صرف منفعتها في ذلك الوقت إلى السيد، وعن الثاني بأن خروجه بدليل اقتضى خروجه وذلك كخروج المريض والمسافر والحقائق عن العمومات الدالة على وجوب الصوم والصلاة والجهاد وذلك لا يدل على عدم تناولها اتفاقا، غاية أنه خلاف الأصل ارتكب لدليل وهو جائز^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة﴾^(٣)، قال: (يعم كل مال، وخرج ما دون النصاب بقوله صلى الله عليه وسلم: - (لا قطع إلا في ربع دينار فصاعدا)^(٤)، وقوله: -

(١) الغزالي، المستصفى، (١٤٤/٢).

(٢) (١٨٨/٤).

(٣) سورة المائدة، ٣٨.

(٤) الإمام مسلم، كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها، رقم ١٦٨٤، (١٣١٢/٣).

(فتحريير رقة مؤمنة) ^(١)، يعم الكافرة ثم ورد مرة أخرى: (فتحريير رقة)، في الظهار بعينه فتبين لنا أن المراد بالرقبة المطلقة العامة هي المؤمنة على الخصوص ^(٢).

وفرقت رحمة الله بين الإجمال والعموم من حيث صيغة ومواضعه حتى لا يقع الخط والوهم بينهما، إلى غير ذلك من المسائل المتعلقة بذلك.

وقد عرف الغزالي الإجمال فقال: (هو اللفظ لأحد معنيين الذي لا يتعين معناه لا بوضع اللغة ولا بعرف الاستعمال) ^(٣).

ومن الأمثلة على بيان الإجمال في الآيات ما قاله رحمه الله: (قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم..﴾ ^(٤)، ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ ^(٥)، ليس بمجمل.

وقال قوم من القدرية: هو مجمل لأن الأعيان لا تتصف بالتحريم، وإنما يحرم فعل ما يتعلق بالعين، وليس يدري ما ذلك الفعل فيحرم من الميتة مسها أو النظر إليها فهو مجمل، والأن يحرم منها النظر أو الوطء؟ فلا يدري أيه، لأنه لا بد من تقدير فعل، وتلك الأفعال كثيرة وليس بعضها أولى من بعض، وهذا فاسد، إذ عرف الاستعمال كالوضع، ولذلك قسمنا الأسماء إلى عرفية ووضعية، ومن أنس بتعارف أهل اللغة واطلع على عرفهم علم أنهم لا يستريبون في أن من قال حرمت عليك الطعام والشراب أنه يريد اللبس، وإذا قال: حرمت عليك النساء أنه يريد الوقاع، وهذا صريح عندهم مقطوع به، فكيف يكون مجملاً ^(٦).

هنا يشير الإمام إلى مسألة خلافية في فهم هاتين الآيتين وهي ان التحليل والتحريم المضافين إلى الأعيان هل يقتضي الإجمال أو لا؟

(١) سورة النساء، ٩٢.

(٢) الغزالي، المستصفي، (١٥٤/٢)، وينظر المصدر نفسه، (١٤٧/٢، ١٤٥، ١٥٢).

(٣) المصدر نفسه، (٢٨/٢).

(٤) سورة النساء، ٢٣.

(٥) سورة المائدة، ٣.

(٦) الغزالي، المستصفي، (٢٨/٢)، وينظر للاستزادة، المصدر نفسه، (٣٧/٢).

فقال قوم ومنهم الكرخي من الحنفية بأنه يقتضي الإجمال لأنه يتعلق بالأفعال المقدره، والأعيان التي أضيف إليها التحليل والتحرير غير مقدره لنا فلا تكون هي متعلقة التحليل والتحرير فلا بد من إضمار فعل يكون هو متعلق ذلك حذرا من إهمال الخطاب بالكلية، ويجب أن يكون ذلك بقدر ما تندفع به الضرورة تقليلا للإضمار المخالف للأصل^(١).

وهؤلاء يرون أنه لا بد من تقدير فعل والأفعال كثيرة وليس بعضها أولى من بعض في هذا التقدير، فيرد الإمام الغزالي عليهم في هذا، ويبين أن الآيتين ليس فيهما إجمال، بدليل عرف الاستعمال، أو عرف الوضع اللغوي، وأن اللبس يؤمن مع وجودهما فيصبح اللفظ بينا غير مجمل، (إذ هو ظاهر من جهة العرف في تحريم الاستمتاع بالأسهات وتحريم أكل الميتة، لأن قوله (حرمت) وإن كان التحريم فيه متعلقا بنفس الأسهات فإنه يفيد بالعرف تحريم الاستمتاع^(٢)).

• الاجتهاد:-

وهو (بذل الوسع واستفراغ الجهد في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها)^(٣).

يرى الغزالي أن باب الاجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة، والذي ذهب إليه الغزالي حقيقة علامة على صحة الحركة الفقهية والأصولية ودليل على قوتها لا سيما وأن شريعتنا السامحة وسعت الأزمنة والأمكنة وكل ما يستجد من مسائل أو قضايا، فلا تعجز عن حكم أو بيان شرعي إن لم يكن فيه نص أو دليل نقلي، إذ لا اجتهاد في مورد النص.

ورد رحمه الله تعالى على القائلين بتخبط المجتهد حيث تمسكوا ببعض الآيات واستدلوا من خلالها على عدم جواز الاجتهاد، وناقشهم في فهمهم للآيات التي استشهدوا بها، ومنها: ﴿إذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين* ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما

(١) ينظر الامدي، الاحكام، (١٥/٣) أبو الحسين البصري، المعتمد في أصول الفقه، (٣٠٨/١).

(٢) ينظر أبو الحسن البصري، المعتمد في أصول الفقه، (٣٠٨/١).

(٣) أبو زهرة، أصول الفقه، ص ٣٧٩.

وعلماء^(١)، وهذا يدل على اختصاص سليمان بمدرك الحق وأن الحق واحد والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه من أين صح انهما بالاجتهاد حكما، ومن العلماء من منع اجتهاد الأنبياء عقلا، ومنهم من منعه سمعا، ومن أجاز أحال الخطأ عليهم، فكيف ينسب الخطأ إلى داود- عيه السلام؟ ومن أين يعلم أنه قال ما قال عن اجتهاد؟

الثاني:- أن الآية أدل على نقيض مذهبهم إذ قال: ﴿وَكَلَّا آتَيْنَا حَكْمًا وَعِلْمًا﴾، والباطل والخطأ يكون ظلما وجهلا لا حكما وعلماء، ومن قضى بخلاف حكم الله تعالى لا يوصف بأنه حكم الله وأنه الحكم والعلم الذي آتاه الله، لا سيما في معرض المدح والثناء، فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: (فقهمناهما سليمان) قلنا: لا يلزمنا ذكر ذلك بعد أن أبطنا نسبة الخطأ إلى داود.

الجواب الثالث: التأويل: وهو أنه يحتمل أنهما كانا مأذونين لهما في الحكم باجتهادهما فحكما وهما محققان، ثم نزل الوحي على وفق اجتهاد سليمان، فصار ذلك حقا متعينا بنزول الوحي، فنسب إلى سليمان لنزول الوحي عليه، وعلى وفق اجتهاده، أو يجوز أن يكون نزول الوحي على سليمان بخلافهما لكن لنزوله على سليمان أضيف إليه ويتعين تنزيل ذلك على الوحي، إذ نقل المفسرون، أن سليمان حكم بأنه يسلم الماشية إلى صاحب الزرع حتى ينتقع بدرها ونسلها وصوفها حولا كاملا، وهذا إنما يكون حقا وعدلا إذا علم أن الحاصل منه في جميع السنة يساوي ما فات على صاحب الزرع، وذلك يدركه علام الغيوب ولا يعرف بالاجتهاد^(٢).

فالقائلون بتخطئة المجتهد يرون أن الحق واحد لا اجتهاد فيه، وتمسكوا بهذه الآية وغيرها، حيث استدلوا من خلال الآية السابقة بتخطئة اجتهاد داود- عليه السلام-، والحق أن

(١) سورة الأنبياء، (٧٨، ٧٩).

(٢) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٢/٢٤٧).

الكل مصيب يعني داود وسليمان - عليه السلام - ولكن حكم سليمان - عليه السلام - هو الأوفق.

وهناك آيات أخرى استدلووا بها على إنكار الاجتهاد، ورد عليهم الغزالي حاججهم فيها، وخلص إلى جواز الاجتهاد وان كل مجتهد في الظنيات مصيب.

ومما عرض له أيضا من القضايا الأصولية التعارض في الأحكام الشرعية وطرق درئها.

منهج الإمام الغزالي في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات:

بعد أن تعرفنا إلى ما عرضه الإمام الغزالي من أصول فقهية، فإنه يمكن أن أحصر منهجه في تعامله مع آيات الأحكام فهما واستنباطا في النقاط الآتية:

أولا: الاستنباط من خلال الآيات القرآنية سواء أكانت دلالة الآية على الحكم ظاهرة أم خفية، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أ. استنباط الحكم الشرعي من خلال الآية التي لا تكون دلالتها على الحكم ظاهرة بشكل مباشر، قال الغزالي في حديثه عن البيوع: (أن لا يكتم البائع في المقدار شيئا، وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه، وفي الكيل أن يكيل كما يكتال، قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(١)، ولا يخلص من هذا إلا بأن يربح إذا أعطى وينقص إذا أخذ، إذ العدل الحقيقي كما يتصور، فليست تظهر بظهور الزيادة والنقصان، فإن من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه، وبالجملة كل من ينتصف من غيره ولو في كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى:

(١) سورة المطففون، (١-٣).

﴿ويل للمطففين﴾، فإن تحريم ذلك في المكيل ليس لكونه مكيلا بل كونه أمرا مقصودا ترك العدل والنصفة فيه فهو جار في جميع الأعمال^(١).

فدلالة الآية هنا لم تقتصر على الكيل فحسب بل انسحبت للدلالة على جميع الأعمال والأقوال، فلا بد من إعطاء الحق لأصحابه، والإنصاف في ما يصدر عن المرء من فعل أو قول، ونلاحظ هنا أن الغزالي استشف هذه الأحكام والإشارات الفقهية بثاقب النظر، وإن لم يبد من خلال الآية هذا المعنى على وجه التصريح وهذا فيه توسيع لمدلول الآية القرآنية^(٢).

ب. استنباط الحكم الشرعي من الآية إذا كانت دلالتها ظاهرة: ومثال على ذلك قوله: (وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله على عباده به، إذ قال: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾^(٣)، فقيل: هو الصوت الحسن^(٤)، وقول الله تعالى: ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾^(٥)، يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن^(٦).

في هذا المثال يأخذ الإمام الغزالي بمفهوم الآية ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾^(٧) فهي تدل بمفهوم المخالفة على مدح الصوت الحسن، فإذا كان الصوت السيء غير مرغوب فيه فلا شك أن الصوت الحسن مطلوب ومرغوب به، وهو بهذا يميل إلى تحسين الصوت في القراءة.

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٤٤/٢)، وينظر للاستزادة المصدر نفسه (١٣٨/٢).
 (٢) الباحث عدنان يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين، ص ١٦٥.
 (٣) سورة فاطر، ١.
 (٤) ينظر الزمخشري، الكشاف، (٦٠٥/٣).
 (٥) سورة لقمان، ١٩.
 (٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٧٩/٢)؛ وينظر للمزيد المصدر نفسه (٣٥١/٣).
 (٧) هذه الآية تدل بمفهومها على خفض الصوت وعدم رفعه وأنه ممدوح إن لم يدع داع شرعي إلى خلافه، (الأوسى، روح المعاني، (٩١/٢١).

قال في المهذب: (قال الشافعي في موضع أكرهه - تحسين الصوت بالقران - وقال في موضع آخر: لا أكرهه، فالذي قال أكرهه أراد إذا جاوز الحد في التطويل، وإدغام بعضه في بعض، والذي قال أكرهه إذا لم يجاوز الحد) (١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (٢)، قال الإمام الغزالي: (فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قلنا: لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاثل، وإن علم أنه يقتل، وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية، وليس كذلك، فقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى، أي من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه، وقال البراء بن عازب، التهلكة هي أن يذنب الذنب ثم يقول: لا يتاب علي، وقال أبو عبيدة: هي أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة، وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاثل إلى أن يقتل، أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جرائته، واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله، فتتكسر بذلك شوكتهم) (١).

هنا بوضح الإمام الغزالي معنى الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وبين أن المسلم الواحد الذي يهجم على صف الكفار، إذا كان في إتلاف نفسه منفعة عائدة على الدين والمسلمين فهذا ليس من باب الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، أما إذا اقتحم الحرب من غير نكاية في العدو ولم يكن في اقتحامه هدف أو عائد على الدين والمسلمين فهذا من باب الإلقاء بالنفس إلى التهلكة والله أعلم.

ولعل الإمام الغزالي يشير بكلامه إلى ما روي من أن رجلا حمل على الزوم والمسلمون يريدون القسطنطينية فقال الناس: مه لا اله إلا الله يلقي بيده إلى التهلكة، قال أبو أيوب الأنصاري: إنما تتأولون هذه الآية هكذا أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة أو يبلى من

(١) الشيرازي، المهذب، (٢/٣٢٨).

(٢) سورة البقرة، ١٩٥.

نفسه، إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار - إنما لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا بيننا معشر الأنصار خفياً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنا كنا قد تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلحها حتى نصر الله نبيه فلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأُنزل الله تعالى - الخبر من السماء ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد^(٢).

ثانياً: الاستشهاد بقصة النزول لبيان الحكم الشرعي في الآية:

ومن الأمثلة على ذلك:

قال الغزالي: (لن الأعيان فيه خطرٌ، لأن الأعيان تتقلب في الأحوال، إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم - فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر، ولذلك عين قوماً باللعن، فكان يقول في دعائه على قريش: ((اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة))^(٣)، وذكر جماعة قتلوا على الكفر بيد، حتى أن من لم يعلم عاقبته كان يلعبه فنهى عنه، إذ روي أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهراً، فنزل قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾^(٤)، يعني أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون؟^(٥)، وكذلك من علم موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه إن لم يكن فيه أذى على مسلم، فإن كان لم يجز^(٦).

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢/١).

(٢) الطبري، جامع البيان لتأويل أي القرآن، (٢٠٢/٢).

* لأن اللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى، الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٧٦/٣).

(٣) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي - عليه السلام - من أذى

المشركين والمنافقين، رقم ٣٩٤، (١٢٧/١٢).

(٤) سورة آل عمران، ١٢٨.

(٥) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٣٤/١).

(٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٦٨/٣)، وينظر للمزيد الوسيط، (٢٦٨/٢).

وهنا استشعر الإمام الغزالي جو التنزيل وفهم من خلال سبب نزول الآية أن اللعنة لم تجز إذا لم يعلم مأل من وقع عليه اللعن من قبل اللاعن من حيث أنه يستحق هذا الوصف أولاً، وما قاله الإمام الغزالي تمسك به بعضهم وقالوا: (لا يجوز اللعن على الأعيان لأن العبرة بالمأل لا بالحال)^(١).

ثالثاً: ذكر آراء أئمة الشافعية وعدم الترجيح بينها:

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾^(٢)، قال الغزالي: والاستمتاع بما فوق السرة وتحت الركبة جائز، وفي الاستمتاع بما تحت الإزار مما سوى الجماع وجهان: ويشهد للإباحة قوله عليه السلام: ((افعلوا كل شيء إلا الجماع))^(٣)، وللتحريم قول عائشة: "كنت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مضجعه فحضت فانسللت، فقال: مالك، أنفست؟ قلت: نعم، فقال: خذي ثياب حيضتك وعودي إلى مضجعتك، ونال مني ما ينال الرجل من امرأته إلا ما تحت الإزار"^{(٤)(٥)}، فهنا ذكر الإمام الغزالي رأيين للشافعية^(٦) في الاستمتاع بما تحت الإزار ولكل دليله من السنة، فالرأي الأول يرى أنه مباح^(٧)، والرأي الثاني يرى أنه محرم، ولم يرجح الإمام الغزالي في هذه المسألة أي من الرأيين.

(١) ينظر ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، (٢٨٢/٢) حواشي الشرواني، (٢٤٢/١).

(٢) سورة البقرة، ٢٢٢.

(٣) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب الرجل يصيب من الحائض دون الجماع، رقم ١٣٩٦، (٣١٣/١).

(٤) البخاري، صحيح البخاري ومعه فتح الباري، كتاب الطهارة، باب الحيض والاستحاضة، رقم ١٣٦٣، (١٩٧/٤).

(٥) الغزالي، الوسيط، (٦٦٤-٦٦٥/١).

(٦) ينظر هذا الخلاف في الاقتناع للشربيني، (١٠٢/١) والإجماع منعقد على أن اعتزال جميع بدن المرأة ليس هو المراد كما فسرتة السنة المستفيضة، ابن تيمية، شرح العمدة، (٤٦١/١).

(٧) يعني يشمل سائر أنواع الاستمتاع حتى فيما تحت الإزار، أي ما بين سرتها وركبتها، غير الوطء في الفرج، الدمياطي، إعانة الطالبين، (٧٢/١) والاستمتاع بالمرأة بما تحت الإزار الأصح فيه أنه حرام، (روضة الطالبين، (١٣٥/١)، لأنه يدعو إلى الجماع فحرم لخبر من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، الشربيني، مغني المحتاج، (١٠/١).

رابعاً: ذكر آراء أئمة الشافعية مع ترجيح الأشهر منها:

ومن الأمثلة على ذلك:

قال الغزالي (تجب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، إذ روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم عد الفاتحة سبع آيات و عد البسمة آية منها^(١))، ثم التسمية عندنا آية من أول كل سورة كتبت فيها، ولكنها آية مستقلة أم هي مع أول كل سورة آية^(٢)؟ فيها قولان: وذكر الصيدلاني القولين في أنها هل هي من القرآن في أول كل سورة سوى الفاتحة^(٣)؟ والمشهور الأول^(٤).

وهنا بين أن البسمة آية مستقلة وأن هذا هو المشتهر في المذهب ولم يبين وجه الدلالة.

خامساً: عرضه للفقهاء المقارن:

وقد عرض الغزالي لما يسمى بالفقهاء المقارن، فعرض للرأي ودليله ووجه الآراء المختلفة، ورجح بينها بما يقتضيه الدليل والبرهان.

(١) البخاري صحيح بخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، رقم ٤٧٥٩، (٤/١٩٢٤).

(٢) اتفق العلماء على أن البسمة بعض آية في سورة النحل (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) النمل، ٣٠، واختلفوا في عدّها آية من الفاتحة وأول كل سورة على ثلاثة أقوال: الأول: ليست بأية من الفاتحة ولا غيرها وهو قول مالك.

الثاني: أنها آية من كل سورة وهو قول عبد الله بن المبارك.

الثالث: قال الشافعي: هي آية في الفاتحة وتردد قوله في سائر السور، فمرة قال: هي آية من كل سورة، ومرة قال: ليست بأية إلا في الفاتحة وحدها، ولا خلاف بينهم أن البسمة ليست بأية من الفاتحة ولا غيرها إلا في النمل وحدها، وعدّ أهل المدينة وأهل الشام وأهل البصرة وأكثر القراء أنعمت عليهم آية، وأما أهل الكوفة من القراء والفقهاء، فإنهم عدّوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم ولم يعدّوا أنعمت عليهم، فإن قيل: فإنها ثبتت في المصحف وهي مكتوبة بخطه ونقلت نقلة كما نقلت في النمل، وذلك متواتر عنهم، قلنا: ما ذكرتموه صحيح ولكن لكونها قرآناً أو لكونها فاصلة بين السور كما روي عن الصحابة كنا لانعرف انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم، (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١/٩٢٢-٩٥) بتصرف.

(٣) القفال الشاشي، حلية العلماء، (٢/٨٦).

(٤) الغزالي، الوسيط، (٢/٧٣٠)، وينظر في هذا أيضاً النووي، المجموع، (٣/٣٣٤-٣٥٦)، وينظر للمزيد الوسيط (٦/١٥٣).

أ. عرض آراء العلماء مع ترجيح مذهب الشافعية بلا دليل (ولعله ذكر الدليل في كتابه البسيط):

ومن الأمثلة على ذلك: قال الغزالي: (سجدة التلاوة: وهي سنة مؤكدة، وقال أبو حنيفة: إنها واجبة^(١))، ومواضعها في القرآن أربع عشرة آية، وليس في سورة (ص) سجدة خلافا لأبي حنيفة، وفي الحج سجدتان، وقال صلى الله عليه وسلم: ((من لم يسجد لهما فلا يقرأهما))^(٢)، وقال أبو حنيفة: فيها سجدة واحدة^(٣)، وأثبت ابن سريج سجدة (ص) والقول القديم: إن السجدات إحدى عشرة...^(٤)، ولكن روى الشافعي -رضي الله عنه- بإسناده في الجديد أنه -عليه الصلاة والسلام- سجد في سورة ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(٥)، وقد رواه أبو هريرة وقد أسلم بعد الهجرة بسنتين^(٦).
فهنا قدم الغزالي رأي الشافعي على رأي أبي حنيفة دون التطرق لدليل القول بأنها سنة مؤكدة، وفي هذا ميل إلى رأي الشافعي.

ب. عرض آراء العلماء مع ترجيح مذهب الشافعية وفق الدليل: ففسر قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى﴾^(٧)، قال الغزالي: (قال أبو حنيفة: تعتبر الحاجة مع القرابة، ثم جوز حرمان ذوي القربى، وقال أصحاب الشافعي -رحمه الله-: هذا تخصيص باطل لا يحتمله اللفظ لأنه أضاف المال إليهم بلام التملك، وعرفت هذه الجهة في الاستحقاق بالقرابة^(٨)، وأبو حنيفة ألغى القرابة المذكورة واعتبر الحاجة المتروكة، وهو مناقضة للفظ لا تأويل، وهذا عندنا في مجال الاجتهاد، وليس فيه إلا

(١) ينظر ابن عابدين، حاشية ابن عابدين على الدر المختار، (١٠٣/٢).

* عند الشافعية: لو سجد في (ص) جاهلاً أو ناسياً لم تبطل صلاته، وإن كان عامداً بطلت صلاته، ولو سجد إمامه في (ص) لكونه يعتقد أنها لم يتابعه بل يفارقه أو ينتظره قائماً، روضة الطالبين، (٣١٩/١).

(٢) مالك، الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن، رقم ١٣، ص ٢٠٢.

(٣) ينظر السرخسي، المبسوط، (١٣٢/٢).

(٤) سورة الانشقاق، ١.

(٥) مالك، الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن، رقم ١٢، ص ٢٠٢.

(٦) الغزالي، الوسيط، (٨٠٩/١-٨١١)، وينظر المستصفي من علم أصول الفقه، (١٩٤/١-١٩٥).

(٧) سورة الأنفال، ٤١.

* الكاساني، بدائع الصنائع، (٣٤٦/٧).

تخصيص عموم لفظ ذوي القربى بالمحتاجين منهم، كما فعله الشافعي على أحد القولين في اعتبار الحاجة مع التيم في سياق هذه الآية^(١).

وهنا يرجح الغزالي رأي الشافعية في اختصاص ذوي القربى ويرد رأي أبي حنيفة حيث اعتبر الحاجة مع ذوي القربى، وهنا كان الترجيح بناءً على دليل لغوي من خلال سياق الآية.

فاللام هنا لام التمليك، فهم مستحقون هذا الحق دون اعتبار الحاجة، ولأن الآية ذكرتهم مع جملة من يعطون الغنائم دون بيان هذا القيد.
ج. عرض آراء العلماء والخروج برأي مستقل:

ومن ذلك قوله: (في المسافر مذهبان ضعيفان: أحدهما: أن المسافر لا يصح صومه في السفر لقوله تعالى: ﴿فَعَدَّه مِنْ أَيَّامٍ أُخْرٍ﴾^(٢)، فلم يأمره إلا بأيام أخر، وهو فاسد، لأن سياق الكلام يفهمنا إضمار الإفطار، ومعناه: من كان منكم مريضاً أو على سفر فأفطر فعده من أيام أخر، كقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ﴾^(٣)، يعني فضرب فانفجرت، ولأن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السفر كانوا يفترون ويصومون ولا يعترض بعضهم على بعض.

والثاني: مذهب الكرخي: أن الواجب أيام أخر، ولكن لو صام رمضان صح وكان معجلاً للواجب كمن قدم الزكاة على الحول، وهو فاسد، إلا أن الآية لا تفهم إلا الرخصة في التأخير وتوسيع الوقت عليه، والمؤدي في أول الوقت الموسع غير معجل، وهو مؤدٍ في وقته^(٤).

(١) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٥٩/٢)، وينظر للمزيد الوسيط (٣٩٠/٦، ٤٩٦، ٤٩٨) طبعة دار السلام.

(٢) سورة البقرة، ١٨٤.

(٣) سورة البقرة ٦٠.

(٤) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (١٨٢/١)، وينظر للمزيد المصدر نفسه، (١٧٣-١٧٢/٢)، الإحياء، (٣٢٥/٢). وقد مر بيانه في مصادر التفسير عند الإمام الغزالي.

سادسا: مزج الفقه بالتصوف:

وهذه ظاهرة لوحظت عند الإمام الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين، فهو يربط بين

المعاني الصوفية والقضايا الفقهية:

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى...﴾^(١)، قال الغزالي: (قيل سكارى من كثرة الهم، وقيل: من حب الدنيا، وقال وهب: المراد به ظاهره...، وكم من مصل لم يشرب خمرا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته، أي أن هذا مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا)^(٢).

ولكن المراد بالآية ظاهرها أي سكر الخمر وأما الانشغال بالفكر والوسوسة في الصلاة فهذا ليس مراداً بالآية ولا مراد بها سكارى من كثرة الهم أو من حب الدنيا، ويلاحظ هنا أن الإمام الغزالي يمزج بعض اللطائف الصوفية بما يتطرق إليه من قضايا فقهية.

وما ذكره الإمام الغزالي من سكر الهم وما إلى ذلك تأباه روايات النزول فسي تحريم الخمر، فإن هذه الآية دلت على تحريم شرب الخمر قبل إتيان الصلاة حتى يعلم المصلي ما يقول، (فالمعنى على الظاهر)^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا...﴾^(٤)، قال الغزالي: (فتقطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر، إذ يبعد أن يكون المراد بقوله عليه

(١) سورة النساء، آية (٤٣).

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٠٠/١).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠٠/٥).

(٤) سورة التوبة، ١٠٨.

السلام: الطهور نصف الإيمان))^(١): عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وتخريب الباطن وإبقائه مشحوناً بالأخبار والأقذار هيهات هيهات)^(٢)، والذي ذهب إليه الغزالي محتمل يتفق مع ما يطلبه الشرع من تزكية النفس وتطهيرها بقوله تعالى: «قد أفلح من زكاه»^(٣)، فطهارة الظاهر لا بد أن ترادفها طهارة الباطن، ونلاحظ هنا أيضاً أن الإمام الغزالي يأتي بالمعاني الإشارية في تفسيره لهذه الآية مع أنها تدل على حكم شرعي.

وفي حديثه عن صفات آخذي الزكاة ذكر: (أن يكون معيلاً أو محبوساً بمرض أو بسبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل: «للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله»^(٤)، أي حبسوا في طريق الآخرة بعيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب)^(٥).

وفي المراد بالذين أحصروا أربعة أقوال: (أحدها: أنهم أهل الصفة حبسوا أنفسهم على طاعة الله تعالى - ولم يكن لهم شيء، قاله ابن عباس ومقاتل، والثاني: إنهم فقراء المهاجرين قاله مجاهد، والثالث: أنهم قوم حبسوا أنفسهم على الغزو فلا يقدرّون على الاكتساب قاله قتاده، والرابع: أنهم قوم أصابهم جراحات مع النبي - صلى الله عليه والسلام - فصاروا زمنى - جراحاتهم مزمنة - قاله سعيد بن جبير^(٦)) والذي يبدو لي أن المعنى الثاني هو الأقرب لأنسه أعم هذه الأقوال.

• ويرى أن صلاة الأوابين هي المراد بقوله تعالى: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع»^(٧)، مع أن هذه الآية مكية، ومع أن الغزالي يذكر عن سعيد بن المسيب قوله:

(١) أبو نعيم الأصبهاني، المسند المستخرج على صحيح مسلم، كتاب الطهارة، في الوضوء وفضله، برقم ٥٣٤، (٣٨٩/١).

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/١٦٧).

(٣) سورة الشمس، ٩.

(٤) سورة البقرة (٢٧٣).

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٢٩١).

(٦) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ().

(٧) سورة السجدة، (١٦).

أنزل^(١) قوله تعالى: ﴿فإنه كان للأوابين غفورا﴾^(٢)، في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب^(٣).

وفي هذه الأمثلة يلحظ أن الغزالي قد أدخل المعاني القلبية في الفقه وأضفى على الفقه نوعا من الروحانية، وحاول أن يقدم الفقه بصورة سهلة سلسلة بعيدة عن التعقيد والجمود والرتابة، وقد أشار إلى هذا الدكتور يوسف القرضاوي إذ قال: (كما أن الغزالي حاول أن يفقه التصوف ويصوف الفقه إن صح التعبير، وإن كان تصوفه غلب على فقهه)^(٤).

ومما سبق نلاحظ أن الإمام الغزالي قد عرض للأصول الفقهية في كتابه المستصفي والمنخول تأصيلا وتطبيقا، وعرض للفروع الفقهية من خلال بيانه آيات الأحكام في المستصفي والمنخول والوسيط والإحياء، وهي كتب معتبرة عند فقهاء الشافعية، وقد لاحظنا من خلال عرض منهجه في آيات الأحكام في كتب المستصفي والمنخول والوسيط أن ميله إلى آراء أئمة الشافعية كان واضحا وإن اخذ بالدليل، وقد تمثل ميله هذا إلى تلك الآراء في ثناءه على الإمام الشافعي واعتماد آراءه وعرض الأقوال والنقول الواردة عن كبار الشافعية ومحاولة بسطها وبيان الراجح منها، غير أن الميل لم يكن على حساب الدليل، إذ رجح ووازن بين الأقوال في الفقه المقارن بناء على دليل معتبر، وربما خالف مذهب أمامه وانتقل إلى مذهب غيره.

(١) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٢/٣).

(٢) سورة الإسراء، ٢٥.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٠٠/١)، وينظر في ذلك أيضا كتاب الصبر والشكر للغزالي، ص ٢٦،

وينظر للمزيد الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٨٣/١)، (٣٥٠).

(٤) الدكتور يوسف القرضاوي، الغزالي حجة الإسلام نظرة عامة ضمن كتاب الإمام الغزالي: المنوية التاسعة لوفاته، ص ١٩.

وفي كتاب الإحياء شواهد على تحرر الغزالي من قيود المذهبية والموازنة بين الأقوال وتحرير مواطن النزاع فيها، واختار ما يراه صحيحا أو أصح أو أقوى، فلم نلاحظ من الإمام لفظا مجرحا^(١)، أو نقدا غير متزن وإن كان متأثرا بمذهب الإمام الشافعي.

ثم إن ترجيحه جاء بناء على الكتاب والسنة واللغة والسياق، وربما نزع منزعا عقليا فناقش الآراء إذا لم يكن لديه دليل نقلي.

وإذا كان لا بد من كلمة في هذا الصدد، فإنه يمكن القول على العموم: إن ثمة تراجعات^(*) في القضايا الفقهية قد رجع عنها رحمه الله بعد أن كان متعلقا بها؛ كونه كان متأثرا بشيخه الجويني الشافعي، وهذا ما حصل فعلا في كتابه المستصفي، إذ ترك بعض الآراء التي كان يقول بها بعد أن اتضح له وجه الدليل بات لها لصواب، ويعسد أن نضجت شخصية الإمام - رحمه الله - العلمية واكتملت، وإن كان هذا الأمر لم يكن على نطاق واسع لا سيما وأن مؤلفاته الأخيرة كانت قليلة وهي الإحياء وجواهر القرآن وإلجام العوام عن علم الكلام، فكان قد قطع شوطا كبيرا في النتاج الفقهي متأثرا بالمذهبية.

(١) ينظر الغزالي، إحياء علوم الدين ، (١/٣٥)، حيث أتى على الأئمة الأربعة ثناء جميلا وبين رتبهم دينيا وعلما وفقها.

(*) ليس هنا موضع الحديث عن هذه التراجعات فهي مسائل فقهية بحثت موضعها علم الفقه وعلم الأصول، ويمكن مراجعة مقدمة المنحول للمحقق محمد حسن هيتو، ص ٣٥-٤٥.

الفصل الرابع: علوم القرآن في مؤلفات

الإمام الغزالي

**المبحث الأول: القرآن: تعريفه، كتابته، وأدب
تلاوته.**

المبحث الثاني: فضائل القرآن

المبحث الثالث: إعجاز القرآن

المبحث الرابع: موهب التعارض والاختلاف

المبحث الخامس: النسخ

المبحث السادس: المحكم والمنتشبه

تمهيد

نشأة علوم القرآن حتى القرن السادس الهجري.

كان الصحابة عرباً خالصاً يتذوقون الأساليب الرفيعة، ويفهمون ما ينزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الآيات البينات، فإذا أشكل عليهم فهم شيء من القرآن سألوا عنه النبي -صلى الله عليه وسلم-، أما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد أتاه الله الكتاب وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً، فلم تكن الحاجة ماسة إلى وضع تاليف في علوم القرآن في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة^(١).

وكان أكثر الصحابة أميين، ولم تكن أدوات الكتابة متيسرة لديهم، فكان ذلك حائلاً أيضاً دون التأليف في هذا العلم، إضافة إلى أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نفسه قد نهاهم عن أن يكتبوا عنه شيئاً غير القرآن، مخافة أن يختلط القرآن بما ليس منه^(٢).

وقد ظلت علوم القرآن تروى بالتلقين والمشاهدة على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم تم جمعه على عهد أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-، وفي عهد عثمان -رضي الله عنه- تم نسخ المصحف الإمام وتوزيعه على الأمصار، وهو بهذا قد وضع الأساس لما يسمى بعلم الرسم العثماني، أو علم رسم القرآن، وفي عهد علي -رضي الله عنه- وضعت القواعد للمحافظة على سلامة اللغة العربية وكان ذلك أساس علم إعراب القرآن^(٣).

ثم جاء عصر التدوين، وكان من الطبيعي أن يكون أول ما يدون من علوم القرآن هو علم التفسير، إذ هو الأصل في فهم القرآن وتدبره، فقام العديد من أهل العلم والحديث بتأليف الكتب في ذلك، ومن بين هؤلاء سفيان الثوري ت ١٦١هـ، وشعبة بن الحجاج ت ١٦٠هـ، وسفيان بن عيينة ت ١٩٨هـ، ثم تلاهم: محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ، وقد شملت

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (٣٠/١)

(٢) المرجع نفسه، (٣١/١).

(٣) محمد أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص ٣٠.

هذه الحركة التأليفية كل نوع من أنواع علوم القرآن تقريباً، فألف في أسباب النزول: علي بن
المديني شيخ البخاري ت ٢٣٤هـ، وفي الناسخ والمنسوخ: أبو عبيد القاسم بن سلام ت
٢٢٤هـ، وأبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ت ٣٣٨هـ، وابن حزم ت ٤٥٦هـ^(١).

وألف في مشكله وغريبه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦هـ، كما ألف في
غريبه ومفرداته أبو عبيدة معمر بن المثنى ت ٢٠٩هـ، وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو بكر
السجستاني ت ٢٣٠هـ، والراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ، وغيرهم، وألف في إعرابه: محمد
بن سعيد الحوفي ت ٤٣٠هـ، وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ت ٦١٦هـ، كما ألف
في إعجاز القرآن: الرماني ٣٨٤هـ، والخطابي ت ٣٨٨هـ، وأبو بكر الباقلاني ت ٤٠٣هـ
وغيرهم، وفي مجاز القرآن: ابن قتيبة ت ٢٧٦هـ، والشريف الرضي ت ٤٠٦هـ^(٢).

وفي فضائله: أبو عبيد ت ٢٢٤هـ، والنسائي ت ٣٠٣هـ، إلى غير ذلك من المؤلفات
المتكاثرة التي تناولت كل نواحي القرآن العديدة^(٣).

وسلك هؤلاء العلماء في تأليفاتهم طريقة الاستيعاب والاستقراء لأجزاء الأنواع التي ألفوا
فيها^(٤).

وهذا التأليف في علوم القرآن بالمعنى الإضافي*، أما علوم القرآن بمعنى الفن المدون*،
فقد جاء التدوين فيه متأخراً عن التدوين على الطريقة الأولى، ثم سار بعد ذلك جنباً إلى جنب،
وبشير الأستاذ محمد عبد العظيم الزرقاني إلى أن هذا الاصطلاح ظهر في مستهل القرن

(١) محمد أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص ٣١.

(٢) د. يوسف مرعشلي، مقدمة تحقيق البرهان في علوم القرآن، (١/٢٠٧).

(٣) المصدر نفسه، (١/٥٧).

(٤) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/٣٤).

* تعرف علوم القرآن بالمعنى الإضافي: بأنها العلم الذي يكون موضوعه القرآن الكريم من ناحية تفسيره أو
من حيث رسمه أو من حيث طريقة أدائه أو من حيث إعجازه أو من حيث مجازه التي تدل على أنها علوم
متعددة. ينظر الشيخ محمد أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص ٢٥

الخامس الهجري على يد الحوفي ت ٤٣٠هـ، في كتابه البرهان في علوم القرآن، ولكن الأستاذ محمد أبو شهية يرى ان هذا الكتاب إنما هو كتاب تفسير حسبما ذكر ذلك صاحب كشف الظنون، إذ أسماه: البرهان في تفسير القرآن^(١).

وألف في القرن الخامس أيضاً أبو عمرو الداني ت ٤٤٤هـ، كتاب التيسير في القراءات السبع و (المحكم في النقط) و(البيان في عد آي القرآن)^(٢).

ومما سبق يلحظ أن التأليف في علوم القرآن كان في مختلف فروع العلم القرآني، إذ شهد كل قرن من القرون التي بدأت بعهد التدوين حتى نهاية القرن الخامس الهجري دراسة مستوابة ومتخصصة في هذا المجال، وكانت السمة الغالبة على طريقة التأليف في ذلك هي الاستقراء والتتبع، يعتمد أصحابها أن يحيطوا بجزئيات القرآن من الناحية التي كتبوا فيها بقدر طاقتهم البشرية، فمن يكتب في غريب القرآن مثلاً يذكر كل مفرد من مفردات القرآن التي فيها غرابة وإبهام، ومن يكتب في مجاز القرآن يقتفي أثر كل لفظ فيه مجاز أياً كان نوعه في القرآن، وهكذا سائر أنواع علوم القرآن^(٣).

* علوم القرآن بمعنى الفن المدون تعرف بأنها علم ذو مباحث تتعلق بالقران الكريم من حيث نزوله وترتيبه وكتابه وجمعه وقراءاته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومثابه إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر في هذا العلم، ينظر الشيخ محمد أبو شهية، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص ٢٥

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (٣٦/١).

(٢) د. يوسف مرعشلي، مقدمة تحقيق البرهان في علوم القرآن الكريم للزركشي، (٤٧/١)

(٣) مصدر هذه المقدمة: البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق د. يوسف مرعشلي وآخرون (١/٣١-٥٧)، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (١/٣٠-٣٧)، مناهل العرفان في علوم القرآن، أد. محمد أبو شهية، المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص ٢٤-٣٤)، د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن (ص ١١٩-١٢٦)، د. القطان، مباحث في علوم القرآن (ص ١٠-١٤).

المبحث الأول: القرآن: تعريفه، كتابته، آداب تلاوته.

المطلب الأول: تعريف القرآن وبيان حقيقته:

عرف الغزالي رحمه الله تعالى القرآن الكريم بطريق الرسم^١ فقال: (ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف المشهورة نقلاً متواتراً)^(١).

ومما يلحظ ههنا أنه بين فيه شرط التواتر والنقل في المصحف، ولم يذكر شروطاً أخرى كالإعجاز، ولم يذكر التفصيلات الأخرى التي أوردتها بعض العلماء، كالإعجاز وإنزال الألفاظ، وقد شرح رحمه الله تعالى هذا التعريف قائلاً: (ونعني بالكتاب: القرآن المنزل، وقيدناه بالمصحف لأن الصحابة- رضوان الله عليهم- بالغوا في الاحتياط في نقله، حتى كرهوا التعاشير، والنقط وأمروا بالتجريد- تجريد القرآن عن غيره- كيلا يختلط بالقرآن غيره، ونقل إلينا متواتراً، فنعلم أن المكتوب في المصحف المتفق عليه هو القرآن، وأن ما هو خارج عنه فليس منه، إذ يستحيل في العرف والعادة مع توافر الدواعي على حفظه أن يهمل بعضه فلا ينقل أو يخلط به ما ليس منه)^(٢).

وفي رأي الإمام الغزالي أن هذا التعريف كاف في تحصيل الغرض وهو بيان القرآن وتمييزه عن جميع ما عداه^(٣).

ولم يذكر - رحمه الله تعالى - الإعجاز شرطاً من شروط التعريف وقد بين السبب في هذا بقوله: (فإن قيل: هلا حدد القرآن بالمعجز؟ قلنا: لا، لأنه كونه معجزاً يدل على صدق

* التعريف بالرسم: هو تعريف بنواحي الشيء وأعراضه، د. عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص ٢٠٥.

(١) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (١/١٩٣).

(٢) المصدر نفسه، (١/١٩٣).

(٣) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (١/١٩٣).

الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا على كونه كتاب الله تعالى لا محالة، إذ يتصور الإعجاز بما ليس بكتاب الله تعالى، ولأن بعض الآية ليس بمعجز وهو من الكتاب^(١).

ولكن الإعجاز هو الوصف الذاتي للقرآن، والآية الكبرى على صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- والشاهد العدل على أن القرآن كلام الله تعالى^(٢).

المطلب الثاني: (جمع) كتابة القرآن ونقطه:

عرض الإمام الغزالي كغيره من العلماء إلى جمع القرآن ونسخه، ففي جمعه في عهد عثمان رضي الله عنه- أورد الإمام الغزالي رواية جاءت في صحيح البخاري والتي بينت سبب جمع القرآن وطرق نسخه، ولم يعقب برأي حول هذه المسألة، فهي من قبيل المسلمات عند الغزالي^(٣).

وفي مجال نقط المصاحف، فصل الإمام الغزالي في هذه القضية المختلف بشأنها، واختار الجواز في هذه المسألة، قال رحمه الله تعالى: (يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه، ولا بأس بالنقط والعلامات بالحرمة وغيرها، فإنها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه)^(٤).

و بين رحمه الله تعالى أن من العلماء من كره نقط المصاحف وعلل ذلك بقوله: (والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً من أن يؤدي إلى إحداث زيادات وحسماً للباب، وتشوفاً إلى حراسة القرآن عما يطرق إليه تغييراً، وإذا لم يؤد إلى محذور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به، ولا يمنع من ذلك كونه محدثاً، فكم من محدث حسن، كما قيل في إقامة الجماعة في التراويح: إنها من محدثات عمر - رضي الله عنه - ،

(١) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (١/١٩٣).

(٢) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/٢١).

(٣) ينظر الغزالي، مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء، ص ١٨٣-١٨٦.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٦٧).

وإنها بدعة حسنة، إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها^(١).

وبهذا فإن الإمام الغزالي يقطع في هذا الشأن برأيه مجايب المسألة بوضوح، إذ عد نقط المصاحف مما يجر منفعة لقارئ القرآن، وبين سبب إحجام بعض العلماء عن البيت في هذه المسألة والقول بالكراهة مخافة إحداث أمر في القرآن مما ليس منه، وهذا الرأي مال إليه بعض العلماء^(٢) ممن سبق الإمام، ولكن حجة الإسلام رتب المسألة بإيجاز واقتضاب وأفصح عن رأيه بوضوح.

المطلب الثالث: آداب تلاوة القرآن الكريم.

وضع الإمام الغزالي منهجاً متكاملًا في قراءة القرآن الكريم تلاوة وتدبراً، من حيث النطق به والاستتباط منه، وجاء هذا المنهج على نحو من الترتيب والتسلسل بحيث يعيظه القارئ بجميع حواسه ومشاعره، ولم يكن حديثه حول هذا المنهج حديثاً عاماً أو نثرًا، بل غلب عليه طابع التقسيم العلمي، والتجربة الذاتية، وكشف بحثه في هذا المقام عن قيم نفسية وأسس وجوانب اجتماعية قصد إليها لتترسخ معانيها في النفس البشرية، وليبقى لها أثرها، إذ هي ثمرة القراءة وبعض قطوفها النورانية.

ومهد حجة الإسلام بين يدي الموضوع فذكر أحاديث وأثار تبين فضل قراءة القرآن ومنزلة حامله وحافظه والعامل به ترغيباً بذلك للإقبال على دراسة القرآن ومذاكرته^(٣)، ثم قسم القراءة والتلاوة إلى قسمين أساسيين: قسم يتعلق بأداب التلاوة الظاهرة، إذ بسط أحوالها وشروطها وجوانبها، وقسم يتعلق بأداب التلاوة الباطنة وما يكون فيها من شأن وجوانب نفسية وروحانية، وما يتعلق بها من ضوابط.

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٦٧).

(٢) ينظر في ذلك أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص ١١.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٦٢-٣٦٤).

أولاً: آداب التلاوة من حيث الظاهر:

جعل الإمام الغزالي للتلاوة الظاهرة عشر حالات أو آداب، و فصل القول في كل حالة إذ جاء بالأدلة والآثار الدالة عليها، بغية تطبيقها وبيان أثرها في القراءة.

فالحالة الأولى: اشترط فيها الطهارة الحسية، وبيان الهيئة الدالة على احترام القرآن والاستعداد لقراءته، وأفضل حالات القراءة وهي القراءة في الصلاة قائماً^(١).

قال الإمام النووي: (يستحب أن يقرأ القارئ وهو على طهارة، فإن كان محدثاً جاز بإجماع المسلمين، وأما الجنب والحائض فإنه يحرم عليها قراءة القرآن، سواء كان آية أو أقل منها، ويجوز لهما إجراء القرآن على قلبها من غير تلفظ به، ويجوز لهما النظر في المعنى وإمراره على القلب^(٢)).

والهيئة هنا هيئة الأدب والسكون لاهيئة التكبر، (ويستحب القراءة في مكان نظيف، ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة في المسجد جامعاً للنظافة وشرف البقعة ومحصلاً لفضيلة أخرى وهي الاعتكاف^(٣)).

(١) الغزالي إحياء علوم الدين، (١/٣٦٥).

(٢) النووي، التبيين في آداب حملة القرآن، ص ٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠.

الحالة الثانية: في مقدار القراءة؛ أي ختمات القرآن، إذ بين أحوال السلف في ختمة القرآن وبين أن التوسط في المسألة هو الأنسب، وأن من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه، وجاء بالأثار الدالة على ذلك^(١).

ومن الآثار الدالة على ذلك: (من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه)^(٢)، (وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات فأكثر ما ورد في كثرة القراءة من كان يختم في اليوم واللييلة ثماني ختمات أربعاً في الليل وأربعاً في النهار ويليه من كان يختم في اليوم واللييلة أربعاً ويليه ختمتين ويليه ختمه)^(٣).

الحالة الثالثة: في وجه القسمة: إذ بين لمن أراد ختم القرآن كيف يقسمه إلى أحزاب وكيف يبدأ وأين ينتهي، وهذا توجيه وإرشاد يعرفه من جرب وخبر قراءة القرآن ومذاكرته^(٤).

وتقسيم القرآن إلى أحزاب عند الإمام الغزالي هكذا: يفتح ليلة الجمعة بالسبحة إلى المائدة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد بيوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطه إلى طسم (القصص)، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى (ص)، وليلة الأربعاء بتزويل إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس^(٥).

(١) المصدر نفسه، (٣٦٥/١)، وينظر النووي، التبيان في آداب حملة القرآن: ص ٨٨.
 (٢) ابن خزيمة، باب قراءة القرآن، ذكر الزجر عن أن يختم القرآن في أقل من ثلاثة، رقم ٨٥٧، (٣٥/٣).
 (٣) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٣٢٥/١).
 (٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٦٦/١).
 (٥) المصدر نفسه، (٣٦٦/١).

الحالة الرابعة: كتابة القرآن وتلقيته، وقد أشرت إلى ذلك في مبحثه المستقل.

الحالة الخامسة: الترتيل* : بين رحمه الله تعالى أن هذه المرحلة في القراءة هي الفضلى، و

حث على ضرورة التمسك بها، إذ هي أعون على التفكير والفهم والتدبر،

وأقرب إلى التوقير والاحترام، وأشد تأثيراً في القلب من الهزيمة^(١).

قال السيوطي: (كمال الترتيل تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه وألا يدغم حرف في

حرف؛ وقيل هذا أقله، وأكمله أن يقرأ على منازله، فإن قرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد، أو

تعظيماً لفظ به على التعظيم، والترتيل هو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبسه تتشرح

الصدور وتستتير القلوب، وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به فيعرف معنى

كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي^(٢).

* وهي مرحلة وسطى في الأداء بين مرتبة التحقيق ومرتبة الحد، د. محمد عصام القضاء وآخرون،
الواضح في أحكام التجويد، ص ١١.

* الهزيمة: الاستعجال في القراءة، وعدم إعطاء الحرف حقه ومستحقه.

(١) المصدر نفسه، (٣٦٧/١).

(٢) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، (٣٣٢/١-٣٣٣).

الحالة السادسة: البكاء^(١): وهذا جانب نفسي وتربوي عميق، وتوجيه دقيق له أثره في القلب والشعور الإيماني لدى القارئ، وهذا حقيقة- لا يتأتى إلا بالتفاعل والتأثر بما يقرأ، وهذا ما حث عليه الغزالي ليركز القارئ، ويندمج بحواسه مع روحانية القراءة، والإحساس بالمعاني الحية التي تفيض على روحه ووجدانه، فيترك للنفس فسحة من الوقت لأن تعيش لحظات جادة، خاشعة متذللثة منكسرة في حضرة كلام علام الغيوب -جل وعلا-.

الحالة السابعة: مراعاة حق الآيات^(٢): فإذا مر القارئ بأية سجدة سجد، وإذا مر بأية دعاء يدعو ربه عز وجل، وهكذا، وبهذا يتفاعل القارئ مع ما يتلوه من الآيات، ولعل هذا هو التأويل بالمعنى السلفي القديم كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد حسين الذهبي^(٣).

الحالة الثامنة: مبتدأ القراءة والانتهاؤها منها: نص الإمام الغزالي على أن القارئ في بداية قراءته لا بد له من الاستعاذة، وللقارئ اختيار صيغة الاستعاذة التي يرى، فإذا فرغ من قراءته يدعو بهذا الدعاء: ((اللهم ارحمني بالقرآن، واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة، اللهم ذكرني منه ما نسيته، وعلمني منه ما جهلت، وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، واجعله لي حجة يا رب العالمين))^(٤).

وهذا أدب مع القرآن في بداية القراءة وأنتائها وفي نهايتها، ليكون القارئ منضبطاً في القراءة مرتبطباً بمعاني الآيات، يقظاً لا غافلاً ولا ساهياً، والدعاء الذي ذكره الإمام الغزالي ليس ملزماً بل للقارئ اختيار الصيغة التي يريد في الدعاء.

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٦٨).

(٢) المصدر نفسه، (١/٣٦٨).

(٣) د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (١/١٧).

* يسن التعود قبل القراءة، قال تعالى: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)، النحل، ٩٨، والمعنى إذا أردت قراءته فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وذهب قوم إلى أنه يتعود بعدها لظاهر الآية، وذهب قوم إلى وجوبها لظاهر الأمر، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١/٣٢٩.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٦٩).

الحالة التاسعة: الجهر بالقراءة: ورأي الإمام أنه لا بد من الجهر بالقراءة إلى حد يسمع نفسه، إذ القراءة عنده: عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت، فأقله ما يسمع نفسه، فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته^(١).

واختار النووي قراءة القرآن من المصحف، وقال (ولو قيل أنه يختلف باختلاف الأشخاص، فيختار القراءة في المصحف لمن استوى خضوعه وتدبره في حالتي القراءة في المصحف وعن ظهر القلب، ويختار القراءة عن ظهر قلب لم يكمل بذلك خضوعه، ويزيد على خضوعه وتدبره لو قرأ من المصحف لكان هذا قولاً حسناً^(٢)).

ورجح رحمه الله أفضلية القراءة في المصحف على القراءة غيباً، إذ يزيد في العمل النظر، وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه، والنظر في المصحف عبادة، وأورد الآثار التي تشير إلى هذا وتقويه^(٣).

الحالة العاشرة: تحسين القراءة وترتيلها: وذلك بترديد الصوت من غير تمطيط مفرد يغير النظم، فذلك سنة، ثم أورد رحمه الله تعالى الروايات التي تحث على تحسين الصوت بالقراءة وتزيين القراءة بجماله^(٤)، وهذه الحالة قريبة من الحالة الخامسة التي تم ذكرها.

قال النووي: (أجمع العلماء - رضي الله عنهم - من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وأقوالهم وفعالهم مشهورة نهاية الشهرة.

وإن أفرط في التمطيط فجاوز الحد فمكره وإن لم يجاوز فليس فمكروه، والقراءة بالأولى إن أخرجت لفظ القرآن عن صفته بإدخال حركات فيه أو إخراج حركات منه أو قصر

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٦٩/١).

(٢) النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص ٥٣.

(٣) المصدر نفسه، (٣٦٩/١)، وينظر النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص ٥٣.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٧١/١).

ممدود او مد مقصور فهو حرام يفسق به القارئ ويأثم به المستمع لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج^(١).

هذه هي الآداب الظاهرة التي ينبغي مراعاتها من قبل القارئ، وقد احتوت على أحكام شرعية وقضايا نفسية وتربوية، فجاءت آداباً حاوية جامعة مفصلة. وإذا كان الإمام الغزالي أطال في بيان الحالات الظاهرة للتلاوة لأهميتها ودقتها، فإنه أورد حالات أو آداب أخرى للتلاوة أشار إليها بالأعمال الباطنة للتلاوة فصل في بيانها، وهي آداب دقيقة للغاية ينبغي أن يستحضرها من شغل القرآن قلبه، وشحذ لفهمه عقله وفرغ لذكره باله، وهي لا تتأتى إلا لمن أوتى قلباً صافياً وعقلاً واعياً، وهذه هي الآداب.

أولها: فهم أصل الكلام:

وعنى بذلك رحمه الله تعالى - معرفة فضل كلام الله تعالى ولطفه بخلقه، وإدارة الذهن والتفكير في عظمة كلام الله تعالى وتميزه عن كلام غيره، وهذا من حيث النظر إلى كلام المتكلم - جل وعلا -^(٢)، ومعنى فهم أصل الكلام: (أن يعرف أنه صفة قديمة قائمة بذاته سبحانه، وعلى القارئ أن ينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهام خلقه)^(٣).

ثانيها: التعظيم للمتكلم:

إذ بين أنه لا بد من استحضار القارئ عظمة المتكلم منزل الكتاب - جل وعلا - ويعلم أن ما يقروءه ليس من كلام البشر، وأن في تلاوة كلام رب العالمين غاية الخطر، فلا يصح لتلاوة حروفه كل لسان، ولا لنيل معانيه كل قلب^(٤).

(١) النووي، التبيين في آداب حملة القرآن، ص ٥٩-٦٠.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٧٢/١).

(٣) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ٥٠١/٤.

(٤) المصدر نفسه، (٣٧٢/١).

(على القارئ أن يدرك أنه لا بد له من تعظيم القرآن لأنه من أكبر شعائر الله تعالى في خلقه وأعظم آياته في أرضه الدالة عليه، وللعبد من التعظيم له بقدر تقواه، ولله من فهم الخطاب وتعظيم الكلام على النحو ما أعطي من معرفة المتكلم وهيئته وجلاله، فإذا عظم المتكلم في قلبه وكبر في همه أنعم في تدبر كلامه، وأطال الفكرة في خطابه، وأكثر تكراره وتكريره على نفسه، وأسرع تذكره عند النازلة به والحاجة إليه فاتقى وحذر^(١)).

ثالثها: حضور القلب وترك حديث النفس:

ولا بد في هذا المقام من التجرد للقراءة وانصراف الهممة إلى القرآن. فمن يعظم الكلام الذي يتلوه يستبشر به ولا يغفل عنه، ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلاً له^(٢).

رابعها: التدبر:

وهذا مقصود القراءة، ولذلك سُن فيه الترتيل، لأن الترتيل في الظاهر يمكن من التدبر بالباطن، وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام^(٣)، وقد أشار الغزالي إلى ضرورة تدبر القرآن في غير ما موضع^(٤).

خامسها: التفهم

وهو أن يستوضح القارئ من كل آية ما يليق بها، فإذا كان حديث القرآن عن الصفات، فليأمل القارئ هذه الصفات لتتكشف له الأسرار والمعاني، وإذا ذكر أحوال المكذبين للأنبياء تفكر في أحوالهم وسبب هلاكهم، وهكذا، وهذا يتم بإنعام الفكر وطول النظر^(٥).

(١) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين، ٥٠٢/٤.

(٢) الغزالي، احياء علوم الدين، (٣٧٣/١).

(٣) المصدر نفسه، (٣٧٣/١)، وينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٠/١).

(٤) المصدر نفسه، (٢٢٣/١)، (١٣/٢).

(٥) المصدر نفسه، (٣٧٦/١).

سادسها: التخلي عن موانع الفهم:

بين الإمام الغزالي الأسباب التي تصرف القارئ عن تدبر القرآن، وتحول دون فهمه لمعانيه وهي في أربعة أمور:

(أ) التركيز وانصراف الهمّة إلى تحقيق مخارج الحروف، فيصرف معظم جهده إلى ذلك فينشغل عن المعاني.

ومعنى هذا أن لا يصرف القارئ كل همه بأن يرد كل حرف إلى أصله مع معرفة كيفية الوقف والإحالة والإدغام وأحكام الهمز والترقيق و التفتيح ورياضة الألسن بها فيصرفه ذلك عن فهم معاني القرآن، فكما أنه متعبد بتلاوته أحرف القرآن فكذلك هو متعبد بمعرفة معاني القرآن^(١).

(ب) التعصب المذهبي والجمود على رأي سمعه أو قلده عن غيره، وهذه النقطة هي أحد محاذير التفسير ومواطن الغلط فيه لأنها قد تكون حاجباً بيان وجه الحق الذي قد يكسبون في الآراء المخالفة للمذهب، فالأصل اتباع الدليل لا اتباع الآراء.

(ج) الإصرار على الذنب والمعصية فذلك صارف عن الفهم والتدبر، ولعل هذا ما يسمى بعلم الموهبة^{*} في التفسير، قال السيوطي: (ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان، وليس الأمر كما ظننت من الأشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد، قال الزركشي: اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا تظهر أسرارها وفي قلبه بدعه أو كبر أو هوى أو حب دنياء، أو هو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض، قلت:

(١) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ٤/٥١٢.

* علم يورثه الله تعالى - لمن عمل بما علم، واليه الإشارة بقوله تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله) (البقرة، ٢٨٢)، د. الذهبي، التفسير والمفسرون، (١/٢٦٨).

وفي هذا المعنى قوله تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق^(١)). قال ابن عينية: انزع عنهم فهم القرآن^(٢).

د) عدم الانتقال من التفسير الظاهر إلى التفسير بالرأي، والاعتقاد بأنه ليس بعد التفسير الظاهر تفسير آخر^(٣)، وقد بين الإمام الغزالي هذا الكلام بالتفصيل عند الإشارة إلى أصول التفسير بالرأي وقد جرى بحثه فليراجع هناك.

ومما يلحظ أن هذه الموانع الحائلة دون فهم معاني القرآن بعضها يتعلق بالقراءة وذلك بانصراف الهممة إلى تحقيق الحروف دون فهم المعاني، وبعضها يتعلق بذات القارئ ومسلكه الخلفي وجانبه النفسي، بأن يكون مصراً على الذنب أو مبتدعاً، وبعضها يتعلق بما وقع في ذهن القارئ من آراء إزاء المعاني القرآنية وذلك بالتعصب المذهبي والجمود على رأي سمعه أو قلده عن غيره والاقتصار على التفسير الظاهر والاعتقاد بأنه هو الصواب دون غيره. وهذه بعض الإضاعات الواضحة لمن يقبل على تفسير الآيات القرآنية ودراساتها.

سابعها: التخصيص: وذلك أن يقدر القارئ أنه المقصود بكل خطاب^(٤) في القرآن، وهذا مقلّم الورع والخشية ومزيد من المتابعة والتفاعل مع المعاني القرآنية، وبهذا يستطيع القارئ أن يتصور ما يطرحه القرآن من قضايا متعددة، وأن يرى ذاته من خلال القرآن، فيقف منها على مواقف الخطأ فيصوبه، وعلى مواقف الصواب فيحاول الاستزادة من الخير والعمل النافع.

ثامنها: التأثير: (وذلك بأن يتأثر قلب القارئ بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره، ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه...، واللسان يرتل، والعقل يترجم،

(١) سورة الأعراف، ١٤٦.

(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١٢١٢/٢.

(٣) المصدر نفسه، (٣٧٧/١).

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٧٧/١).

والقلب يتعظ^(١)، والمعنى: أن حظ اللسان من التلاوة ترتيل الحروف ونطقها وإخراجها من مخارجها وحظ العقل ترجمة ما يفهم من هذه الحروف والكلمات، أي يترجم ما نطقه اللسان باظهار المعاني التي فهمها من التلاوة، وحظ القلب الاتعاض، وهذه ثمرة ترتيل اللسان وترجمان العقل في التلاوة.

تاسعها: الترقى: وذلك بأن يترقى القارئ إلى أن يسمع الكلام من الله - عز وجل - لا من نفسه، وذلك أن درجات القراءة ثلاث:

أدناها: أن يقدر العبد كأنه يراه سبحانه في قراءته.

يعني (أن يناجي قارئ القرآن الكريم الله تعالى بكلامه واقفا بين يديه بالإجلال والتعظيم، وهو ناظر إليه بعين رحمة وألطفه، وهذا حال السائل المتضرع المبتسئل، وهذا يكشف عن مقامات القارئ وأحواله في القرب من الله تعالى^(٢)).

الثانية: أن يشهد بقلبه كأن الله يراه ويخاطبه بألطفه فمقام هذا الحياء والتعظيم.

وهذا يعني (إذا كان التالي للقرآن من أصحاب اليمين فينبغي له أن يشهد في التلاوة أن مولاه - جل وعلا - يخاطبه بالكلام، لأنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام نفسه وليس للعبد في كلامه كلام، وإنما جعل له حركة اللسان بوصفه وتيسير الذكر بلسانه لحكمة ربه تعالى حدا للعبد ومكانا له كما كانت الشجرة وجهة لموسى عليه السلام - كلمه ربه منها^(٣)).

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٧٨).

(٢) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ٥٢٣/٤.

(٣) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (٤/٥٢٣).

الثالثة: أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات، فيكون مقصور الهم على المتكلم، موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره، وهذه درجة المقربين^(١).

يعني (أن يشهد أوصاف المتكلم في كلامه ويعرف أخلاقه بمعاني خطابه، ومعنى هذا الانقطاع بالكلية عن ما سواه جل وعلا فلا يرى إلا كلامه ولا يشهد إلا أوصافه في كلامه وهي مرتبة عظيمة ومقام رفيع^(٢))، وهذا مقام الشهود أي أنوار التجلي على القلب من غير أن يتخللها ستر وانقطاع^(٣).

عاشرها: التبري: وذلك بأن يتبرأ القارئ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا، وذلك بأن يستقصر نفسه ويتذلل في حضرة الكلام الإلهي^(٤).

ومعنى ذلك: (أن يظهر القارئ البراءة من حوله وقوته ولا يتحقق التولي لمولاه - جل وعلا - إلا بهذا التبري، فإنه ما دام يثبت لنفسه حولاً أو يضيف إليها قوة أو ينظر إليها بعين استحسان فهو قاصر الدرجة عن مقام محبة الحق، ولا يجتمع الحبان في قلب (حب الله تعالى - وحب الدنيا)^(٥).

ومن خلال ما سبق يمكن وصف مقومات منهج الإمام الغزالي في آداب تلاوة القرآن في ما يلي:

أولاً: اعتماد الغزالي على التحليل وطرح الأفكار الجديدة، والاستشهاد لما يذهب إليه من واقع السنة النبوية وفهم الصحابة - رضوان الله عليهم، هادفاً بذلك إلى بناء جيل قرآني يرقى إلى أن يصل إلى ما أراده القرآن (جيل الخيرية)، والانتهاض بالمستوى الفكري للأمة لتنتقل من القرآن أساساً وقاعدة.

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٨١/١).

(٢) الزبيدي، إتحاف السادة المنقذين بشرح إحياء علوم الدين، (٥٢٣/٤).

(٣) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٧٥.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٨٢/١).

(٥) الزبيدي، إتحاف السادة المنقذين بشرح إحياء علوم الدين، (٥٢٥/٤).

ثانيا: ذكر بعض اللطائف القرآنية وآراء بعض المفسرين لتعزيز رأيه.

ثالثا: بيان بعض الأحكام الشرعية والدقائق الفقهية التي يفيد منها القارئ في أثناء تلاوته.

رابعا: جاء حديثه على وفق ترتيب متسلسل، حيث بدأ بأداب التلاوة الظاهرة ثم أتبعها بأداب التلاوة الباطنة، لان الآداب الظاهرة مقدمات للآداب الباطنة.

خامسا: بيان وسائل القراءة وطرقها وضوابطها وتحديد الفائدة من القراءة، والمقصود الأوفى منها وهو التدبر الذي ينبنى عليه التحليل والموازنة و الاستنباط ثم العمل والتطبيق بعد ذلك.

سادسا: مراعاة الأسس النفسية في القراءة، وبيان مدى تأثير القارئ بما يقرأ، والإشارة إلى الجوانب التربوية التي يمكن للقارئ الالتفات إليها ليكون الارتباط والتعلق بين القارئ والقراءة.

سابعا: مراعاة التكامل بين اللفظ والمعنى، فإلى جانب تحقيق الحروف والنطق بالألفاظ يكون فهم المعنى وبيان ما يحمله اللفظ من بيان، ومراعاة التكامل بين القراءة والقارئ من حيث الاستعدادات الفكرية والطاقات العلمية، فلكل قارئ حال مع القرآن تتناسبه بقدر ما وهبه الله تعالى من فهم.

ثامنا: هذه الآداب ممزوجة بروح التصوف ويظهر فيها الغزالي متأثرا بأحوال العارفين وأقوالهم وسلوكهم.

المبحث الثاني: فضائل القرآن:

القرآن الكريم هو أفضل الكتب السماوية على الإطلاق، وقد وردت أحاديث متعددة في فضائل السور سورة سورة، بيد أن قسما من هذه الأحاديث لم يكن حظها وافرا من الصحة حسبما قرر أهل العلم، قال ابن تيمية: (وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة، مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم)^(١).

ويقول الزركشي: (وقد صح فيه أحاديث باعتبار الجملة، وفي بعض السور بالتعيين، ومن ذكره بالإسناد فاللوم عليهم يقل، بخلاف من ذكره بلا إسناد وجزم به كالزمخشري فإن خطأه أشد)^(٢).

وإذا ما انتقلنا إلى رأي الإمام الغزالي في هذا الشأن، فإننا نلاحظ أنه أورد أحاديث في فضائل سور معينة غير مروية بسندها، دون بيان لدرجتها صحة أو ضعفا، بيد أن هذه الأحاديث أخرجها أرباب مصنفات الصحيح والسنن.

ومن ذلك ما أورده في فضل آية الكرسي وسورة الفاتحة وسورة يس وسورة الإخلاص، إذ أطلق على هذه السور اسم (قوارع القرآن)^(٣). وأرشد رحمه الله تعالى في هذا المقام إلى أن هناك أحاديث كثيرة في فضائل السور يجب أن تطلب من مظانها ومصادرها وهي كتب الحديث، وفي هذا رد الأمور إلى أصولها ومنابعها التي تستقى منها، قال رحمه الله تعالى: (والأخبار الواردة في فضائل قوارع القرآن بتخصيص بعض الآيات والسور بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى*، فاطلبه من كتب الحديث إن أردته)^(٤).

(١) ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، (٣٥٤/١٣).

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٤٣٢/١)، وينظر في هذا الموضوع أيضا الدكتور أنور العطاوي، أضواء على مصطلح الحديث، ص ١٥٢.

(٣) هي الآيات التي يقرأها الإنسان إذا قرع من الجن كأنها تفرع الشياطين، ينظر الرازي، مختار الصحاح، (٢٢٢/١).

* الصواب: أن الأحاديث الصحيحة في ذلك يمكن إحصاؤها أما الأحاديث الموضوعية والضعيفة فهي كثيرة.

(٤) الغزالي، جواهر القرآن، ص ٣٨.

وإذا كان الإمام الغزالي قد أورد الأحاديث الدالة على فضائل سور معينة، فإنه بين سبب تلك الفضائل وكشف عن بعض أسرار السور القرآنية، والتي لا يتنبه إليها إلا من كان دقيق النظر لطيف الفكر.

فعند تفسير سورة الإخلاص، قال الإمام الغزالي: (فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور، وتعرف من الله تعالى إلى خلقه، فتارة يتعرف إليهم بالتقديس، فيقول: (قل هو الله أحد)^(١)، إلى آخر السورة، وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله فيقول: (الملك القدوس السلام المؤمن المهيم العزيز الجبار المتكبر...)^(٢) الآية، وتارة يتعرف إليهم في أفعاله المخوفة والمرجوة، فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه، فيقول: ﴿لم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد﴾^(٣)، ﴿لم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾^(٤)، ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي: الإرشاد إلى معرفة الله وتقديسه، أو معرفة صفاته وأسمائه، أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده.

ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو: التقديس، وازنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاث القرآن، فقال: ((من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن))^(٥)، لأن منتهى التقديس أن يكون واحداً في ثلاثة أمور، لا يكون حاصلًا ممن هو نظيره وشبيهه، ودل عليه قوله: ﴿لم يلد﴾^(٦)، ولا يكون حاصلًا ممن هو نظيره وشبيهه مثله،

* هذا هو توحيد الألوهية.

(١) سورة الإخلاص، ١.

* هذا هو توحيد الأسماء والصفات

(٢) سورة الحشر، ٢٣.

* هذا هو توحيد الربوبية.

(٣) سورة الفجر، (٦، ٧)

(٤) سورة الفيل، ١.

* التوحيد

(٥) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم الحديث

٨١، (١/٥٥٦).

(٦) سورة الإخلاص، ٣.

والدال عليه قوله: «ولم يكن له كفواً أحد»^(١)، ويجمع جميع ذلك قوله تعالى: «قل هو الله أحد»، وجملته تفصيل قول لا إله إلا الله، فهذه أسرار القرآن ولا تنتهي أمثال هذه الأسرار في القرآن الكريم، ولذلك قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: ثوروا القرآن و التمسوا غرائبها، ففيه علم الأولين والأخريين، وهو كما قال، ولا يعرفه إلا من طال في أحاد كلماته، وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنها كلام جبار قاهر ملوك قادر، وأنه خارج عن حد استطاعة البشر.

وأكثر أسرار القرآن موجودة في طي القصص والأخبار، فكن حريصا على استنباطها؛ لينكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر منه العلوم المزخرفة الخارجة عنه^(٢).

واتبع الإمام الغزالي هذا الأسلوب في الشرح والبيان والتوضيح في تفسير آية الكرسي^(٣) وسورة الفاتحة^(٤)، وأوكل البيان للقارئ نفسه ليستوضح المعاني في سورة يس^(٥)، وفق ما نبه إليه في ما سبق.

ففي فضائل آية الكرسي قال الإمام الغزالي: (أقول هل لك أن تتفكر في آية الكرسي أنها لم تسمى سيدة الآيات، وقد ذكرنا لك أن معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته هي المقصد الأقصى من علوم القرآن، فهي سيدة الاسم المقدم الذي يتوجه إليه، يريد احتواءها على اسم الله الأعظم الحي القيوم، وآية الكرسي تشتمل على ذكر الذات والصفات والأفعال ليس فيها غيرها، فقوله (الله) إشارة إلى الذات^(٦)، وقوله (لا إله إلا هو) إشارة إلى توحيد الذات^(٧)، وقوله (الحي القيوم) إشارة إلى الصفات فإن معنى القيوم هو الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره، فلا يتعلق قوامه بشيء ويتعلق به قوام كل شيء وذلك غاية الجلال والعظمة^(٨)، وقوله (لا

(١) سورة الإخلاص، ٤.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٥/٢٣٩-٢٤٠)، وينظر جواهر القرآن، ص ٤٧.

(٣) ينظر الغزالي، جواهر القرآن، ص ٤٥-٤٧.

(٤) ينظر المصدر نفسه، ص ٣٨-٤٣.

(٥) ينظر المصدر نفسه، ص ٤٨.

(٦) يعني أنه سبحانه لا يشبهه في ذاته أحد.

(٧) أي توحيد الألوهية.

يتعلق قوامه بشيء ويتعلق به قوام كل شيء وذلك غاية الجلال والعظمة^(١)، وقوله (لا تأخذ سنة ولا نوم) تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث^(٢)، وقوله (له ما في السموات وما في الأرض) إشارة إلى الأفعال كلها وأن جميعها منه مصدره وإليه مرجعها^(٣).

وقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) إشارة إلى انفراده بالملك والحكم والأمر وبأن من يملك الشفاعة فإنما يملك بتشريفه إياه والإذن فيه وهذا نفي للشركة عنه في الملك والأمر^(٤).

وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) إشارة إلى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات والانفراد بالعلم حتى لا علم لغيره من ذاته وإن كان لغيره علم فهو من عطائه وهيبته^(٥).

وقوله (وسع كرسيه السموات والأرض) إشارة إلى عظمة ملكه وكمال قدرته وقوله (ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) إشارة إلى صفات القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضعف والنقصان^(٦).

(١) أي القائم لذاته المقيم لغيره، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٢٤٨/١).

(٢) قال الزركشي: تقديم السنة على النوم لأن العادة في البشر أن تأخذ العبد السنة قبل النوم فجاءت العبارة على حسب هذه العادة، ووجه آخر أنها وردت في معرض التمدح والتثناء وافتقاد السنة أبلغ في التنزيه فبدئ بالأفضل لأنه إذا استحالت عليه السنة فأحرى أن يستحيل عليه النوم، البرهان في علوم القرآن، ٢٤٠/٣.

(٣) هذا تقرير لقبومته تعالى، واحتجاج به على تفرد في الألوهية، والمراد بما فيهما ما هو أعم من أجزائهما الداخلة فيهما ومن الأمور الخارجة عنهما المتمكنة فيها من العقلاء وغيرهم، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٢٤٨/١.

(٤) هذا بيان لكبرياء شأنه وأنه لا يدانيه أحد ليقدر على تغيير ما يريد شفاعاة وضراعة، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٢٤٨/١).

(٥) هذا دليل على تفرد تعالى بالعلم الذاتي العام الدال على وحدانيته، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٢٤٨/١).

(٦) وإنما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما أن حفظهما مستتبع لحفظه، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٢٤٨/١).

والآن إذا تأملت جملة هذه المعاني ثم تلوت جميع آيات القرآن لم تجد جملة هذه المعاني من التوحيد والتقديس وشرح الصفات العلى مجموعة في آية واحدة منها^(١).

يلاحظ من خلال هذا المثال أن سر تفضيل آية الكرسي على غيرها من الآيات في أنها جمعت معاني عجيبة لم تجتمع في غيرها لما حوته من الموضوعات في توحيد الألوهية وتوحيد الصفات وتوحيد الربوبية وهي مجتمعة كلها فيها.

بيد أن حجة الإسلام أشار إلى قضية مهمة في هذا الصدد اختلف فيها أهل العلم، وهي قضية التفاضل في آيات القرآن وسوره.

قال - رحمه الله تعالى - في هذه المسألة: (اعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات*، وبين سورة الإخلاص وسورة تبت، وترتاع* من اعتقاد الفرق نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد، فقلد صاحب الرسالة - صلوات الله وسلامه عليه، فهو الذي أنزل عليه القرآن، وقد دلت الأخبار على شرف بعض الآيات، وعلى تضعيف الأجر في بعض السور المنزلة)^(٢).

وهنا يشير إلى أن الأفضلية في المعاني والموضوعات، وأشار أيضا إلى عموم الأحاديث الدالة على هذا، ليبين المستند الشرعي لهذا المعنى، قال رحمه الله تعالى: (لعلك تقول: لم خصصت آية الكرسي بأنها السيدة، والفاحة بأنها الأفضل؟ أفيه سر أم هو بحكم الاتفاق كما يسبق للسان في الثناء على شخص إلى لفظ، وفي الثناء على مثله إلى لفظ آخر؟ فأقول: هيهات هيهات، فإن ذلك يليق بي و بك وبمن ينطق عن الهوى، لا بمن ينطق عن وحي يوحى، فلا تظن أن كلمة واحدة تصدر عنه - صلى الله عليه وسلم - في أحواله المختلفة من الغضب و الرضا إلا بالحق والصدق، والسرف في هذا التخصيص: أن الجامع بين

(١) الغزالي، جواهر القرآن ودرره، ص ٤٥-٤٦.

* آية المداينات هي قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نذائتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾ الآية، سورة البقرة، ٢٨٢.

* تخاف وتتردد.

(٢) الغزالي، جواهر القرآن، ص ٣٧-٣٨.

فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمى فاضلا، فالذي يجمع أنواعا أكثر يسمى أفضل، فإن الفضل: هو الزيادة، والأفضل: هو الأزيد، وأما السؤدد: فهو عبارة عن رسوخ معنى الشوف الذي يقتضي الاستتباع وبأبى التبعية، وإذا راجعت المعاني التي ذكرناها في السورتين، علمت أن الفاتحة تتضمن التنبيه على معانٍ كثيرة ومختلفة فكانت أفضل، وآية الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى التي هي المتبوعة والمقصودة التي يتبعها سائر المعارف، فكان اسم السيدة بها أليق، فتنبه لهذا النمط من التصرف في قوارع القرآن وما يتلى عليك لينفرز علمك، وينفتح فكري فترى العجائب والآيات، وتشرح في جنة المعارف التي لا نهاية لأطرافها، إذ معرفة جلال الله وأفعاله لا نهاية لها^(١).

وبهذا فإن معنى المفاضلة عند الإمام الغزالي إنما هو راجع إلى المعاني والموضوعات التي تطرحها السور القرآنية.

فالكل فاضل في أعلى درجات البيان والفصاحة إذ الكل من عند الله تعالى، وهو كلامه عز وجل، وليس معنى كلام الغزالي أن ثمة مفضولا يقتضي نزوله عن رتبة البيان وعلوه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمقصود أن نبين أن مثل هذا - فضائل القرآن - هو العلم المستقر في نفوس الأمة السابقين والتابعين، ولم يعرف قط من السلف من رد مثل هذا، ولا قال: لا يكون كلام الله بعضه أشرف من بعض فإنه كله من صفات الله ونحو ذلك...) (٢). وقد أيد شيخ الإسلام ابن تيمية كلام حجة الإسلام الغزالي في هذا الصدد، ونقل كلامه بتمامه دون تعليق يذكر^(٣)، وأشار رحمه الله إلى الخلاف في هذه المسألة^(٤).

(١) الغزالي، جواهر القرآن، ص ٤٨-٤٩.

(٢) ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، (٤٦/١٧).

(٣) المصدر نفسه، (٤٩/١٧).

(٤) المصدر نفسه، (٥٧-٥١/١٧) قال السيوطي: (اختلفت الناس هل في القرآن شيء أفضل من شيء، فذهب الإمام أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر اللافلاني وابن حبان إلى المنع، لأن الجميع كلام الله تعالى ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه، وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث منهم: إسحق بن راهوية، وأبو بكر بن العربي والغزالي، وقال القرطبي، إنه الحق ونقله عن جماعة من علماء المتكلمين)، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، (١١٣١/٢).

المبحث الثالث: إعجاز القرآن الكريم:

تناول حجة الإسلام موضوع إعجاز القرآن الكريم في كتابه، وجاء حديثه عن هذا الموضوع فيما يأتي:

أولاً: إثبات إعجاز القرآن على طريقة المتكلمين:

يعد الغزالي من كبار أئمة الأشاعرة وأعيانهم، وقد سار في إثبات هذا الموضوع على طريقتهم في الحجاج والمناقشة، ويقول الأستاذ الدكتور فضل عباس: (و علماء الكلام الأقدمون يجمعون إلى مهارتهم الكلامية مهارتهم البيانية والأدبية، وهذا دأبهم ودينتهم منذ وقت مبكر سواء أكانوا من أهل السنة أم من المعتزلة، ... فهؤلاء لهم القدم الراسخة واليد الطولى في قضايا الأدب والبيان، بل نجد أن هذه قد ترتبط عضويًا بالنظرية الكلامية عند كثير من هؤلاء العلماء)^(١).

وسلك الإمام الغزالي في إثبات الإعجاز القرآني عدة أمور أهمها:

- أ. اشتراط التواتر في حفظ القرآن، وذلك ليحصل العلم به، لأن الحكم بما لا يعلم جهل، وكون الشيء كلام الله تعالى أمر حقيقي ليس بوضعي حتى يتعلق بظننا^(٢).
- ب. قضية التحدي بالقرآن: اشترط رحمه الله في كون القرآن معجزة وجود عنصر التحدي على وجه يعجز الخلق عن معارضته، وبين أن هذا شرط لا بد منه في إثبات صدق المعجزة^(٣).
- ج. بيان وجه إعجاز القرآن: وهنا جزم رحمه الله تعالى في أن القرآن معجز بفصاحته وجزالة ألفاظه، مع النظم العجيب والسنهاج الخارج عن مناهج كلام العرب في خطبهم

(١) أ.د فضل عباس، دراسة إعجاز القرآن للباقلاني (تحليل ونقد)، ص ١٦٠، ضمن مجلة دراسات، المجلد السادس عشر، ١٩٨٩م، الجامعة الأردنية.

(٢) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (١/١٩٣-١٩٤).

(٣) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص ١٢٩.

وأشعارهم وسائر صنوف كلامهم، وبين أن الجمع بين هذا النظم وهذه الجزالة معجز خارج عن مقدور البشر^(١).

د. من حيث المعارضة: وهنا جاء حديثه حول هذه القضية مقتضياً، إذ أشار إلى بعض المحاولات التي قام بها العرب قصداً لمعارضة القرآن والإنجيل بمثل نظمهما، وذكر أن هذه المحاولات كانت يائسة إذ فيها من الركاكة والسقوط ما يثبني لصاحب الذوق السليم، وبين أن العرب لم ينقل عن واحد منهم من وجه الطعن إلى القرآن من جهة نظمه وفصاحته^(٢).

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن الإمام الخطابي كان أكثر علماء الإعجاز بحثاً وتفصيلاً في هذه القضية، ولعل الغزالي تأثر بما ذهب إليه الخطابي في المعارضة حيث أورد ما نقله الخطابي في هذه المسألة^(٣).

هـ. ومما عرض له الإمام الغزالي أيضاً في هذا الصدد بيان حقيقة المعجزة و شروطها، والفرق بين المعجزة والكرامة والسحر، إذ أوضح هذه المفاهيم بما استقر عليه الرأي عند العلماء^(٤).

وإذا كان الإمام الغزالي أطنب في بيان الإعجاز القرآني من وجهة أهل الكلام وعلمائه، إلا أن من ينتبع آثاره وأقواله في هذا الموضوع ليجد عنايته رحمه الله تعالى بالجانب البياني في هذا المقام، وهذه الطريقة في إثبات إعجاز القرآن وبيانه تروق لكثير من الباحثين بخلاف الطريقة الأولى التي نهجها الإمام كناحية نظرية لبحث موضوع الإعجاز.

وقد وردت عند الإمام الغزالي إشارات رائعة حول الإعجاز البياني كشفت عن تذوق أدبي وفهم دقيق لأسرار القرآن الكريم، ومما عرض له في هذا الجانب: قضية التكرار

(١) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٢٩، وينظر إحياء علوم الدين، (٣/١٠٨-١٠٩).

(٢) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص ١٣٠.

(٣) ينظر الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٥٥-٧٠.

(٤) ينظر الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص ١٢٣-١٢٥، إجماع العوام عن علم الكلام، ص ١٠٧-١١٠.

القرآني، قضية الترادف، واختيار الكلمة القرآنية في موضعها المناسب لها، وهي قضايا أظهر ما تكون في فروع الإعجاز البياني.

أولاً: قضية التكرار في القرآن:

بين الإمام الغزالي أن القرآن يخلو من ظاهرة التكرار الذي يخلو من الفائدة، وبهذا فإنه ينحو منحى الخطابي الذي عرف التكرار المذموم بأنه: (ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه في الكلام الأول، لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول ولغواً وليس في القرآن شيء من هذا النوع)^(١).

قال الإمام الغزالي في تفسير قوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم﴾^(١)، (إشارة إلى الصفة مرة أخرى، ولا تظن أنه مكرر، فلا تكرر في القرآن، إذ حد المكرر ما لا ينطوي على مزيد فائدة، وذكر الرحمة بعد العالمين وقبل ذكر ملك يوم الدين ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة، إحداهما: تلنقت إلى خلق رب العالمين، فإنه خلق كل واحد منهم على أكمل أنواعه وأفضلها وأتاه كل ما يحتاج إليه، والمقصود أنه لا مكرر في القرآن، فإن رأيت شيئاً مكرراً من حيث الظاهر فانظر في سوابقه ولو أحقه لينكشف لك مزيد الفائدة في إعادته)^(٢).

ففي هذا المقام يلحظ أن الغزالي نفى وجود التكرار الذي لا ينطوي على فائدة في كتب الله تعالى، وأرشد القارئ إلى ضرورة التبصر في الآية وفهم السياق ومعرفة ما قبل الآية وما بعدها، فإن ذلك مما يعين على معرفة الفوائد والنكات في الآية.

(١) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص ٥٢.

(٢) سورة الفاتحة، ٣.

(٣) الغزالي، جواهر القرآن، ص ٣٩-٤٢، وينظر أيضاً منهاج العابدين، ص ٧٤-٧٥.

ثانياً: قضية الترادف:

الترادف: (هو الاتحاد في المفهوم، أو توالي الألفاظ الدالة على مسمى واحد)^(١)، وقد علل الأستاذ الدكتور فضل عباس وجود ظاهرة الترادف، فبين أن سببها (كتب التفسير والمعاجم اللغوية، حيث التقت هذه الكتب على أن تعطي المعاني القريبة الكامة القرآنية فتشتبه المعاني وتختلط بعضها ببعض)^(٢).

ومما يجدر ذكره هنا أن كثيراً من العلماء وقف موقف الراض لظاهرة الترادف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر أو معدوم، وقل أن يعبر عن لفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب المعنى، وهذا من أسباب إعجاز القرآن)^(٣).

وقد فرق حجة الإسلام بين بعض الكلمات القرآنية ولم يقل بالترادف بينها، ومما جاء في ذلك: التفريق بين الحمد والشكر، قال رحمه الله تعالى: (فاعلم أن العلماء فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل بأن الحمد من أشكال التسبيح والتهليل، فيكون من المساعي الظاهرة، والشكر من أشكال الصبر والتقويض، فيكون من المساعي الباطنة، لأن الشكر يقابل الكفر، والحمد يقابل اللوم، ولأن الحمد أعم وأكثر، والشكر أقل وأخص، قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِي الشَّاكِرُونَ﴾^(٤)، فثبت أنهما معنيان متميزان)^(٥).

ومن المعاني التي تطرق إليها رحمه الله تعالى كلمتا الخوف والخشية، إذ فرق بينهما وبين أن لا ترادف بين اللفظين، قال حجة الإسلام: (الخوف: رعدة تحدث في القلب من ظن مكروه يناله، والخشية نحوه، لكن الخشية تقتضي ضرباً من الاستعظام والمهابة)^(٦)، وعلى

(١) ينظر الجرجاني، التعريفات، ص ٧٧. المناوي، التوقيفات على مهمات التعاريف، ص ١٦٩.

(٢) أ.د فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص ١٧٤.

(٣) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص ١٧.

(٤) سورة سبأ، ١٣.

(٥) الغزالي، منهاج العابدين، ص ٢٢٥-٢٢٦، وينظر في هذا المعنى الزمخشري الكشاف، (١/٥٢).

(٦) الغزالي، منهاج العابدين، ص ١٦٩.

هذا فإن حجة الإسلام يشير إلى أن الخشية أبلغ من الخوف من جهة أن الخشية خوف يشوبه تعظيم، فمن هذه الجهة جاء التفريق بين اللفظين، وقد جاء في كتاب "إعجاز القرآن الكريم": (أن الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قويا والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف يسيرا)^(١).

وبهذا يتضح أن الإمام الغزالي نحى منحاً بلاغياً في الكشف عن دقائق المعاني في الألفاظ القرآنية ورفض ظاهرة الترادف، وهذا يعطي صورة واضحة أو تصوراً علمياً حول حركة الإعجاز البياني للقرآن عبر العصر الذي عاشه الإمام الغزالي.

ثالثاً: اختيار الكلمة (اللفظة) المناسبة في القرآن:

إن كل كلمة في القرآن الكريم جاءت في مكانها المناسب لها، قال الباقلاني: (وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير، وهي غرة جميعه وواسطة عقده والمنادي على نفسه بتميزه وتخصسه برونقه، وجماله واعتراضه في جنسه ومائه)^(٢).

وتنبه الإمام الغزالي إلى هذه الحقيقة وأكدها، قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾^(٣)، الآية، : (ولم يقل: ﴿والفائقين الغيظ﴾، وهذا لأن العادة لا تنتهي أن يجرح الإنسان فلا يتألم، بل ينتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل، وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن، فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب، ولا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه)^(٤). وهنا بين رحمه الله تعالى سر مجيء كلمة الكاظمين إذ فيها من الأسرار البيانية ما لا يوجد في غيرها كالفاقدين ونحوها.

(١) الأستاذ الدكتور فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص ١٧٥، نقلاً عن السيوطي في معترك الأقران، (٦٠٢/٣).

(٢) الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٣٥، وينظر الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص ٢٩.

(٣) سورة آل عمران، ١٣٤.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٧٧/٢)، (١٨٢/٣).

وفي تفسير قوله تعالى: (فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون)^(١)، قال: (لم يقل: "إني بريء منكم"، مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب)^(٢)، وهذا سر بياني آخر نبه إليه بثاقب فكره وطول نظره في الآية القرآنية.

وبهذا ندرك أن الإمام الغزالي قد بحث موضوع الإعجاز القرآني من ناحيتين: الناحية النظرية حيث درس الموضوع من جهة علم الكلام وبين أصوله النظرية، ومن ناحية تطبيقية بيانية، أظهر من خلالها روعة النظم القرآني ودلالته.

(١) سورة الشعراء، ٢١٦.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٤/٢٠٠)، وللمزيد ينظر المصدر نفسه (٤/٢٨٩، ٣٠٤، ٣٦٠).

المبحث الرابع: موهم التعارض والاختلاف:

أنزل الله تعالى القرآن مفصلاً لا يعترى آياته الخلل ولا يعتورها التناقض، فأحكامه متألّفة متآخية، ومعانيه مترابطة يأخذ بعضها بحجز بعضها الآخر، وهذا من باب إعجازه وبيانه.

إلا أن بعض الآيات قد تتراءى للقارئ من حيث الظاهر أنها متعارضة فيما بينها، نظراً لقصور فهمه عن إدراك أسرارها و الربط بين معانيها، وهنا لا بد من إعادة النظر في حقيقة هذا الفهم والخلط الناشئ إزاء هذا الحكم الظاهر غير المنسجم مع طبيعة الآيات القرآنية ومعانيها، وهذا يقتضي بالضرورة أن يحتكم إلى الأدلة الشرعية لإزالة هذا الوهم الحاصل في التصور، وإعادة النظر في التأويل الذي دار في ذهن تجاه هذه الآيات.

وقد بحث العلماء قديماً وحديثاً هذا الموضوع، وصنف بعضهم فيه نظراً لخطورته، ولحاجة الناس إلى كشف النقاب عن ملابساته وما يحصل من إشكالات فيه^(١)، وقد عني سلف الأمة بحل بعض الإشكالات التي وردت في أذهان بعض الناس، إذ فهموا من ظاهرها أنها متخالفة باعتبار ذاتها، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما - روايات أجاب فيها عن ما استشكله بعض السائلين حول آيات معينة من القرآن^(٢).

وإذا ما انتقلنا إلى رأي الإمام الغزالي في هذا الموضوع، فإننا نجد أنه كان على عناية بهذا الجانب وجاء بما هو جديد ومفيد إزاء هذه القضية، وصحح بعض المفاهيم المغلوطة حول هذا الجانب، قال الإمام الغزالي وقد سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(٣)، (الاختلاف لفظ مشترك بين معان، وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه، بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن، يقال: هذا كلام مختلف، أي لا يشبهه أوله آخره في الفصاحة إذ هو مختلف، أي بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا، أو

(١) ينظر القنوجي، أبجد العلوم، ٥١١/٢، وهناك كتب كثيرة في الشأن منها: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، باب التناقض والاختلاف، كشف الظنون لحاجي خليفة، في علم مشكل القرآن، (١٦٩٥/٢)، ينظر د. يوسف مرعشلي، تحقيق البرهان في علوم القرآن للزرکشي ١٧٦/٢.

(٢) ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٧٢٤-٧٢٥).

(٣) سورة النساء، ٨٢.

مختلف النظم، فبعضه على وزن الشعر، وبعضه منزحف^{*}، وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة، وبعضه على أسلوب يخالفه، وكلام الله تعالى منزّه عن هذه الاختلافات، فإنه على منهاج واحد في النظم مناسب أوله آخره، وعلى مرتبة واحدة في غاية الفصاحة، ومسوق لمعنى واحد وهو: دعوة الخلق إلى الله تعالى، وصرفهم عن الدنيا إلى الدين، وكلام الأدميين ينطرق إليه هذه الاختلافات، إذ كلام الشعراء والمرسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف في مناهج النظم، ثم اختلاف في درجات الفصاحة، بل في أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين^(١)، فلا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان، بل تشمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة، وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة، لأن الشعراء والفصحاء في كل واحد يهيمون، فتارة بمدحون الدنيا وتارة يذمونها، وتارة بمدحون الجبن فيسمونه حزنا، وتارة يذمونهم فيسمونه تهورا، ولا ينفك كلام آدمي عن هذه الاختلافات؛ لأن منشأ هذه الاختلافات اختلاف الأغراض واختلاف الأحوال، والإنسان تختلف أحواله فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه، ويتعذر عليه عند الانقباض، ولذلك تختلف أغراضه فيميل إلى شيء مرة، ويميل عنه أخرى، فيوجب اختلاف الأحوال والأغراض اختلافا في كلامه بالضرورة، فلا تصادف اللسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة وهي مدة نزول القرآن - فيتكلم على غرض واحد وعلى منهج واحد، ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشرا تختلف أحواله، فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجد فيه اختلاف كثير، فأما اختلاف الناس فهو تباين في آرائهم لا في نفس القرآن، وكيف يكون هذا المراد وقد قال الله تعالى: ﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا...﴾^(٢) الآية، فقد ذكر في القرآن أنه في نفسه غير

* يعني في نظمه خلل لا على الوزن الصحيح، أو قد يكون نثرا مرسلا أو سجعاً مقفى وليس شعرا.

(١) هذه مقارنة بين نظم القرآن ونظم الشعر، فالشعر فيه الفن من المعاني والسمين والقران من أوله إلى آخره يحتوي على رفع المعاني وأعلامها فلا اختلاف فيه.

(٢) سورة البقرة، ٢٦.

• هذه الآية لا تشير إلى أن القرآن سبب لاختلاف البشر فقوله تعالى (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) هذا عائد على المثل الذي ضربه الله تعالى للناس، (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها)، قال ابن كثير: (يضل به كثيرا يعني به المنافقين ويهدي به المؤمنين فيزيد هؤلاء ضلاله إلى ضلالتهم لتكذيبهم بما قد علموه حقا يقينا من المثل الذي ضربه الله تعالى بما ضرب لهم وأنه لما ضرب له مواقف فذلك إضلال الله لهم إياهم ويهدي به يعني المثل كثيرا من أهل الإيمان والتصديق فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيمانا إلى إيمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا أنه موافق لما ضربه الله تعالى له مثلا وإقرارهم به، وذلك هداية من الله تعالى لهم به (تفسير القرآن العظيم، ١/١٩٩).

مختلف، وهو مع هذا سبب لاختلاف الخلق في الضلال والهدى، فلو لم يخلف فيه لكانت أمثال هذه الآية خلفا، وهي أشد أنواع الاختلاف* والله أعلم^(١).

وما ذكره الإمام الغزالي منسجم مع واقع الآيات وطبيعتها، قال الإمام الألويسي: (وفي رواية ابن عباس: أن المراد لوجودها فيه تناقضا كثيرا، وذلك لأن كلام البشر إذا طال لم يخل بحكم العادة من التناقض وما يظن من الاختلاف، كما في كثير من الآيات)^(٢).

وليس معنى هذا وقوع الاختلاف في القرآن الكريم، بل المعنى أن هناك اختلاف في الموضوعات القرآنية وإطالة في بعضها وإيجاز في بعضها الآخر، وكون الإعجاز في بعض الآيات أظهر منه في بعضها الآخر مع أن الكل في أعلى طبقات الإعجاز.

وعلى هذا فإن الإمام الغزالي من خلال كلمته الأنفة الذكر عد خلو القرآن من التعارض دليلا على إعجازه وبيانه، وفي هذا يقول القرطبي: (من وجوه الإعجاز الترانى: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف)^(٣).

ومراد القرطبي في كلمة الظاهر التفسير الظاهر للألفاظ القرآنية والباطن استنباط المعاني والأحكام والاستدلالات الفقهية واللغوية وما إلى لك، وهذا المعنى مشار إليه عند من بين معنى الظاهر والباطن*.

هذا وإذا كان الإمام الغزالي قد طرح القضية من ناحية نظرية، وقعد لها بإيجاز بما يدعو إلى رسوخها في الأفهام واستقرارها في الأذهان، فإنه وردت في طيات كتابه "الإحياء" وقفات وتأملات لبعض الآيات، أسهم من خلالها في إزالة الإشكالات السواردة على أفهام

* وليس معنى هذا على ما ذهب الإمام الغزالي أن القرآن سبب لاختلاف الخلق وان هذه الآية (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) أشد أنواع الاختلاف، فالمعنى الوارد في الآية واضح وليس هذا مدعاة للاختلاف، وأن اختلاف الخلق في الضلال واليهوى راجع إلى عتو بعضهم عن اتباع الحق وإقبال بعضهم عليه فكيف يكون القرآن سببا للاختلاف في هذا.

(١) ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن (١٧٧/٢-١٧٨)، ولم أعثر على هذا القول للغزالي في ما وقع بين يدي من مؤلفاته، ولعل ذلك من كتبه المفقودة.

(٢) الألويسي، روح المعاني، (٩٢/٥).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٧٥/١).

المتساثلين إزاءها، فأبان عن الترابط الشديد بينها، وأظهر مقدرة فائقة في التحليل والاستنتاج البارع وعمق النظر.

ف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾^(١)، الآية، قال الغزالي: (فظاهر تفسيره واضح، وحقيقة معناه غامض، فإنه إثبات للرسي ونفي له، وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه، ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله - عز وجل-) (٢).

وهذا تفسير دقيق من الإمام، ولكنه سلك فيه مسلك الإيجاز، وقرر من خلاله أن من يقتصر على النظر إلى ظاهر الآية سيبدو له اختلاف في المعنى وتباين، ولكن من ينعم النظر سيدرك دقة التعبير القرآني وسراً من أسرار إعجازه.

يقول ابن جني في الخصائص: (فظاهر هذا تناف بين الحالتين، لأنه أثبت في أحد القولين ما نفاه قبله، وهو قوله: ﴿وما رميت إذ رميت﴾ ووجه الجمع بينهما أنه لما كان الله أقدره على الرمي ومكنه منه وسدده له و أمره به، فأطاعه في فعله نسب الرمي إلى الله، وإن كان مكتسباً للنبي صلى الله عليه وسلم مشاهدأ منه) (٣).

وقال أبو السعود: (قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت﴾، تحقيقاً لكون الرمي الظاهر على يده حينئذ من أفعاله عز وجل، وتجريد الفعل عن المفعول به، لما أن المقصود الأصلي بيان حال الرمي نفيًا وإثباتًا، إذ هو الذي ظهر منه ما ظهر، وهو المنشأ لتغيير المرمي به في نفسه وتكثره إلى حيث أصاب عيني كل واحد من أولئك الأمة الجمة شيء من ذلك، أي: وما فعلت أنت يا محمد تلك الرمية المستتعبة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة، وإلا لكان أثرها من جنس آثار الأفاعيل البشرية ولكن الله فعلها، أي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق أفعال العباد، بل على وجه غير معتاد، ولذلك أثرت هذا التأثير

* ينظر في معنى الباطن والظاهر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١/١٢٢٠).

(١) سورة الأنفال، ١٧.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٨٨).

(٣) ابن جني، الخصائص، (١/٢٠٤).

الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر، فمدار إثباتها لله تعالى ونفيها عنه كون أثرها من أفعاله^(١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾^(٢)، قال الإمام الغزالي: (فإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب؟ وإن كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال؟ حقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير، وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة، ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل - حتى ينكشف بعد إيضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل: ﴿وما رميت إذ رميت﴾ الآية^(٣)).

قال الزمخشري: (الفاء جواب شرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم (ولكن الله قتلهم) لأنه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع^(١)).

فالقدرة الإلهية والعناية الربانية اكتنفت المقاتلين الآخذين بأسباب النصر الظاهرية من الثبات والقتال وأسباب النصر الباطنة وهي التوكل المطلق على الله تعالى واعتقاد النصر من عنده جل وعلا.

وهنا يلفت الإمام الغزالي النظر إلى أنه يمكن إزالة موهم التعارض من حيث الظاهر، بيد أن هناك معاني عميقة ودلالات كبيرة لا تتأتى إلا من خلال الاستغراق في الاستنباط والتعمق في الفهم، فعند ذلك يتجلى المعاني الرائعة والأسرار العظيمة.

ولدى الاطلاع والتتبع لم أجد الإمام الغزالي تناول التعارض الظاهري بين آيات الأحكام، غير أنه عرض لهذا الجانب من ناحية أصولية فيبين أسباب التعارض وطرق الترجيح، وكان ذلك بحثاً أصولياً نظرياً مطولاً^(٢).

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١٣/٤).

(٢) سورة التوبة، ١٤.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٨٨/١)، وللمزيد أيضا ينظر المصدر نفسه، (٢٣٨/٥).

وبهذا يلحظ أن الإمام الغزالي كان على اطلاع وإدراك واسع لهذا الموضوع، نظراً للاختلاف فيه، ولأهميته وخطورته، ويمكن إجمال موقف الغزالي إزاء هذا الموضوع فيما يلي:

أولاً: بيان منشأ الخطأ عند بعض الناس في فهم الآيات وأن هذا راجع إلى قصور الأفهام.

ثانياً: بيان مباينة كلام الله تعالى كلام البشر.

ثالثاً: عد خلو القرآن من التناقض إعجازاً ودلالة على أنه من عند الله تعالى.

رابعاً: تفسيره بعض الآيات التي تبدو من حيث الظاهر متعارضة، إذ كشف عن موقع الخطأ

في فهمها من قبل بعض الناس، وقد سلك في ذلك مسلك الإشارة والاختصار.

(١) الزمخشري، الكشاف، (١٩٧/٢).

(٢) ينظر الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (٤٧٦/٢-٤٨٣).

المبحث الخامس: النسخ

يعد موضوع النسخ من الموضوعات الأصولية المهمة التي عني بها علماء الأصول عناية فائقة، وهو أحد الموضوعات التي لها صلة بعلوم القرآن، وقد بحث فيه الإمام الغزالي على أنه موضوع أصولي في كتابه المستصفى من علم أصول الفقه، ولم يأت بجديد في هذا المجال، وذلك بالنظر إلى ما عرض له العلماء والباحثون في كتب المتقدمين، ولهذا أرى أن أختصر الكتابة فيه لاستكمال جوانب الموضوع.

ومما عرض له في هذا الموضوع ما يلي:

أولاً: تعريف النسخ:

إذ عرف النسخ بأنه : (بأنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً فيه مع تراخيه عنه) ^(١).

ثانياً: بيان شروطه وهي أربعة:

أ. أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً لا عقلياً أصلياً كالبراءة الأصلية التي ارتفعت بإجباب العبادات.

ب. أن يكون النسخ بخطاب، فارتفاع الحكم بموت المكلف ليس نسخاً، إذ ليس المزيل خطاباً رافعاً لحكم خطاب سابق.

ج. أن لا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيداً بوقت يقتضي دخوله زوال الحكم، كقوله تعالى: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ ^(٢)، الآية،

د. أن يكون الخطاب الناسخ مترخياً، لا كقوله تعالى: ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ ^(٣) الآية. وقوله تعالى: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ ^(٤).

(١) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (٢٠٧/١).

(٢) سورة البقرة، (١٨٧).

(٣) سورة البقرة، ٢٢٢.

(٤) سورة التوبة، ٢٩.

(٥) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (٢٣٢/١).

ثالثاً: ذكر طرق معرفة الناسخ أو ما يعرف به تاريخ النسخ عند عدم وجود النص النبوي في المسألة، وهي طرق معروفة مشتهرة عند العلماء^(١).

رابعاً: بيان أنواع النسخ:-

وهي نسخ الحكم مع بقاء التلاوة، ونسخ التلاوة مع بقاء الحكم، ونسخ الحكم والتلاوة معاً، وقد وافق من سبقه من العلماء في بيانها، واستدل على وقوع نسخ التلاوة وبقاء الحكم بقوله: فقد تظاهرت الأخبار بنسخ تلاوة آية الرجم مع بقاء حكمها، وهي قوله تعالى: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) واشتهر عن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت (أنزلت عشر رضعات محرّمات فنسخن بخمس وليس ذلك في الكتاب^(٢))^(٣).

(والقول بأن الشيخ والشيخة) آية ليس فيه رؤية صحيحة يستند إليها ويعتمد عليها، هذا من حيث السند، ومن حيث المعنى فألفاظ القرآن الكريم ألفاظ مختارة منتقاة، ومعانيه صحيحة محكمة، (والشيخ والشيخة) ليست في هذا ولا ذاك.

فحينما تحدث القرآن الكريم عن حكم السرقة قال: (والسارق والسارقة)^(٤)، وحينما تحدث عن حكم الزنا قال: (الزانية والزاني)^(٥)، فبدأ بالرجال في أمر السرقة والنساء في أمر الزنا وفي الشيخ والشيخة غير هذا.

(١) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (١/٢٤٤-٢٤٥).

(٢) الإمام مالك، الموطأ، باب الرضاع، رقم ١٨، ص ٥٣٤.

(٣) الغزالي: المستصفي، (١/٢٣٦).

(٤) المائدة: ٣٨

(٥) سورة النور: ٣.

إن القرآن الكريم لم تستعمل فيه كلمة الشبيخة البتة، والمستعمل فيه كلمة عجوز قال تعالى: (ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً) ^(١).

إن القرآن الكريم وهو كتاب الدقة والأحكام لم تستعمل فيه كلمة (إدا) في الأمور النادرة الوجود بل تستعمل كلمة إن ألا ترى قوله تعالى: (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) ^(٢).

فقد ذكر إذا مع الأمن وهذا ما يجب أن يكون عليه المؤمنون، وذكر إن مع الخوف وهذا لا ينبغي لهم، فذكر إذا في قضية يكثر وقوعها وذكر إن في أمر نادر، هذا كله من حيث اختيار الألفاظ.

أما من حيث صحة المعنى، فالأمر لا يتصل بالسن والكبير والصغير وإنما الإحصان أو عدمه وهذا هو التعبير القرآني (والمحصنات من النساء) ^(٣)، فالقرآن الكريم لم يجعل لكبير السن وصغره دخلاً في هذا الأمر، بل السنة المطهرة كذلك، ومما تقدم نوقن أن هذا الذي نسبوه للقرآن بعيد عن أنوار التنزيل وإحكام الترتيل ^(٤)، وأما ما استدل به الإمام الغزالي على نسخ التلاوة وبقاء الحكم (أنزلت عشر رضعات) فهذا غير صحيح، وقد علق الأستاذ الدكتور فضل عباس على الروايات الواردة في هذه المسألة بقوله: (القرآن الكريم لم يقيد الرضعات بعدد معين، وبعض الروايات تصف الخمس بالمعلومات وبعضها ليس فيه هذا الوصف ومن ناحية ثالثة بينت بعض الروايات أن هذا قد سقط من القرآن ولكن بعضها جاء فيه أنه توفي عليه الصلاة والسلام وهو مما يقرأ من القرآن، وإذا كان هذا قرأنا يقرأه الناس فكيف يختلف الصحابة - رضوان الله عليهم - في عدد الرضعات المحرمة، وهذا الخلاف استمر بعد الصحابة إلى التابعين ومن بعدهم، فالحنفية والمالكية يرون أن قليل الرضاع وكثيره محرم، وذهب قوم إلى أن المحرم ثلاث رضعات والخمسة هي مذهب الشافعي وظاهر مذهب أحمد،

(١) سورة هود: ٧٢.

(٢) سورة البقرة، ٢٣٩.

(٣) سورة النساء، ٢٤.

(٤) أ.د. فضل عباس، اتقان البرهان في علوم القرآن، (٢/٥٠-٥٢).

فكيف يختلف الصحابة ومن بعدهم إذا كانت هناك آية من القرآن تحدد التحريم برضعات خمس وهو نص ظاهر لا يحتمل تأويلاً آخر، قال الحافظ: ابن حجر - رحمه الله تعالى - وقوى مذهب الجمهور وهو أنه مطلق الرضاع يحرم بأن الأخبار اختلفت في العدد وعائشة التي روت ذلك قد اختلف عليها فيما يعزب من ذلك فوجب الرجوع إلى ما يندلق عليه الاسم وبعضه من حيث النظر أنه معنى طارئ يقتضي تأبيد التحريم فلا يشترط فيه العدد.

وأيضاً فقول عائشة: (عشر رضعات معلومات ثم نسخت بخمس معلومات فات النبي - صلى الله عليه وسلم - وهن مما يقرأ) لا يفتض لاحتجاج على الأصح من قولي الأصوليين لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، والراوي روى هذا على أنه قرآن لا خبر فلم يثبت كونه قرآناً ولا ذكر الراوي أنه خبر ليقتل قوله فيه والله اعلم^(١)

ويقول الأستاذ فضل أيضاً: (و الذي يبدو لي في هذا الحديث الذي روي عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم - وليس آية من القرآن الكريم، لأن القرآن إنما يثبت بالتواتر وهذا إجماع العلماء، وإنما اختلف الصحابة رضوان الله عليهم لأن الآية الكريمة جاءت مطلقة دون تقييد بعدد معين^(٢)).

وعلى هذا تبين أن ما ذهب إليه الإمام الغزالي من الاستدلال على نسخة التلاوة وبقاء الحكم غير مسلم به.

خامساً: ومما عرض له أيضاً النسخ قبل التمكن من الفعل:

جوز رحمه الله تعالى هذا النوع من النسخ، وجاء بمثال عليه أطال حوله الحديث والنقاش، والمثال هو نسخ أمر ذبح إسماعيل - عليه السلام - قبل أن يفعله إبراهيم - عليه السلام -، قال رحمه الله تعالى: (ثم الدليل القاطع من جهة السمع على جوازه قصة إبراهيم -

(١) ينظر قول ابن حجر في فتح الباري، كتاب النكاح، (٥٠/١١)، أ. د فضل عباس، إنقار البرهان في علوم القرآن، (٤٠/٢-٤٣).

(٢) أ. د فضل عباس، إنقار البرهان، (٤٤/٢).

عليه السلام - ونسخ ذبح ولده عنه قبل الفعل، وقوله تعالى: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾^(١)، فقد أمر بفعل واحد، ولم يقصر في البدار والامتثال ثم نسخ عنه^(٢).

ورد على من أنكر ذلك، ومما قاله - رحمه الله - : (وأما الخامس يعني الرأي الخامس من آراء المنكرين وهو انه فعل الأمر بالذبح والتأم فهو محال؛ لأن الفداء، كيف يحتاج إليه بعد الالتئام، ولو صح ذلك لاشتهر وكان ذلك من الآيات، ولم ينقل ذلك قط وإنما هذا اختراع من القدرية، فإن قيل: أليس قد قال: ﴿قد صدقت الرؤيا﴾^(٣)، الآية؟ قلنا: معناه: انك عملت في مقدماته عمل مصدق بالرؤيا، والتصديق غير التحقيق والعمل)^(٤).

سادساً: عرض أيضاً لنسخ القرآن بالقرآن ونسخ القرآن بالسنة متفقاً مع غيره من العلماء الذين تناولوا هذه المسائل، والفرق بين النسخ والتخصيص على وجه التفصيل^(٥). وهكذا أرى الإمام الغزالي تناول هذا المبحث أصولاً وقواعد بنظر الأصولي، وأسهب وأطال في بسطه وبيانه، بيد أنه لم يأت بجديد في مسائله ولم يفصل في قضاياها.

(١) سورة الصافات، ١٠٧.

(٢) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (١/٢٣٦)، وينظر ابن العربي، أحكام القرآن، ١٦١٨/٤.

(٣) سورة الصافات، ١٠٥.

(٤) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (١/٢٢١-٢٢٢)، وينظر الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢٤٧/٢.

(٥) ينظر الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (١/٢١٢).

المبحث السادس: المحكم والمتشابه:

قال الله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمانا به كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولوا الألباب﴾^(١)، بينت هذه الآية ان القرآن الكريم فيه صنف من الآيات يطلق عليه مسمى الإحكام، وصنف يطلق عليه مسمى التشابه، وقد تناول العلماء هذا الأحكام والتشابه بالدراسة والبحث على اختلاف في الرأي، وتباين كبير في المفهوم وتحديد معنى هذا الإحكام والتشابه، ويمكن القول: إن الاختلاف في الوقف في قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ ناشئ عن الاختلاف في معنى المحكم والمتشابه.

وقد أخذ هذا الموضوع مساحة كبيرة من البحث في كتب التفسير و علوم القرآن، وبلغ من اهتمام العلماء به أن أفردوا له مؤلفات خاصة حاولوا أن يستقصوا فيها الأقوال المأثورة، ويصلوا من خلالها إلى نتائج مرضية، وأذكر من بين هذه المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر، كتاب ((متشابه القرآن)) للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ((الإكليل في المتشابه والتأويل)) لابن تيمية، ((حل المتشابهات القرآن)) للراغب الأصفهاني، إلى غير ذلك من إسهامات علمية وجهود أخرى قدمها الأصوليون وأصحاب المصنفات في العقيدة وقد، اختلفت في ذلك مناهج البحث وطرق التناول لهذا الموضوع باختلاف منازل الباحثين، وتعددت أساليبهم بتعدد اتجاهاتهم.

ومما لا شك فيه أن هذا الموضوع فيه من الوعورة والصعوبة ما فيه؛ نظرا لعدم ورود توقيف بشأنه من جهة، وللخلاف الواقع في فهم الآية من جهة ثانية.

(١) سورة آل عمران، ٧.

وقبل البدء ببيان هذا الموضوع فإنه من الجدير بالذكر ههنا أن نبين أن هناك إطلاقاً لغوية متعددة بمعنى الأحكام، إلا أنها بمجموعها ترجع إلى معنى المنع، يقال: (أحكم الأمر أي أتقنه ومنعه عن الفساد)^(١).

ويستعمل أهل اللغة مادة التشابه للدلالة على المشاركة في المماثلة و المشاكلة المؤدية إلى الالتباس غالباً، يقال: (أمر مشتبه ومشبهة أي مشكلة ويقال: شبه عليه الأمر تشبيهاً أي لبس عليه)^(٢)، وقد ورد في القرآن ما يدل على الأحكام العام، إذ قال تعالى: ﴿أ ل ر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾^(٣)، فالقرآن كله محكم (أي أنه كلام منقن منظم رصين لا يتطرق إليه خلل لفظي ولا معنوي، كأنه بناء مشيد محكم لا ينتابه تصدع ولا وهن)^(٤)، وهنا يلحظ فيه المعنى اللغوي الوارد آنفاً.

وورد أيضاً ما يدل على التشابه العام، قال تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾^(٥) الآية، فالمعنى: (أنه يشبه بعضه بعضاً في إحكامه وحسنه وبلوغه حد الإعجاز في ألفاظه ومعانيه، حتى أنك لا تستطيع أن تفاضل بين كلماته وآياته في الحسن والإحكام والإعجاز)^(٦).

وورد في آية آل عمران التي ذكرت سابقاً ما يدل على أن القرآن منه محكم ومتشابه، أي بعضه محكم وبعضه متشابه، فهذا الذي جرى الخلاف فيه من حيث بيان وتحديد معانيه بدقة. ونظراً لأهمية هذه القضية العلمية، والتي ينبغي معرفتها لدى المهتمين بالعلوم الشرعية، فإن هذه المسألة لم تخف على إمامنا الغزالي؛ إذ كان مطلعاً على ما جاء به العلماء من قبله في بيانها، فأدلى بدلوه في تحقيقها وبيانها، وإن كان ما جاء به لم يكن مفصلاً بما فيه الكفاية لوجازته واختصاره، إلا أنه كان إشارة فيها من العمق والتركيز ما دلنا من خلاله على رأيه فيها، وإسهامه إزاءها بكل وضوح، ويمكن بيان رأي الإمام الغزالي في هذا الموضوع على النحو الآتي:

(١) الرازي، مختار الصحاح، ص ٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

(٣) سورة هود، (١).

(٤) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/٢٩٠)، القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٢٠.

(٥) سورة الزمر، (٢٣).

(٦) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/٢٩٠).

أولاً: معنى المحكم والمتشابه عند الغزالي ورأيه في ما قيل فيه من آراء:

قرر رحمه الله تعالى بادئ بدء أن في القرآن محكماً ومتشابهاً استناداً إلى قوله تعالى: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾، وذكر لدى اطلاعه ومراجعته لما قرره السابقون من أهل العلم أن المحكم والمتشابه قد اختلف في تحديده، ولم يكن ثمة اتفاق على رأي واحد فيه، وقرر في بيانه قاعدة للوصول إلى معرفته تتعلق بالوضع اللغوي للفظ.

قال الإمام الغزالي: (في القرآن محكم ومتشابه كما قال تعالى: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ واختلفوا في معناه، وإذا لم يرد توقيف في بيانه، فينبغي أن يفسر بما يعرفه أهل اللغة ويناسب اللفظ من حيث الوضع)^(١).

وبعد هذه المقدمة يأتي الإمام الغزالي ليرد بعض الأقوال في المحكم والمتشابه، التي يرى أنها لا تتناسب مع الفهم الصحيح لهذا الموضوع، ولكن رده لم يأت مدعماً بالأدلة ولم تكن له مناقشة علمية لهذه الآراء.

قال الإمام الغزالي: (ولا يناسب قولهم: المتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل السور، والمحكم ما وراء ذلك)^(٢).

ولا قولهم: المحكم ما يعرفه الراسخون في العلم، والمتشابه ما ينفرد الله تعالى بعلمه^(٣).
ولا قولهم: المحكم: الوعد والوعيد والحلال والحرام، والمتشابه: القصص والأمثال وهذا أبعد^(٤).

(١) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (٢٠٢/١).

(٢) وهذا قول جابر بن عبد الله بن رباب، ينظر الطبري جامع البيان في تأويل أي القرآن، (١١٦/٣)، طبعة دار الفكر العربي، ومن المتأخرين الذين قالوا بهذا الرأي الشاطبي في الموافقات، (٢٩٧/٣).

(٣) ينظر الطبري، جامع البيان في تأويل أي القرآن، (١١٦/٣) وهذا قول مجاهد والضحاك وغيرهم وحثهم أن الراسخين في العلم لو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه ولا حرامه من حلاله، واختار هذا النووي في شرح صحيح مسلم (٢١٨/١٦)، ينظر السيوطي، الإتيان، (٦٤/١).

* هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما - ينظر السيوطي، الإتيان، (٦٤٠/١).

(٤) الغزالي، المستصفى من علم أصول الفقه، (٢٠٢/١).

ثم يقرر بعد ذلك الرأي الذي يرتضيه ويراه صواباً فيقول: (بل الصحيح أن المحكم يرجع إلى معنيين:

أحدهما: المكشوف المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال واحتمال، و المتشابه: ما يتعارض فيه الاحتمال.

الثاني: أن المحكم ما انتظم وترتب ترتيباً مفيداً، إما على ظاهر أو على تأويل ما لم يكن فيه متناقض ومختلف، لكن هذا المحكم يقابله المثبج والفاقد دون المتشابه، وأما المتشابه فيجوز أن يعبر عنه من الأسماء المشتركة: كالقراء، وقوله تعالى: ﴿الذي بيده عقدة النكاح﴾^(١)، فانه مراد بين الزوج والولي، وكاللمس: المراد بين المس والوطء، وقد يطلق على ما ورد في صفات الله مما يوهم ظاهره الجهة والتشبيه ويحتاج إلى تأويله)^(٢).

والمعنى الأول الذي ذكره الإمام الغزالي عليه أكثر الأصوليين، وهو رأي ورد عن ابن عباس رضي الله عنه^(٣).

وأما المعنى الثاني: فقد قاله الإمام الطيبي ببعض البيان، قال رحمه الله تعالى: (المراد بالمحكم ما اتضح معناه، والمتشابه بخلافه؛ لان اللفظ الذي يقبل معنى إما ان يحتمل غيره أو لا، الثاني النص، والأول إما ان تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أو لا، الأول الظاهر، والثاني إما ان يكون مساويه أو لا، الأول هو المجلد والثاني المؤول، فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم، والمشترك بين المجلد والمؤول هو المتشابه)^(٤).

(١) سورة البقرة، (٢٣٧).

(٢) الغزالي، المستقصى من علم أصول الفقه، (٢٠٣/١).

(٣) الزرقاني، مناهل العرفان، (٢٩١/١).

(٤) الزرقاني، المرجع نفسه، (٢٩٢/١).

ثانياً: رأي الإمام الغزالي في متشابه الصفات:

قال الإمام الغزالي: (فإن قيل: العرب إنما تفهم من قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾^(١)، و ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(٢)، الجهة والاستقرار، وقد أريد به غيره فهو متشابه؛ قلنا: هيهات، فإن هذه كنايات واستعارات يفهمها المؤمنون من العرب، المصدقون بأن الله تعالى ليس كمثل شيء وأنها مؤولة تأويلات تناسب إفهام العرب والله الموفق للصواب)^(٣).

وهنا يوضح الإمام الغزالي رأيه في متشابه الصفات، فيرى أنها ليست من قبيل المتشابه، وإن كانت ظواهرها مستحيلة، إلا أنه لا يفوض في تعيين المراد بها، بل يرى أن معاني هذه الصفات يمكن معرفتها بالرجوع إلى ميدان اللغة الواسع، وأنها مما يمكن فهم معناه؛ لأن القرآن خاطب العرب بما تعرفه وما يمكن لها فهمه، وهو بهذا يسلك مسلك المتأخرين من العلماء الذين تناولوا هذه الصفات بالتأويل والبحث عن المعاني اللاتقة بها بعيداً عن المماثلة والتجسيم*.

ولعلّ الرأي الأمثل في الصفات ما قاله الإمام مالك: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة)^(٤). وقد طالب الغزالي في كتابه (إلجام العوام) عوام الأمة بالتقويض في مسألة الصفات، وترك المجال مفتوحاً لذوي العقول المتبصرة النيرة لمعرفة وتأويل هذه الصفات^(٥).

وفي هذا يقول الدكتور أحمد حسن فرحات: (والقول في آيات الصفات أنها بمعانيها العامة المجملة الصحيحة ليست من قبيل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، ولكن الكلام حول

(١) سورة الأنعام، (١٨).

(٢) سورة طه، (٥).

(٣) الغزالي، المستصفي، (٢٠٤/١).

* الزرقاني، مناهل العرفان، (٣٠٩/٢).

(٤) المرجع نفسه، (٣٠٨/١).

(٥) الغزالي، إلجام العوام، ص ١٠٧.

الذات وحقائق الصفات وكيفياتها هو الذي يدخلها في نطاق المتشابه، وهو أمر ليس مطلوب منا البحث فيه، بل المطلوب منا الكف عنه ومجانبته وعدم الاقتراب منه^(١).

ومعنى كلام الدكتور أحمد فرحات أن معاني الصفات العامة يمكن معرفتها بالرجوع إلى اللغة والاستعارات وما إلى ذلك فهذا ليس من قبيل المتشابه الذي لا يعرفه العلماء ولكن حقيقة الصفات وكيفية هذا هو الذي لا يدرك وهو الذي يجعلها في دائرة المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى

ثالثاً: رأيه في تفسير قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم...﴾ الآية:...

للعلماء رأيان إزاء موضع الوقف في هذه الآية:

فبعضهم وقف عند لفظ الجلالة ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ وابتدأ القراءة بقوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ ، وعلى هذا فإن الواو في قوله تعالى: ﴿والراسخون﴾ للاستئناف.

وبعضهم وقف عند قوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم﴾ على اعتبار أن الواو للعطف. ولعل من وقف في القراءة على قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ كان المحكم عنده ما علم معناه، والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه.

ومن وقف على ﴿الراسخون في العلم﴾ جعل المحكم من قبيل ما يؤمن به ويعمل به، والمتشابه من قبيل ما يؤمن به ولا يعمل به^(٢).

وفصل الإمام الغزالي في بيان هذه الآية فقال: (الواو للعطف أم الأولى الوقف على الله

تعالى؟

(١) أ. د أحمد حسن فرحات، المحكم والمتشابه، ص ١٠٣.

(٢) السيوطي، الإتقان، (١/٦٤١).

قلنا: كل واحد محتمل، فإن كان المراد به وقت القيامة فالوقف أولى، وإلا فالعطف؛ إذ الظاهر أن الله تعالى لا يخاطب العرب بما لا سبيل إلى معرفته لأحد من الخلق^(١).
والذي يريد الإمام الغزالي ويميل إليه: أن الواو للعطف؛ لأن المتشابه يعلمه الراسخون في العلم، ولأن الله تعالى خاطب العرب بما يمكنهم معرفته وفهمه ولم يخاطبهم بما يعسر عليهم بيانه.

وفي هذا المعنى يقول الإمام الزركشي: (ومنهم من رجّح أنها - الواو - للعطف؛ لأن الله تعالى لم يكلف الخلق بما لا يعلمون، وضعف الأول أن الواو للاستئناف؛ لأن الله لم ينزل شيئاً من القرآن إلا لينتفع به ويدل به على معنى أراد، فلو كان المتشابه لا يعلمه غير الله للزمن، ولا يسوغ لأحد أن يقول: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يعلم المتشابه، فإذا جاز أن يعرفه الرسول (صلى الله عليه وسلم) جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته والمفسرون من أمته، ألا ترى ابن عباس كان يقول: (أنا من الراسخين في العلم)^(٢).

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾: يعلمونه و (يقولون أمنا به) ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ من المتشابه إلا أن يقولوا (أمنا) لم يكن لهم فضل على الجاهل، ولأن الكل قائلون ذلك، ونحن لم نر المفسرين إلى هذه الغاية توقفوا عن شيء من القرآن، فقالوا: هو متشابه لا يعلمه إلا الله، بل أقرّوه على التفسير حين فسروا الحروف المقطعة^(٣).

رابعاً: رآيه في حروف أوائل السور:

توقف رحمه الله تعالى عند هذه المسألة قليلاً، وألقى بعض الضوء عليها مبيناً آراء العلماء فيها ووجهة نظره إزاءها، واختار أقرب الأقوال فيها.

(١) الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٢٠٣/١).
(٢) ينظر السيوطي، الدر المنثور، (٧/٢).
(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٢٠٢/٢-٢٠٣) وينظر في هذا المعنى الراغب الأصفهاني، مقدمة جامع التقاسير، ص ٨٦.

قال رحمه الله تعالى: (فإن قيل: فما معنى الحروف في أوائل السور؟ إذ لا يعرف أحد

معناها؟

قلنا: أكثر الناس فيها، وأقربها أقاويل:

أحدها: أنها أسامي السور حتى تعرف بها فيقال: سورة يس، وطه^(١).

وقيل: ذكرها الله تعالى لجمع دواعي العرب إلى الاستماع؛ لأنها تخالف عاداتهم فتوقظهم

عن الغفلة حتى تصرف قلوبهم إلى الإصغاء فلم يذكرها لإرادة المعنى^(٢).

وقيل: إنما ذكرها كناية عن سائر حروف المعجم التي لا يخرج عنها جميع كلام العرب؛

تتبيهاً على أنه ليس يخاطبهم بغير لغتهم وحروفهم^(٣)، وقد ينبه ببعض الشيء على كله يقال:

قرأ سورة البقرة، وأنتد (الاهبي) يعني جميع السورة والقصيدة. وقال الشاعر:

يناشد في حاميم والرمح شاجر فهلا تلاحاميم قبل التقدم*.

فقد ثبت أنه ليس في القرآن ما لا تفهمه العرب^(٤).

ومن الملاحظ أن الغزالي لا يعد حروف فواتح السور من المتشابه؛ لأن معرفة وظائفها

ممكن وليست من قبيل الغوامض أو الخوالق من المعاني.

(١) هذا قول سيبويه والخليل، ينظر الرازي، مفاتيح الغيب (١٥٣/١) طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٢) هذا قول قطرب وابن روق، ينظر الرازي، مفاتيح الغيب (١٥٣/١).

(٣) هذا قول المبرد، ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (١٥٣/١).

* هذا مطلع معلقة عمرو بن كلثوم، ينظر الأصبهاني، الأغاني، (٥٧/١١).

* يلاحظ أن تسميل الإمام الغزالي بـ(الاهبي) للدلالة على القصيدة كإدانة أو منح من نمايله للدلالة على جميع سورة البقرة.

* هذا البيت للأشتر النخعي في قتله محمد بن طلحة بن عبيد الله المشهور بالسجاد يوم الجمل، بنظر ابن

كثير، البداية والنهاية، (٢٤٣/٧)، كنى بحاميم عن القرآن، يحتمل أنه كنى عن سورة الشورى التي أولها

(حم عسق) لأجل الآية الثالثة والعشرين منها، نصها (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) أي

ناشده الرحم والقربى، ينظر د. محمد سليمان الأشقر، تحقيق المستنصفي للإمام الغزالي، (٢٠٤/١).

(٤) الغزالي، المستنصفي، (٢٠٤/١).

وقد عدَّ بعض العلماء حروف أوائل السور من قبيل المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، ومن هؤلاء الإمام الشاطبي، قال رحمه الله: (وقد ذهب فريق إلى ان المراد: الإشارة إلى حروف الهجاء، وان القرآن منزل بجنس هذه الحروف وهي العربية، وهو أقرب من الأول، كما نقل: أن هذه الفواتح أسرار لا يعلم تأويلها إلا الله، وهو أظهر الأقوال فهي من قبيل المتشابهات)^(١).

ولعل الرأي الأصوب - والله أعلم - ما ذكره الإمام الغزالي وهو القول الثاني، وهذا ادعى لإعجاز القرآن، وقد قال بهذا الرأي غيره من العلماء والمفسرين، قال ابن كثير: (وقال آخرون: هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع انه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها...، ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد ان يذكر فيها الانتصار للقران وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾^(٢)، ﴿الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم ...﴾^(٣) وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء يعني من ذهب من العلماء إلى هذا الرأي كالإمام الرازي والإمام القرطبي والإمام الفراء وغيرهم...)^(٤).

وبعد فهذا موقف الإمام الغزالي من المحكم والمتشابه، وقد ظهر فيه رأيه، وقدم للموضوع بإيجاز وبيان فيه من الغنية والكفاية ما يسجل له بحق من الناحية العلمية، لا سيما أن هذا الموضوع فيه من الدقة ما يحتاج إلى دقيق النظر وتحقيق الفكر.

ويمكن تلخيص وإجمال رأي الإمام الغزالي في المحكم والمتشابه فيما يلي:

- (١) الشاطبي، الموافقات، (٢٩٧/٣).
- * ولكن سورة مريم وسورة القلم ليس فيها ما يدل على ما ذهب إليه الإمام ابن كثير.
- (٢) سورة البقرة (٢،١).
- (٣) سورة آل عمران، (٢،١).
- (٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣٦-٣٧/١)، وينظر ما ذكره الرازي في مفاتيح الغيب من الأقوال في ذلك (١٥٣/١).

أولاً: قال بوجود المحكم والمتشابه في القرآن، وبين معنى المحكم والمتشابه، وردّ بعض الآراء المشهورة في بيانه، ولكن جاء رده سريعاً ولم يناقش تلك الآراء أو يبيّن علّة رفضه وردّه لها.

ثانياً: بين بإيجاز معنى الواو في قوله تعالى: «وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم»، وأوضح أن الأمر فيه تفصيل من حيث الوقف، ومال إلى أنها للعطف، وإن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه.

ثالثاً: لم يعدّ الغزالي فواتح السور من قبيل المتشابه، مخالفاً بهذه القضية غيره من العلماء، وجاء بأقرب الأقوال وأصحها حسبما يراه في بيان معناها.

رابعاً: يرى أن الصفات ليست من قبيل المتشابه، وإنما هي كنايات، ويمكن تأويلها على المعنى اللائق بها استناداً إلى اللغة واستعمالات العرب ومناحيها في القول والبيان.

خامساً: كانت عناية الإمام الغزالي بهذا الموضوع على جانب من الدقة، وعلى قدر من التخصص والتركيز في العبارة والمعنى، وإن لم يفرد مساحة كبيرة لتفصيله وبيانه.

الفصل الخامس: القيمة العلمية لأراء الإمام

الغزالي في التفسير وعلوم القرآن

المبحث الأول: أثر الإمام الغزالي في من جاء

بعده من المفسرين

المبحث الثاني: أهمية آراء الإمام الغزالي في

التفسير وعلوم القرآن.

المبحث الثالث: الاستدراكات على الإمام

الغزالي في التفسير وعلوم القرآن

المبحث الأول: أثر الإمام الغزالي فيمن جاء بعده من المفسرين

إذا كان العلماء والباحثون بينوا أثر الإمام الغزالي في غيره من علماء الأصول والفقه والعقيدة والأخلاق والتصوف والفلسفة وغيرها، فهل كان للإمام أثر يُذكر في مصنفات التفسير وعلوم القرآن؟ وإذا كان هناك ما يذكر في هذا الشأن فإلى أي حد يمكن أن يبلغ هذا التأثير؟ ثم ما هي صفة هذا التأثير؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي يمكن أن ترد في ذهن المتسائل وتطراً على فكره، لما لها من الأهمية والفائدة التي تشكل في مضمونها القيمة العلمية لأراء الإمام الغزالي في هذا الصدد.

ويمكن القول هنا انه لدى الاستقراء والتتبع وجدت كثيراً من المفسرين قد نقلوا عن الإمام الغزالي آراء في مختلف القضايا والعلوم، والتي خدمت التفسير وجاءت بقضايا دقيقة وعلى قدر من الموضوعية فاخترت أشهر العلماء الذين تأثروا به وأفادوا منه في مجالات متعددة، ومن هؤلاء:

الإمام الفخر الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي، ت (٦٠٦هـ) في كتابه "مفاتيح الغيب": إذ نقل عن الغزالي كلاماً مدلولاً في تفسير آية النور: ﴿الله نور السموات والأرض﴾^(١)، الآية، ولم يعقب عليه بما يدل على الاعتراض، بل أثنى على كلامه واعتمده، وسأذكر شيئاً من ذلك بما يتسع له المقام، قال رحمه الله تعالى: (واعلم أن الشيخ الغزالي - رحمه الله تعالى - صنف في تفسير هذه الآية الكتاب المسمى بمشكاة الأنوار، وزعم* أن الله نور في الحقيقة بل ليس النور إلا هو، وأنا أنقل محصل ما ذكره مع زوائد كثيرة تقوي كلامه، ثم ننظر في صحته وفساده على سبيل الإنصاف، فقال: اسم النور إنما وضع للكيفية من الشمس والقمر على ظواهر هذه الأجسام الكثيفة، فيقال: استتارت الأرض ووقع نور الشمس على الثوب ونور السراج على الحائط، ومعلوم أن هذه الكيفية إنما اختصت بالفضيلة والشرف، لان المرئيات تصير بسببها ظاهرة منجلية، ثم من

(١) سورة النور، ٣٥.

* يعني: قال

المعلوم انه كما يتوقف إدراك هذه المرئيات على كونها مستتيرة، فكذا يتوقف على وجود العين الباصرة، إذ المرئيات بعد استنارتها لا تكون ظاهرة في حق العميان، فقد ساوت الروح الباصرة النور الظاهر في كونه ركناً لا بد منه للظهور، ثم يرجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة وبها الإدراك، وأما النور الخارج فليس بمدرك ولا به الإدراك، بل عنده الإدراك فكان وصف الإظهار بالنور الباصر أحق منه بالنور المبصر، فلا جرم أطلقوا اسم النور على نور العين، فقالوا في الخفاش: إن نور عينه ضعيف، وفي الأعمش: انه ضعيف نور البصر، وفي الأعمى: انه فقد نور بصره، ... واعلم أن هذا الكلام الذي روينا عن الشيخ الغزالي - رحمه الله - كلام مستطاب، ولكنه يرجع حاصله بعد التحقيق إلى ان كونه سبحانه نوراً أنه خالق للعالم، وانه خالق للقوى الدراكة، وهو المعنى من قولنا: معنى كونه نور السموات والأرض انه هادي أهل السموات والأرض، فلا تفاوت بين ما قاله وبين الذي نقلناه عن المفسرين في المعنى والله أعلم^(١).

وهنا نلاحظ أن الرازي قد سلك طريق النقل والإفادة دون نقد أو اعتراض لما أورده عن الغزالي، ومما يلحظه القارئ ان هناك تشابهاً واضحاً بين طريقة تناول الرازي لتفسير آية النور وطريقة الغزالي في مشكاة الأنوار من حيث الترتيب، وتقسيم مادتها إلى فصول ضمن الرازي تفسيره بعضها، مما يدل دلالة أكيدة على مدى التأثير البين بشخصية الغزالي العلمية وأسلوبه المنهجي في الطرح والتقسيم والتنظيم للمادة العلمية.

وإذا كان الرازي قد ارتضى رأياً للغزالي فانه ناقشه في رأي آخر، ولم يأخذ بجميع آرائه، بل انه لم يستحسن بعض ما قاله فناقشه ونقد رأيه، إحقاقاً للحق وبياناً لمواطن الخطأ في تفسيره للآيات القرآنية، ومن ذلك ما نقله في تفسير قوله تعالى: فلما جن عليه الليل رأى كوكباً^(٢) الآيات، قال الرازي: (تفلسف* الغزالي في بعض كتبه وحمل الكوكب على

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، (١٢/١٩٥-٢٠١) ط. دار الكتب العلمية، وينظر الغزالي، مشكاة الأنوار، ص ١٨.

(٢) سورة الأنعام. ٧٦.

* يعني جاء في تفسير هذه الآية بأسلوب فلسفي واستخدم في بيانها أسلوب المنطق.

النفس الناطقة الحيوانية التي لكل كوكب، والقمر على النفس الناطقة التي لكل فلك، والشمس على العقل المجرد الذي لكل ذلك، وكان أبو علي بن سينا يفسر الأقول بالإمكان فزعم الغزالي أن المراد بأقولها إمكانها في نفسها، وزعم أن المراد من قوله تعالى: ﴿لا أحب الأفلين﴾^(١)، أن هذه الأشياء بأسرها ممكنة الوجود لذاتها وكل ممكن فلا بد له من مؤثر، ولا بد من الانتهاء إلى واجب الوجود... واعلم أن هذا الكلام لا بأس به إلا أنه يبعد حمل لفظ الآية عليه^(٢). وهنا يخالف الرازي الغزالي في تفسيره ويرى أن الحمل على الظاهر أولى.

- الإمام أبو الفداء ابن كثير، ت (٧٧٤هـ) في "تفسير القرآن العظيم"، وقد تمثل نقله عن الغزالي في الجوانب الأصولية، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فإذا تطهروا فأتوهن من حيث أمركم الله﴾^(٣) الآية، قال ابن كثير: (فيه نذب وإرشاد إلى غشيانهن بعد الاغتسال...، ومنهم من يقول: انه للإباحة، ويجعلون تقدم النهي عليه قرينة صارفة له عن الوجوب وفيه نظر، والذي ينهض عليه الدليل انه يرد عليه الحكم إلى ما كان عليه الأمر قبل النهي، فإذا كان واجباً فواجب، كقوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين﴾^(٤)، أو مباحاً كقوله: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾^(٥)، الآية، وعلى هذا القول تجتمع الأدلة، وقد حكاه الغزالي وغيره فاختره بعض الأئمة وهو الصحيح^(٦).

وهنا رجح ابن كثير رأي الغزالي في بيان أن مقتضى الأمر في هذه الآية يفيد الإباحة، وقد استثمر ذلك في بيان الحكم الشرعي، وقد نقل رحمه الله تعالى عن الغزالي في مواضع أخرى من تفسيره في هذا الجانب وناقشه في بعضها^(٧).

(١) سورة الأنعام، ٧٦.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، (٤٥/١٣)، وينظر الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٢٣/٤)، و ينظر للمزيد من الأمثلة، الرازي مفاتيح الغيب، (٩٨/٤-١٠٠)، (٢٠٧-٢٠)، (٥٠١/٢٧).

(٣) سورة البقرة ٢٢٢.

(٤) سورة التوبة، ٥.

(٥) سورة المائدة، ٢.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٠٦/١)، وينظر الغزالي، المستصفى، (٨٢/٢).

(٧) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٠٩/٣)، (٦٨٩/٤).

-الإمام نظام الدين النيسابوري: الحسن بن محمد بن الحسين، ت (٧٢٨)هـ، في كتّاب "غرائب القرآن ورغائب الفرقان".

ولم أجد له فيما نظرت فيه من كتّابه نقلاً عن الغزالي إلا موضعاً واحداً وهو نقله عن مشكاة الأنوار ما جاء في تفسير آية النور، قال رحمه الله تعالى وهو يورد أقوال المفسرين في آية النور: (الثالث: ما ذهب إليه الحكماء الأولون الإشراقيون، وإليه ميل الشيخ الإمام حجة الإسلام محمد الغزالي على ما قرره في رسالته المسماة بمشكاة الأنوار: ان الله تعالى نور في الحقيقة، بل لا نور إلا هو...) (١). ثم بين هذا المعنى كما قرره الغزالي في مشكاة الأنوار (٢)، ولكنه لم يورد تعقيباً أو انتقاداً لرأي الغزالي.

-الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الشعالبي المغربي، ت (٨٧٦)هـ، في كتّابه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن": وقد غلب عليه طابع النقل دونما تعقب، وهذا يدل على مدى تأثره وإفادته من آراء الغزالي، إذ نقل عنه بعض اللطائف القرآنية، وفضائل القرآن وآداب تلاوته، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: عند تفسير آية الكرسي، قال الشعالبي: (قال الغزالي ما معناه: إنما وصفت بكونها سيده أي القرآن لاشتمالها على اسم الله الأعظم وهو الحي القيوم، قاله في الجواهر) (٣). وبالرجوع إلى كتّاب جواهر القرآن ودرره (٤) يلحظ رأي الغزالي هذا مطولاً، ولكن الشعالبي نقله بتصريف. ومما نقله من اللطائف القرآنية عن الغزالي ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ (٥)، الآية، قال رحمه الله تعالى: (قال الغزالي: اعلم أن القرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف، لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه أن كان مؤمناً بما فيه، وترى الناس يهذونه هذا، و يخرجون

(١) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (١٩٣/٥-١٩٥).

(٢) ينظر الغزالي، مشكاة الأنوار، ص ١٨.

(٣) الشعالبي، الجواهر الحسان، (٩/١).

(٤) الغزالي، جواهر القرآن ودرره، ص ٤٧.

(٥) سورة ص، ٢٤.

الحروف من مخارجها ويتناظرون على حفظها ورفعها ونصبها، لا يهتمهم الالتفات إلى معانيها والعمل بما فيها، وهل في العلم غرور يزيد على هذا (١)

وقد نقل عن الغزالي هذا القول من الإحياء (٢)، بشيء من التصرف ولم يورد أيما تعقب حوله مما يؤكد قبوله له، ونقل عنه أيضاً في تفسيره للآيات الجامعة بين الخوف والرجاء (٣)، وآداب التلاوة، وبعض القضايا في السلوكيات الإيمانية (٤).

- الإمام الألويسي محمود بن عبد الله، ت (١٢٧٠) هـ، في كتابه "روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني": يمكن القول إن الألويسي كان من أكثر المفسرين نقلاً عن الغزالي بعد الثعالبي، فقد نقل عنه في مختلف الجوانب العلمية، ففي المسائل اللغوية نقل عن الغزالي ما جاء في معنى قوله تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ (٥) الآية، قال الألويسي: (الصلوة في الأصل ما عليه أكثر أهل اللغة: الدعاء، وقال الإمام الغزالي: الاعتناء بالشأن، ومعناها الذي يناسب أن يراد هنا سواء كان حقيقياً أو مجازياً الثناء والمغفرة، لأن إرادة الرحمة تستلزم التكرار ...، وحملها على التعظيم والاعتناء بالشأن تأباهما صيغة الجمع) (٦).

وفي هذا المثال نقل الألويسي معنى الصلاة عند الغزالي لغاً، ولكنه لم يرق له هذا الرأي فعدل عنه، وهذا يدل على أن الألويسي كان ينقح آراء الغزالي قبل قبولها.

وفي بعض المسائل العقديّة نقل رأياً للإمام الغزالي في تفسير قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ (٧) الآية، قال رحمه الله تعالى: (قال حجة الإسلام الغزالي: لا يليق

(١) الثعالبي، الجواهر الحسان، (٣٧/٤).

(٢) ينظر المصدر نفسه، (٢٩٦/٢).

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣٦٥، ٣٦٣/٢).

(٤) ينظر، المصدر نفسه، (١٤٣، ٧٩/١)، (٢١٢/٢).

(٥) سورة البقرة، ١٥٧.

(٦) الألويسي، روح المعاني، (٢٣/٢) ولم أقف على رأي الغزالي هذا في كتبه المطبوعة التي وسعني الاطلاع عليها.

(٧) سورة النساء، ٣١.

إنكار الفرق بين الصغائر والكبائر، وقد عرفنا مدارك الشرع، نعم قد يقال لذنوب واحد كبير وصغير باعتبارين لان الذنوب تتفاوت في ذلك باعتبار الأشخاص والأحوال، فكبائر الرجل الصغير صغائر وصغائر الكبير كبائر^(١).

ولم يورد الألويسي في هذا المثال تعقيباً على ما قاله الغزالي، مما يدل على انه أورد هذا القول اعتباراً أي أنه محتمل عنده، ولدى الرجوع إلى كتاب المستصفي^(٢) والمنحول نجد هذا القول للغزالي وقد نقله الألويسي مختصراً.

وفي بعض القضايا الفلسفية والمنطقية نقل الألويسي عن الغزالي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس﴾^(٣) الآية، قال الألويسي، (وقال الإمام الرازي تفلسفت حجة الإسلام الغزالي .. عليه الرحمة فقال: ان هذه الآية مبنية على الشكل الثاني من الأشكال المنطقية، وذلك لان حاصلها يرجع إلى ان موسى أنزل تعالى عليه شيئاً، وواحد من البشر ما أنزل الله تعالى عليه شيئاً، ينتج أن موسى ما كان من البشر وهذا خلف محال، وهذه الاستحالة ليست بحسب شكل القياس، ولا بحسب صحة المقدمة الأولى، فلم يبق إلا انه لزم من فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم: ما أنزل الله ... الخ، فوجب القول بأنها كاذبة، وفي ذلك تأمل فلي تأمل^(٤)).

ومعنى قول الألويسي تفلسفت حجة الإمام الغزالي: أي جاء بالأساليب الفلسفية والبراهين المنطقية، فقال: إن هذه الآية مبنية على الشكل الثاني من الأشكال المنطقية، ويعني بهذا القياس الاقتراضي الحملي (الذي يتركب من قضيتين حمليتين، والشكل الثاني من أشكال القياس الحملي هو أن يكون الحد الاوسط وهو الجزء المتكرر بين المقدمة الكبرى والمقدمة الصغرى،

(١) الألويسي، روح المعاني، (١٨/٥)، وللمزيد ينظر المصدر نفسه (٧٣/٧).

(٢) ينظر الغزالي، المستصفي من علم أصول الفقه، (٢١٧/٢)، المنحول من علم أصول الفقه، ص ٢٢٣-٢٢٥.

(٣) سورة الأنعام، ٩١.

(٤) الألويسي، روح المعاني، (٢١٩/٧)، وينظر في ذلك أيضاً المصدر نفسه، (٢٠٣/٧)، وينظر الغزالي، أساس القياس، ص ٣٠.

محمولاً في المقدمتين، نحو: كل إنسان حيوان ولا شيء من الحجر بحيوان ينتج: لا شيء من الإنسان حجر^(١).

وعلى هذا الأساس جاءت فلسفة الإمام الغزالي في بيان الآلية، فليبيان نقيض قولهم (ما أنزل الله على بشر من شيء) رتب القضية على النحو الآتي: إن موسى عليه السلام - أنزل الله تعالى عليه شيئاً، وهذه مقدمة، وواحد من البشر ما أنزل الله تعالى عليه شيئاً، وهذه مقدمة، ينتج أن موسى ما كان من البشر بالقياس الافتراضي الحملي، وهذه نتيجة وهذا خلف محال. وفي هذا المثال أعلن الإمام الألويسي عدم قبوله كلام الإمام الغزالي بهذه الطريقة في بيان الآية.

هذا وقد نقل الألويسي عن الغزالي في موضوعات أخرى كالقصاص القرآني^(٢)، وفي مجال الأحكام الشرعية^(٣)، وقضايا سلوكية وأخلاقية متعددة^(٤)، وفصائل القرآن^(٥)، مما يدل على مدى تأثيره واهتمامه بأراء الغزالي.

- الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، المتوفى سنة (١٣٢٣) هـ:

وقد أفاد كثيراً من آراء الإمام الغزالي في تفسيره "محاسن التأويل"، وكان الغالب على نقولاته رحمه الله تعالى تعلقها بالجوانب المسلكية، وإن كان قد أورد بعض الآراء في المسائل العقديّة والتصوف، ولكنها كانت تخدم عنده التوجه الخلقي والسلوكي، ومن الملاحظ على نقولات الشيخ القاسمي عن الإمام الغزالي عدم تعقبها، وهذا يدل على أهمية آراء الغزالي عند القاسمي وأنها موضع ثقة وتقدير.

فمن الجوانب المسلكية التي عني القاسمي بنقلها عن الغزالي، ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن﴾^(٦)، الآية، قال رحمه الله تعالى: (وقال الغزالي في الإحياء في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح: الأدب الثاني: حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن، ترحماً عليهن لقصور عقولهن، وقال الله

(١) عبد الكريم الأثري، تسهيل المنطق، (٤٩-٥٠).

(٢) ينظر الألويسي، روح المعاني (١٠٣/٨).

(٣) ينظر المصدر نفسه، (٨٧/٢٢).

(٤) ينظر المصدر نفسه، (١٥٨/١).

(٥) ينظر المصدر نفسه، (٢٢٣/٣)، (٢٠٨/٢٢).

(٦) سورة النساء، ١٩.

تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾^(١)، وقال في تعظيم حقهن: ﴿وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿والصاحب بالجنب﴾^(٣)، الآية، قيل: هي المرأة.

ثم قال: واعلم انه ليس من حسن الخلق معها كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها و غضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم -، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن إلى الليل...، الثالث: أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء^(٤).

ولدى المقابلة بين ما نقله القاسمي وما قاله الغزالي، نجد أن نقله جاء بتصريف يسير.

وفي القضايا العقدية نقل القاسمي عن الغزالي بعض ما جاء في (المقصد الأسنى فسي أسماء الله الحسنى) في تفسير قوله تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾^(٥)، إذ قال: (قال الغزالي: إنما يستحق اسم اللطيف دقائق الأمور وغوامضها وما لطف منها، ثم يسلك في إيصال ما يصلحه سبيل الرفق دون العنف، والخبير: هو الذي لا يعزب عن علمه الأمور الباطنة، فلا تتحرك في الملك والملكوت ذرة، ولا تسكن أو تضطرب نفس إلا وعنده خبرها، وهو بمعنى العليم)^(٦). وهنا نقل القاسمي بعض معاني أسماء الله الحسنى من كتاب الغزالي القيم (المقصد الأسنى)، ولدى الرجوع إلى ما ذكره الغزالي في هذا المقام نجد أن الكلام قد نقل بتمامه^(٧). ومما نقله أيضاً - وهو كثير - بعض المسائل في التصوف^(٨)، وبعض اللطائف القرآنية^(٩).

(١) سورة النساء، ١٩.

(٢) سورة النساء، ٢١.

(٣) سورة النساء، ٣٦.

(٤) القاسمي، محاسن التأويل، (٢/٢٥٠-٢٥١) وينظر الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢/٩٩).

(٥) سورة الملك، ١٤.

(٦) القاسمي، محاسن التأويل، (٧/١٥٢).

(٧) ينظر الغزالي، المقصد الأسنى، ص ٩٢.

(٨) القاسمي، محاسن التأويل، (٣/٤٨٩). (٧/٤٢١).

(٩) المرجع نفسه، (٥/٥١).

وممن نقل عن الغزالي وتأثروا بأرائه من المفسرين في هذا العصر الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى، فقد نقل عن الغزالي في تفسيره "المنار" جملة من الآراء والتفسيرات كان جلها في الآداب والسلوكيات^(١)، ومنها في قضايا العقيدة^(٢) و التفسيرات الإشارية^(٣)، وقد أبدى إعجابته بتلك الآراء، وأذكر في هذا المقام أمثلة على ذلك :

قال الشيخ محمد رشيد رضا: في تفسير قوله تعالى: ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها﴾^(٤): (وذكر الغزالي في بيان ما بدل من ألفاظ العلوم، أن لفظ الفقه تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقف على دقائق علمها قال: ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس، ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب، وبدلك عليه قوله تعالى: ﴿ ليتفقهوا في الدين وليذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾^(٥)، وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق، والعناق، واللعان، والسلام، والإجارة، فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف، بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه، كما نشاهد الآن من المتجردين له وقال تعالى: ﴿و الإنس لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ وأراد به معاني الإيمان دون الفتوى^(٦).

وفي تفسير قوله تعالى: (الذين أتيناهم الكتاب يثبثونه حق تلاوته)^(٧)، نقل الشيخ محمد رشيد رضا كلام شيخه الأستاذ محمد عبده وعلق عليه ناقلاً ما جاء عن الإمام الغزالي في حق التلاوة، قال الشيخ محمد رشيد نقلاً عن شيخه محمد عبده: (وجملة القول: إن هذا التعبير أفاد

(٧) الإمام محمد رشيد رضی، المنار، (١/٨٤، ٩/٤٢٠-٤٢١).

(٨) المرجع نفسه، (٣/١٦٥-١٦٦).

(٩) المرجع نفسه، (٧/٥٧٢-٥٧٣).

(٤) سورة الأعراف، ١٧٩.

(٢) سورة التوبة، ١٢٢.

(٣) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (٩/٤٢٠-٤٢١).

(٧) سورة البقرة، ١٢١.

حكماً جديداً وإرشاداً عظيماً، وهو الذي يتلو الكتاب لمجرد التلاوة مثله كمثل الحمامار يحمل اشفاقاً، فلا حظ له من الإيمان بالكتاب لأنه لا يفهم أسراره، ولا يعرف هداية الله - تعالى - فيه، وقراءة الألفاظ لا تفيد الهداية وإن كان القارئ يفهم مدلولاتها كما يفهم المفسر والمعلم لها، لأن هذا الفهم من قبيل التصور، وما التصور إلا خيال يلوح ويتراءى، ثم يغيب ويتناهى، وإنما الفهم فهم التصديق والاذعان فمن يتدبر الكتاب مستهدياً مسترشداً ملاحظاً أنه مخاطب به من الله تعالى ليأخذ به فيستهدي ويرشد، والمقلدون محرومون من هذا فلا يخطر لهم ببال أنهم مطالبون بالاهتداء بكتاب الله تعالى وإنما الهداية عندهم محصورة في كلام رؤسائهم الدينيين ولا سيما إذا كانوا ميتين^(١).

ثم يعقب الشيخ محمد رشيد على كلام أستاذه ناقلاً كلاماً مهماً عن الإمام الغزالي في هذا الجانب فيقول: (يؤيد هذا ما ذكره الإمام الغزالي في بحث التخلي عن موانع فهم القرآن عند التلاوة، وهو أن حجب الفهم أربعة: أولها: أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان يحل بالقراءة ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله - عز وجل - ثانيها: أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة، فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه لا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده)^(٢).

وممن نقل عن الغزالي أيضاً القاضي الطاهر بن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير" ،فقد نقل عن الغزالي، بعض مسائل علوم القرآن في مقدمة تفسيره كمسألة البسمة هل هي من القرآن^(٣)؟ إلى غيرها من المباحث، وفي ثنايا التفسير نقل عن الغزالي رأيه في تفسير آية النور بتصرف، حيث قال: (وقال الغزالي في رسالته المعروفة بمشكاة الأنوار: النور هو الظاهر الذي به كل ظهور، الذي تنكشف به الأشياء وتنكشف له وتنكشف منه وهسو النور الحقيقي وليس فوقه نور، وجعل اسمه تعالى النور دالاً على التنزه عن العدم وعلى إخراج

(١) محمد رشيد، رضا، تفسير المنار، (١/٤٤٨).

(٢) محمد رشيد، رضا، تفسير المنار، (١/٤٤٨).

(٣) ابن عاشور، تحرير والتنوير، (١/١٣٩-١٤٠).

الأشياء كلها عن ظلمة العدم إلى ظهور الوجود، فالإلى ما يستلزمه اسم النور من معنى الإظهار والتبيين في الخلق والإرشاد والتشريع^(١).

وفي هذا المثال نقل ابن عاشور عن الإمام الغزالي كلاماً في تفسير النور الوارد في الآية واستحسنه.

وأورد بعض التوجيهات السلوكية التي جاد بها فكر الغزالي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(٢)، الآية، وقد ارتضى ابن عاشور هذا الرأي ولم يبد تعقياً إزاءه^(٣)، قال ابن عاشور: (وأشار أبو حامد الغزالي في كتاب الزكاة من الإحياء إلى أن المن له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب وصفاته، ثم تتفرع عليه أحوال ظاهره على اللسان والجوارح، ومنبع الأذى أمران: كراهية المعطي إعطاء ماله، وشدة ذلك على نفسه ورؤيته أنه خير من الفقير، وكلاهما منشؤه الجهل، فإن كراهية تسليم المال حمق لأن من بذل المال لطلب رضا الله -تعالى- والثواب فقد علم أن ما حصل له من بذل المال أشرف مما بذله، وظنه أنه خير من الفقير جهل بخطر الغنى، أي أن مراتب الناس بما تتفاوت به نفوسهم من التزكية لا بعوارض الغنى والفقير التي لا تنشأ عن درجات الكمال النفساني)^(٤).

وبعد فهؤلاء مشاهير علماء التفسير قديماً وحديثاً كلهم قد أفادوا من آراء الإمام الغزالي، وظهر أثر أقواله في كتاباتهم ومصنفاتهم في مختلف القضايا العلمية والفكرية، ولا غرو في هذا، إذ كان الإمام الغزالي عالماً موسوعياً حذق العلوم وتفرس بها.

وبالإضافة إلى المفسرين الذين أفادوا من الإمام الغزالي، فإن هناك علماء مشهورين لهم تأليف وتصانيف تتصل بالنص القرآني، وتعد من المصادر المهمة المعتمدة في هذا المجال أفادوا من آرائه وإسهاماته في التفسير وعلوم القرآن، ومن أشهر هؤلاء:

(١) المرجع نفسه، (٢٣٢/١٨).

(٢) سورة البقرة، ٢٦٤.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٤٤/٣).

(٤) المرجع نفسه، (٤٤/٣) وينظر الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٨٦/١).

الإمام برهان الدين الزركشي، المتوفى سنة (٧٩٤هـ)، في كتابه "البرهان في علوم

القرآن"، ومما أفاده من الإمام الغزالي مايلي:

بيان عدد آيات الأحكام :

قال الزركشي: (وقال الغزالي: عدد آيات الأحكام خمسمائة آية، والذي قاله الغزالي هو المصرح به، فإن آيات القصص والأمثال وغيرها مما يستنبط منها كثير من الأحكام، ثم هي قسمان: إحداهما ما صرح به وهو كثير، وسورة البقرة والنساء والمائدة والأنعام مشتملة على كثير من ذلك، والثاني: ما يؤخذ بطريق الاستنباط)^(١).

وبذلك فهو يأخذ بقول الغزالي، ولكنه يبسط قوله بتفصيل المراد منه، وفي موهم الاختلاف: ذكر كلاماً طويلاً كنت قد أثبتته في مبحثه هناك^(٢) حيث أورد كلام الغزالي في هذا الموضوع بتمامه دون تصرف وأثنى على رأيه فيه^(٣)، وفي المحكم والمنتشابه نقل رأي الغزالي في تأويل الصفات وأنه عاد إلى رأي السلف ومنع التأويل في "إجماع العوام عن علم الكلام" وأيد قوله^(٤). وفي مجال الإعجاز نقل عن الغزالي في الترادف ما قاله في التفرقة بين الغبطة والتنافس: (وقريب منها الحسد والحقد فالحسد تمنى زوال النعمة عن مستحقها وربما كان مع سعي في إزالتها كذا ذكره الغزالي بهذا القيد أعني الاستحقاق، وهو يقتضي تمنى زوالها عن مستحقها وهذا لا يكون حسداً)^(٥). وهنا نقل الزركشي تفرقة دقيقة بين الحسد والحقد وفيه دلالة على سعة اطلاع الغزالي على الفوارق اللغوية الدقيقة بين الألفاظ، وأنه لا يقول بالترادف كما مر سابقاً، وهذا تقدير من الزركشي لرأي الإمام الغزالي في هذه المسألة.

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١٣٠/٢)، ولم أقف على هذا القول في ما اطلعت عليه من كتب الغزالي.

(٢) ينظر، ص ١٦٦

(٣) الزركشي، البرهان، (٤٦/٢).

(٤) المصدر نفسه، (٧٩/٢)، وينظر الغزالي، إجماع العوام عن الكلام، ص ١٠٧.

(٥) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٨٠/٤)، وينظر الغزالي، الإحياء، (٣٤٩/٣).

وفي مجال اللغة نقل عنه أيضاً ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾^(١)، الآية، قال: (على قول من فسر الصلاة بالرحمة، والأحسن خلافه وأن الصلاة للاعتناء وإظهار الشرف كما قاله الغزالي وغيره وهو قدر مشترك بين الرحمة والدعاء والاستغفار وعلى هذا فهو من عطف المتغايرين)^(٢).

وهنا أثبت الزركشي قول الغزالي في معنى الصلاة لغة كما نقل غيره من المفسرين ذلك. وممن تأثر به أيضاً الإمام السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، ت (٩١١هـ)، في كتابه^(٣): "الإتقان في علوم القرآن"، وقد نقل عن الغزالي في جوانب مختلفة ومتعددة وأظهر إعجابه في كثير من نقولاته عنه.

وقد نقل عنه في الموضوعات التالية:

- عدد آيات الأحكام: فقد نقل ما نقله الزركشي عن الغزالي وأورد تعقيب الزركشي على ما تفضل به الغزالي في هذا^(٤). وفي مسألة التفاضل في القرآن، وأفضله وفاضله: قال السيوطي: (قال الغزالي في جواهر القرآن: لعلك أن تقول قد أشرت إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض... فاعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات، وبين سورة الإخلاص وسورة تبت، وترتاع على اعتقاد الفرق نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد، فقلد صاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم)، فهو الذي أنزل عليه القرآن، وقال: ((يس قلب القرآن))، و ((فاتحة الكتاب أفضل سور القرآن)) و ((آية الكرسي سيدة أي القرآن)) و ((قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن))، والأخبار الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل، وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى، انتهى)^(٥).

(١) سورة البقرة، (١٥٧).

(٢) الزركشي، البرهان، (٤٧٤/٢) ولم أقف على هذا الرأي عند الغزالي في ما اطلعت عليه.

(٣) وفي كتابه: الإكليل في استنباط التنزيل وفي كتابه قطف الأزهار في كشف الأسرار.

(٤) السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل، ص ٢٠١.

(٥) الغزالي، الإتقان في علوم القرآن، (١١٣١/١-١١٣٢).

وقد ذكر كلام الغزالي بتمامه من حيث النظرية^(١). وقد أفاد منه أيضا في فضائل سورة الفاتحة، فنقل عن الغزالي ما قاله في أن الفاتحة احتوت على جميع مقاصد القرآن، إذ قال: (وجميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلا فإنها واقعة في مطلع التنزيل، والبلاغة فيه أن يتضمن ما سبق الكلام لأجله ولهذا لا ينبغي أن يقيد شيء من كلماتها ما أمكن الحمل على الإطلاق، وقال الغزالي في كتاب جواهر القرآن: (مقاصد القرآن سنة: ثلاثة مهمة وثلاثة متممة: الأولى: تعريف المدعو إليه كما أشار إليه بصددها، وتعريف الصراط المستقيم وقد صرح به فيها. وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى وهو الآخرة كما أشار إليه بـ «مالك يوم الدين»^(٢)).

والأخرى: تعريف أحوال المطيعين كما أشار إليه بقوله: «الذين أنعمت عليهم»^(٣)، وحكاية أحوال الجاحدين وقد أشير إليها بالمغضوب عليهم والضالين، وتعريف منازل الطريق كما أشير إليه بقوله «إياك نعبد وإياك نستعين»^(٤)/^(٥)، وبالرجوع إلى رأي الغزالي في جواهر القرآن نجد أن السيوطي ساق كلامه بتصريف. وفي فضائل آية الكرسي ذكر أن الرازي قد استحسّن ما قاله الغزالي^(٦)، وممن تأثر بالغزالي من العلماء. النووي المتوفى سنة (٦٧٦)هـ، إذ نقل عن الغزالي في المحكم والمتشابه وساق رأيه بتمامه دونما تعقيب^(٧)، ثم آداب التلاوة التي جاءت في كتاب "الإحياء" في كتابه التبيان في آداب حملة القرآن^(٨).

ثم ابن تيمية المتوفى سنة (٧٢٠)هـ، إذ نقل عن الغزالي في مسألة التفاضل في القرآن^(٩)، وساق كلامه بتمامه مبديا إعجابه بذلك، وإن كان قد انتقده في بعض القضايا العلمية التي هي موضع نقاش^(١٠).

(١) ينظر الغزالي جواهر القرآن ص ٣٧-٣٨.

(٢) سورة الفاتحة ٤.

(٣) سورة الفاتحة ٧.

(٤) سورة الفاتحة، ٥.

(٥) السيوطي، كطف الأزهار في كشف الأسرار، (١/١٠٤)، الإتيان في علوم القرآن، (٢/٤٢١).

(٦) السيوطي، الإتيان، (٢/٤٤٢)، وانظر أيضا ما نقله عنه في كتابة القرآن في المصدر نفسه، (٢/٤٥٤).

(٧) ينظر النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/٢١٧).

(٨) ينظر النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص ٤٦، ص ٥٣، ص ٥٦.

(٩) ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، (١٧/٤٩).

(١٠) ينظر المصدر نفسه، (١٧/٣٣٣).

المبحث الثاني: أهمية آراء الإمام الغزالي في التفسير وعلوم القرآن :

في ضوء ما تقدم من آثار الإمام الغزالي العلمية في التفسير وعلوم القرآن والمعارف الأخرى وما أثره في غيره من المفسرين والعلماء يتحصل لي ما يلي:

أولاً: لم يكن تفسير الإمام الغزالي تفسيراً كاملاً يبدأ من الفاتحة إلى آخر سورة الناس، وإنما جاء في ثنايا عرضه للموضوعات التي تشير إليها النصوص القرآنية، على أن تفسيره كان مزجاً لجميع أنواع المعارف والثقافات المتعددة، كما كان لبيئة المفسر وطبيعة عصره العلمية الأثر الظاهر في ما عرض له من قضايا، وقد ازن الإمام الغزالي بين أصناف المعارف والعلوم، مضمناً تفسيره خلاصتها، مما جعل تفسيره فيما يبدو نوعياً بالقدر الذي يؤدي الرسالة التي ارتأها من خلال الآيات القرآنية.

ثانياً: جاء تفسير الإمام الغزالي تفسيراً وسطاً في جميع الجوانب التي قصد إليها، فمن حيث الحجم جاء بين الإطالة والإيجاز، ومن حيث الموضوع أيضاً كان على هذه السمة، فالتفسير الصوفي لم يخضع عنده للتصوف النظري وإنما كان تفسيراً منضبطاً بصواب وقواعد مما حدا بغيره من المفسرين أن يأخذوا بآراءه كما أشرنا سابقاً، وفي التفسير الفقهي كان الإمام الغزالي منصفاً غير مغال بل يعتمد الدليل، ومما يلحظ أن تفسيره أيضاً جاء بين النقل والنقد، مما يعطي صورة واضحة المعالم عن أسلوب التأليف في التفسير و طرائق الكتابة فيه في ذلك العصر.

وفي هذا يقول الباحث عدنان يعقوب: (والوسطية من سمات منهج الإمام الغزالي في التأليف والتذكير وقد تفلننه الشرباصي لهذه الميزة في فكر الغزالي فقال في كتابه "الغزالي والتصوف الإسلامي" (وانتهى الغزالي مع هذا إلى ما نستطيع أن نسميه الوسطية في المنهج

والتفكير^(١)، ويتابع الباحث عدنان قوله: (وهذه السمة نجدها في منهجه التفسير حيث كان يعيب على الاكتفاء بالمنهج النقلي في التفسير، والجمود عليه وجعله من الحجب التي تمنع الناس عن فهم أسرار القرآن ولكنه في نفس الوقت شدد على ضرورة حفظه وإحكامه فلذلك نجد أن معظم تفسيره يعتمد على النقل، ودافع عن جواز التفسير بالرأي وأكد على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً، ولكنه مع ذلك لم يترك الباب مفتوحاً أمام كل أحد يتأوله بكل ما يحلو له، بل يجب أن يكون ذلك باستظهار النقل والسماع فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار، والحذف، والإضمار، والتقديم والتأخير، فلذلك نجد أنه قد اهتم بهذه القضايا اللغوية في التفسير بالرأي، وأشاد بالتفسير الباطن ولكنه لم يجز التهاون بالتفسير الظاهر، بل الباطن عنده مكمل للظاهر، ولا مطمع في الوصول إليه قبل إحكام الظاهر، فلذلك نجد أن من منهجه في التفسير الإشاري إحكام الظاهر والجمع بين المعنى الظاهر والمعنى الإشاري حتى لا يتوهم أنه يبطل الظاهر، وعدم التوغل في الخوض في الحديث عن المعاني الباطنة إلا بقدر ما يحتمله العوام حتى لا يفتنهم بها)^(٢).

ثالثاً: كان الإمام الغزالي صاحب عبارة دقيقة تدق أحيانا على الفهم، وكانت عبارته أحيانا تضم في ثناياها أكثر من قضية شغلت بال المؤلف بما يحمل صاحبها من توجه فكري وعلمي، يضاف إلى ذلك الدقة في إيصال الفكرة إلى ذهن القارئ.

رابعاً: الجدة والموضوعية في التفسير: حاول الإمام الغزالي أن يطرح على الأمة من خلال عرضه للآيات القرآنية وتفسيرها فكراً جديداً، وطرحاً علمياً يتناسب مع روح العصر وتقدمه وثوابت الدين والقيم والمثل العليا، شاملاً مناحي الحياة على تعدد جوانبها، فقدم تفسيراً حيويًا فاعلاً للآيات القرآنية بعيداً عن الجمود والتقليد والتبعية.

(١) الباحث عدنان يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين، ص ١٨٧. نقلاً عن الشرباصي، الغزالي والتصوف الإسلامي، ص ٧٦-٧٧.

(٢) الباحث عدنان يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين، ص ١٨٨.

خامساً: تصحيح المفاهيم المغلوطة والتصورات غير الصحيحة حول بعض النظريات العامة للتعامل مع الآيات القرآنية من حيث أصول التفسير وشروطه، وطرق الاستدلال على جواز التفسير العلمي، وبيان مواطن الزلل في التفسير الصوفي، وبعض التصورات الفكرية حول الإعجاز القرآني، وآداب تلاوة القرآن، وغيرها، فأثبت ما عليه إجماع العلماء، ورد ما نأى عن الصواب فيما قدر له أن يراه.

سادساً: القضية التربوية في التفسير: إلى جانب اهتمام الإمام الغزالي بالقضية العلمية في التفسير والتي هي الهدف المنشود، فإن الإمام الغزالي أرسى جانباً سلوكياً في تعامله مع الآيات القرآنية.

سابعاً: إن ما تركه الإمام الغزالي من آثار علمية وسعني الاطلاع عليها، فيها دلالة على مدى شهرة الإمام الغزالي وأهمية آراءه، إذ تشكل بمحتوياتها ومضامينها إرثاً يخدم المكتبة الإسلامية.

المبحث الثالث: الاستدراكات على الإمام الغزالي في التفسير وعلوم القرآن:

إذا كان تفسير الإمام الغزالي له من الأهمية ما يستحق الذكر والحمد لما له من قيمة علمية اتضحت فيمن جاء بعده من العلماء والمفسرين، إلا أن هناك ما يمكن أن يستدرك عليه، مما لا يغض من قيمة الإمام ومكانته العلمية الرفيعة.

أولاً: غريب التأويل أو نوادر التفسير:

إذ صرح بها في ثنايا نقله لها بقوله: (وفي غريب التأويل أو وفي نوادر التفسير...)، وبعض هذه التأويلات لم ينص على أنها من الغريب، وقد قمت بتتبع هذه التأويلات التي أوردتها، فلم أجد لبعضها ذكراً حتى في الكتب التي اشتغلت بجمع كثير من الروايات حول تفسير الآية "كالدّر المنثور" وتفسير "جامع التأويل" للطبري، ومما جاء من أمثلة على هذه الغرائب على سبيل المثال لا الحصر.

قوله: (روي في غريب التفسير في قوله تعالى: (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) ^(١)، قال: (يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم) ^(٢).) وقوله أيضاً: (وقيل في غريب التأويل: اللحية هي المراد بقوله تعالى: (يزيد في الخلق ما يشاء) ^(٣).)

وفي تفسير قوله تعالى: (من بعد ما أراكم ما تحبون) ^(٤)، قال الغزالي: (قيل العوافي) ^(٥)، وهذا التأويل لم أجده فيما أطلعت عليه من التفاسير، وفي تفسير قوله تعالى:

(١) سورة الشورى، ٢٦.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢/٢٥٩).

(٣) سورة فاطر، ١.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢/٨٠).

(٥) سورة آل عمران، ١٥٢. الغزالي، إحياء علوم الدين، (٥/١٧٣)، والعوافي: هي الطير والمسباع، وهذا تفسير غريب فيه بعد عن ظاهر الآية.

(لأقعدن لهم صراطك المستقيم) ^(١) قال الغزالي: (قيل: هو طريق مكة) ^(٢)، والصحيح أن الصراط المستقيم أعم من ذلك) ^(٣).

ويقول الباحث عدنان يعقوب في هذا: (والذي يتبين لي - والله أعلم - أن الغزالي يريد بهذا التصريح جلب انتباه القارئ، لأن النفس تميل إلى الغرائب والنوادر، وحثه على القبول بإضافة ذلك القول إلى التفسير وكونه من التفسير رغم غرابته، ولم يكن يقصد بقوله غريب التفسير أو نوادره ما قاله السيوطي في الإتيان بأنه أقوال ذكرت في معاني منكره لا يحصل الاعتماد عليها، ولا ذكرها إلا للتحذير منها، مثل قول بعضهم في قوله تعالى: «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر» يعني إبراهيم، «نارا» يعني نوراً وهو محمد - صلى الله عليه وسلم - «فإذا أنتم منه توقدون» ^(٤) تقتبسون الدين) ^(٥)، لأن ذلك من قبيل الكلام في القرآن بلا سند ولا نقل عن السلف ولا رعاية للأصول الشرعية والقواعد العربية، وقد شدد الغزالي بالإنكار عليه ^(٦) والتي ذكرها الغزالي هنا ليس من هذا القبيل) ^(٧)

وكذلك ورد في ثنايا كتب الغزالي تأويلات بعيدة لا تتناسب مع ظاهر الآيات، ومما جاء من ذلك ما يلي:

قال الغزالي: (كل ما يتوالت فلا يستحيل أن يتولد أصلاً، وما يتولد لا يستحيل أن يتوالت، فقوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة﴾ ^(٨)، الآية، إنما عنى به الإنسان التوالدي، وقوله:

-
- (١) سورة الاعراف، ١٦.
 (٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣١٩/١).
 (٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٧٥/٢) وينظر للمزيد الغزالي، إحياء علوم الدين، (١١/١)، (١٨٤)، (٣٥٩/٢)، (٢٧٧/٣).
 (٤) سورة يس، ٨٠.
 (٥) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، (٤٩٠/٤-٤٩٢).
 (٦) ينظر الغزالي، إحياء علوم الدين، (٥٢/١).
 (٧) الباحث عدنان يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين، ص ١٥٢-١٥٣.
 (٨) سورة الإنسان، ٢.
 * الإنسان التوالدي: الذي نشأ بالتكاثر والتناسل مما كان أصل خلقته تولداً من تراب.

﴿خلقناكم من تراب﴾^(١)، الآية، عني به الإنسان التولدي*، وقد تتولد العقارب من الباذرودج ولباب الخبز، والحيات من العسل، والنحل من العجل المنخوق المنكسرة عظامه*، ... وأمثال ذلك كما ذكر في كتب الطلسمات وغيرها، ثم يتوالد هذا المتولد ويبقى نوعه بالتوالد وانطباق دائرة معدل النهار على فلك البروج، مما يدل على خراب العالم السفلي وتغييره للفصول^(٢).

في هذا المثال يوضح الإمام الغزالي رحمه الله تعالى أن هناك صنفين من الخلق، الصنف الأول، ما كان نشأته بالتولد، أي أصل خلقته وبدؤها من مادة تختلف عن مادة جنسه الذي ينشأ عنه.

الصنف الثاني: ما كانت خلقته من غير مادة أصله فالصنف الأول يطلق عليه تولد الجنس و آدم عليه السلام من هذا النوع حيث خلق من تراب بطريق التولد والتكون على غير طريقه نسله.

والصنف الثاني يطلق عليه التوالد وبنو آدم من هذا النوع فالنطفة هي مسادة التكاثر الناشئة عن أصل الخلقة وطريق حفظ النوع وبقائه لبقية النوع بهذه النطفة، هذا في حق الأدميين وهو ثابت نصاً، وأما بقية المخلوقات فإن الإمام الغزالي يريد أن يقسها على هذه القاعدة، فيرى أن هناك مخلوقات تولدية، ومخلوقات توأدية، ويعتمد على ما ورد في كتب الطلسمات والكتب الفلسفية القديمة التي ترى ذاتية التكون أو الخلق التلقائي كتكون الحيات من العسل والنحل من العجل المنخوق المنكسرة عظامه، وما إلى ذلك، ثم يتم التكاثر على وفق الطريقة الطبيعية بالولادة والبيض ونحو ذلك، ثم يقيس أمر الصنائع واكتساب الحرف على هذه الشاكلة فأصلها بالإلهام ثم تعلمها الخلق بالمعرفة والتعلم.

(١) سورة الحج، ٥.

* الإنسان التولدي: أي الناشئ بأصل خلقته من تراب دون تكاثر كيفية الخلق، وهو آدم عليه السلام.

* هذا هو التولد الذي عناه الإمام الغزالي في وجود المخلوقات.

والذي يبدو أن هذا ضرب من القول بالغيب، فإله تعالى يقول: (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً)^(١)، ويقول تعالى: (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)^(٢)، فأصل خلقة الأشياء والمخلوقات غير الإنسان لم يطلع الله تعالى عليها أحداً من الخلق، ثم إن في هذا الكلام إيهام بأن للطبيعة قوى وتأثير على الأشياء من ذاتها وهذا غير صحيح.

ومتى كان باستطاعة الطبيعة أن تأتي بالعجب العجائب؟ ثم أين قانون السببية الإلهي (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)^(٣). وعلى هذا فإن ما ذهب إليه الإمام الغزالي رحمه الله تعالى فيه بعد عن ظاهر الآيات، ولعل هذه النظرية التي أوردتها، ولعلها من الأفكار الفلسفية التي لم يتخلص منها الإمام الغزالي، وفي هذا يقول ابن العربي الأشبيلي المفسر: (شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة وأراد أن يتقيأهم فما استطاع)^(٤).

وإني لا أظن الإمام الغزالي مقتنعاً بمثل هذه الأوهام المتلاشية التي تتناقض والأصول الشرعية وتصادم العقول على الحقيقة، فربما ذكرها ليعلمها الناس من باب العلم بالشيء لا الجهل به.

- قول الغزالي في تفسير قوله تعالى: ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي﴾^(٥)، الآية: (إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رأهن إبراهيم - صلوات الله عليه وسلامه أنوار هي حجب الله - عز وجل - ولم يرد هذه المعروفات)^(٦).

وهذا قول بعيد عن ظاهر الآيات إذ لا يوجد مستند شرعي أو دليل نقلي أو دليل لغوي يقتضي هذا العدول، وقد حذر الغزالي من الوقوع في هذا الخطأ^(٧)، إلا أنه وقع فيه، وقد عد

(١) سورة الكهف، ٥١.

(٢) سورة الذاريات، ٤٩.

(٣) سورة الطور، ٣٥.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٣٢٧/١٩).

(٥) سورة الأنعام، ٧٨.

(٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٤/٢)، وللمزيد ينظر الإحياء، (٩/٤-١٠).

(٧) بنظر الغزالي، المصدر نفسه (٥٢/١).

ابن الجوزي هذا مأخذاً على الغزالي^(١)، وهذا من محاذير التفسير، قال الدكتور محمد الضاوي: (ومن أسباب رد التأويل ان يكون معارضا للقران بالرأي والسذوق والوجد)^(٢)، ويقول الدكتور هرماس: (إن من آداب المفسر عدم التمثل في صرف دلالة الآية عن الظاهر الذي تدل عليه)^(٣).

ثانياً: رواية الإسرائيليات:

حذر الغزالي من مغبة الوقوع في الزلل والكذب فيما يروى بشأن الإسرائيليات، ونص على أنه لا بد من التثبت من صحة الروايات حتى يتم قبولها، ونص أيضاً على أنه يجب مقابلة هذه المرويات بصحيح الخبر^(٤).

والذي يبدو أن ثمة تصادماً بين النظرية والتطبيق في هذا الشأن، إذ ألزم الغزالي نفسه بالمنهج القويم نظرياً للتعامل مع الإسرائيليات، ولكنه لم يلتزم عملياً بهذا الأمر، وكشف عن تساهلات كثيرة إزاء هذه القضية، ولعل هذا من المحاذير العلمية التي وقع فيها وزلت فيها قدمه، ومما جاء من الأمثلة على ذلك:-

في تفسير قوله تعالى: (وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً)^(٥)، نقل الغزالي ما جاء في كتب التفسير من قصة هذا الرجل الكافر مع صاحبه المؤمن، وأن الكافر منهما بنى قصراً بألف دينار، واشترى بستانا بألف دينار، وتزوج امرأة على ألف دينار، وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول: اشتريت قصراً يفنى ويخرب، ألا اشتريت قصراً في الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى ألا اشتريت بستانا في الجنة لا

(١) ينظر ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (٢٠٥/١)، وينظر تلبيس الجهمية، (٥٣٢/١).

(٢) د. أحمد الضاوي، قضية التأويل، ضمن مجلة وعد الحق المغربية، ص ٧٣. السنة التاسعة والثلاثون، العدد ٣٣٣، ذو القعدة، ١٩٩٨م المغرب، ص ٧٣.

(٣) د. هرماس، آداب تفسير القرآن الكريم، ضمن مجلة البينة، السنة الأولى، العدد الخامس، ربيع الثاني ١٣٨٢هـ - سبتمبر - ١٩٦٢، المغرب، ص ٣٦.

(٤) ينظر الغزالي، الاحياء، (٤٩/١).

(٥) سورة الكهف، ٣٦.

يفنى، وخدم لا يفنون وزوجة من الحور العين لا تموت^(١)، وهذه التفصيلات لم تثبت في المصادر الصحيحة المعتمدة^(٢).

بيد أن الإمام الغزالي لم يورد في هذا المجال مرويات تضاد أصول العقيدة أو تنال من مقامات الأنبياء، وعلى هذا فإنه يمكن أن يقال في هذه المرويات إنها كانت في مالا طائل تحته أو مما لا تنفع معرفته ولا يضر الجهل به أو من قبيل المواعظ التي تؤثر في القلوب، وإن كانت هذه تفتقر إلى الصحة، و مما يجدر ذكره أن الإمام الالوسي أورد بعض هذه المرويات في كتابه روح المعاني^(٣) وبين عدم دقتها.

ثالثاً: عدم عزو الأقوال والآراء في التفسير إلى قائلها:

وهذه ظاهرة عامة في كتب الغزالي، كأن يقول: قيل، روي، قال بعض المفسرين، وفي التفسير، ورد في التفسير، ...، ولعل الإمام رجع إلى أكثر من كتاب في التفسير للآية الواحدة فانفتحت كلمتهم على معنى معين، فأورده الإمام، ولم يذكر أصحاب هذه الأقوال لكثرتهم أو لشهرة هذه المعاني عند العلماء، بيد أن هذا الأمر يسبب إرباكاً للباحث في تحديد نسبة القول إلى قائله، لا سيما إذا كانت المصادر التي نقل عنها مفقودة أو ما زالت مخطوطة أو قيد التحقيق، فلا يمكن للباحث معرفة ذلك على وجه الدقة، ولربما ذكر الغزالي هذه الأقوال بالمعنى أو تصرف فيها من جهة الإيجاز أو الإشارة سريعاً إلى المطول منها، وهذا بعض ما وجدته من الصعوبة في تحديد مصادر التفسير عنده.

(١) الغزالي، الاحياء، (١٩٣/٤).

(٢) صلاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، (١٣٠/٢-١٣١).

(٣) ينظر الالوسي، روح المعاني، (٩٩/٣)، (١٠٣/٨)، وينظر ما أخذه زكي مبارك على الإمام الغزالي في هذا المجال في كتابه (الأخلاق عند الغزالي، ص ١٤٧).

رابعاً: رواية الأحاديث دون إسناد والاستشهاد بالأحاديث الضعيفة في تفسير الآيات:

وهذه سمة واضحة في تفسير الغزالي، إذ كان يدينه حذف الإسناد وعدم بيان درجة الحديث، وعند التحقيق فإن هذه القضية تضعف التفسير بالمأثور، إذ تجعل القارئ يتوقف في الأخذ بها حتى يعلم صحة الحديث، ولما تنطوي عليه من خطورة بالغة، إذ قد يتسلل الخلل والفساد إلى أصل الشريعة وقواطعها ومن ثم تبلغ الخطورة غايتها.

وانسحب الأمر في ذلك إلى أسباب النزول، إذ هي من روايات الحديث، وشرط قبولها صحة السند، فلا بد من معرفة سندها، ولا يكفي عزوها إلى الكتب التي اعتمدت جمعها في كتب مستقلة، قال السيوطي: (فلا شك أن عزوها إلى أحد الكتب المذكورة أولى من عزوه إلى تخريج الواحدي، لشهرتها واعتمادها وركون الأنفس إليها)^(١) وعد الأستاذ محمد حسين الذهبي حذف الإسناد من أسباب الوضع في التفسير وضعف التفسير بالمأثور، وبين أن ذلك هو السبب في دخول الدخيل والتباس الصحيح بالعليل، وذكر أن ذلك أخطر أسباب الوضع^(٢).

وممن أخذ على الغزالي صنيعة هذا الإمام ابن الجوزي إذ قال: (ملأ الإحياء بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها)^(٣)، ويضاف إلى هذا ما قام به الحافظ العراقي من تخريج ما في الإحياء من أحاديث في كتابه (المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار).

خامساً: استخدام عبارات معينة يتوهم القارئ غير ما أراد بها الإمام الغزالي:

ومن ذلك ما ذكره الغزالي في الإحياء: (إن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات، فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع جميعها من رسول الله (صلى

(١) السيوطي، لباب القول في معرفة أسباب النزول، ص ٦.

(٢) الأستاذ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (١/٢٠٢).

(٣) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/٥٣٢).

الله عليه وسلم) محال، ولو كان الواحد مسموعاً لرد الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له استنباطه، حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، فقيل: إن أُر هي حروف من الرحمن.

وقيل: إن الألف: الله، واللام: لطيف، والراء: رحيم، وقيل غير ذلك، والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعاً^(١).

وفي هذا الرأي توجيهان:

أولهما: إما أن يعني الغزالي بالأقاويل التي لا يمكن الجمع بينها والتي وردت عن السلف إنها مما لا يمت إلى النقل عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بصلة، وهي محض اجتهادات ثبتت لديه - أي المفسر - كالحروف التي في أوائل السور، والتي لا يمكن إيجاد تطابق بينها وما شابه ذلك فنحن معه في هذا، ولو كان هناك دليل نقلي أو أثر صحيح لفصل في هذا الخلاف ولما تعددت الأقوال فيه.

ثانيهما: أن يكون كلام الغزالي مطلقاً في الخلاف الذي جرى بين السلف، وأن هذا الخلاف كان سمة بارزة عامة في آرائهم، على معنى أن اختلافهم كان اختلاف تضاد لا تنوع، فهذا ما لا يوافق عليه ولا يؤيد فيه، وقد بحث هذه المسألة الإمام ابن تيمية، رحمه الله - في (مقدمة في أصول التفسير)، وبين أن الخلاف الواقع بين سلف الأمة في تفسير الآيات إنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وحاصل الأمر في الخلاف اليسير الذي حصل بينهم راجع لعدة أمور لا يخرج عنها وهي بإيجاز:

- إما أن يعبر كل واحد من المفسرين بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر في اتحاد المسمى كأسماء الله الحسنى وأسماء القرآن.

- أن يذكر كل منهم الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتبنيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومته وخصوصه.

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٣٨٥).

- أن يكون اللفظ محتملاً للأمرين أو الأمور لكونه مشتركاً في اللغة، أو لكونه متواطئاً في الأصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الأصليين.

- أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة، فإن الترادف في اللغة قليل ونادر أو معذوم في القرآن.

- أن يكون في الآية الواحدة قراءتان أو قراءات فيفسر كل واحد منهم على حسب قراءة مخصوصة فيظن ذلك اختلافاً^(١).

فإن كان لا يمكن الجمع بين بعض الأقوال للتضارب الشديد بينها، وإن كان هذا نادراً سواء أكان الخلاف في الآراء عن شخص واحد أو أكثر من شخص، فهناك قواعد للترجيح نص عليها أهل العلم^(٢). والحقيقة أن الخلاف أمر لا بد منه، وإنما كان الخلاف عند السلف في بعض الأمور الفرعية، قال الإمام البيهقي: (وإنما اجتمع أصحابه - صلى الله عليه وسلم - على مسائل الأصول، فلم يرو عن واحد منهم خلاف، فأما مسائل الفروع فما ليس فيه نص كتاب ولا نص سنة فقد اجتمعوا على بعضه واختلفوا في بعضه، فما اجتمعوا عليه ليس لأحد مخالفتهم فيه، وما اختلفوا فيه فصاحب الشرع هو الذي سوغ لهم هذا النوع من الاختلاف حيث أمرهم بالاستتباب والاجتهاد مع علمه بان ذلك يختلف، فهذا النوع من الاختلاف غير ما ذم الله تعالى وذمه رسوله الله صلى الله عليه وسلم)^(٣).

ومن ذلك أيضاً حديث الغزالي عن أوجه الإعجاز القرآني، إذ يرى أن الإعجاز البياني هو الأظهر والأقوى دلالة على أن القرآن حق، ولكنه في نفس الوقت يرى أن القرآن معجز بالصرفية وها هو نص كلامه: (فإن قيل: لعل العرب اشتغلت بالمحاربة والقتال فلم تعرج على معارضة القرآن، ولو قصدت لقدرت عليه أو منعتها العوائق عن الاشتغال به.

(١) ابن تيمية، مقدمه في أصول التفسير، ص ١١-٢٠.

(٢) ينظر الدكتور الذهبي، التفسير والمفسرون، (١/١٣٣-١٣٩).

(٣) البيهقي، الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة، ص ١٣٣-١٣٤.

والجواب: أن ما ذكروه هوس، فإن دفع تحدي المتحدي بنظم كلام أهون من الدفع بالسيف ما جرى على العرب من المسلمين بالأسر والقتل والسبي وشن الغارات، ثم ما ذكروه غير دافع غرضنا، فإن انصرافهم عن المعارضة لم يكن إلا بصرف من الله تعالى، والصرف عن المقدور المعتاد من أعظم المعجزات، فلو قال نبي: آية صدقي أني في هذا اليوم أحرك أصبعي ولا يقدر أحد من البشر على معارضي فلم يعارضه أحد في ذلك اليوم ثبت صدقه، وكان فقد قدرتهم على الحركة مع سلامة الأعضاء من أعظم المعجزات مهما كانت حاجتهم ماسة إلى الدفع باستيلاء النبي على رقابهم وأموالهم وذلك كله معلوم بالضرورة^(١).

وقال أيضاً: (وقال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك وصرخوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل)^(٢)، هذان نصان واضحا يدلان على أن الغزالي يعد الصرفة أحد أوجه الإعجاز القرآني المعتبرة، والصرفة أحد الوجوه في الإعجاز التي قال بها بعض العلماء كالنظام، ومعناها: إن الله تعالى صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقاً للعادة^(٣).

وهي مبدأ باطل نقضه العلماء وأطالوا الحديث بشأنه^(٤)، (ومقتضى القول بالصرفة أن القرآن ليس معجزاً ببلاغته وفصاحته، بل معجز بصرف همم العرب عن الإتيان بمثله وبأمور أخرى كالإخبار بالغيب، وأن العرب يقدرون على الإتيان بمثله أسلوباً ونظماً ولكنهم لم يفعلوا ذلك، لأن الله تعالى صرفهم عن معارضته وسلبوا القدرة عن الإتيان بمثله، فهو إذن مما يقع في دائرة إمكاناتهم لكن القدرة الإلهية حالت دون ذلك)^(٥).

(١) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص ١٣٠، وينظر استدلاله العقلي على الصرفة في رسالة الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص ٢٣.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٠٩/٣).

(٣) القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٦١.

(٤) ينظر الجرجاني، الرسالة الشافية، دراسة إعجاز القرآن للباقلاني: تحليل ونقد، أ.د فضل عباس، ضمن مجلة دراسات، المجلد السادس عشر، العدد العاشر، ١٩٨٩، الجامعة الأردنية، ص ٢٩.

(٥) دراسة إعجاز القرآن للباقلاني، تحليل ونقد، بحث للأستاذ الدكتور فضل عباس ضمن مجلة دراسات المجلد السادس عشر، العدد العاشر، ١٩٨٩م، ص ١٦٦.

والذي يظهر أن القول بالصرفة والإعجاز البياني لا يتفقان ولا يتجهان بحال، ومن هنا ظهر اللبس في قول الغزالي^(*)، إذ كيف يجمع بين الصرفة والبلاغة وكل منهما على طرفي نقيض؟ والذي يبدو أن رأي الغزالي هذا شبيه بما صنعه الرماني، إذ قرر أن البلاغة هي أقوى وجوه الإعجاز وعد الصرفة أيضاً من وجوه الإعجاز، وقد أجاب الأستاذ الدكتور فضل عباس عن هذا الإشكال بتفصيل ودقة فقال: (ولإزالة هذا والرد على هذا الإشكال أبين ما يلي: اتخذ القائلون بالصرفة مسالك متعددة، فبعضهم رأى أن الصرفة لا تجامع البلاغة، وأن العرب كان يمكنهم أن يأتوا بمثل القرآن لو لا صرف الله لهم عن ذلك، وهذه مقالة النظام وتبعه فيها ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة وابن حزم في الفصل، وذهب آخرون إلى أن القول بالصرفة لا يتناقض مع القول بالبلاغة، وعلى رأس هؤلاء الجاحظ الذي رد على النظام، والذي يرى أن بلاغة القرآن بعيدة أن يرقى إليها أحد من البشر، ولكن الله صرف همم القوم حتى لا تكون شبهة لضعفاء العقل أو ضعفاء الإيمان، ومن هذا الفريق الرماني الذي تحدث عن بلاغة القرآن، وأسهب في الحديث ولكنه ذكر الصرفة من أوجه الإعجاز كذلك، فذكر الرماني للبلاغة والصرفة معاً يخرجها من زمرة النظام، وقد يقال: فلم ذكر الصرفة وجهاً من وجوه الإعجاز ما دام يرى أن القرآن هو في أعلى طبقات البلاغة؟ وأقول: إن المتأمل في كلام الرماني يرى أن البلاغة عنده هي الوجه الراجح في الإعجاز، وليس الصرفة، وإنما الصرفة يمكن أن تكون وجهاً عقلياً من وجوه الإعجاز، فإذا رأى بعض العلماء أن الله قد صرف همم العرب عن المعارضة فهذا أمر يصح في العقول.

والفرق بين النظام وغيره كالجاحظ والرماني، أن النظام يرى أن البلاغة ليست من وجوه الإعجاز، وأن العرب لو خلوا وشأنهم لجاءوا بمثله، أما الرماني ومن سار على منواله،

(*) قول الغزالي هذا يتفق مع ما ذهب إليه شيخه الجويني في هذه المسألة، ينظر الجويني، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ص ٧٣-٧٤، وينظر د. أحمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني، ص ٧٠-٧٢.

فيرون أن الصرفة يمكن أن تكون وجهاً عقلياً من وجوه الإعجاز، ولكن العريب لو خلوا وشانهم ما كانوا ليستطيعوا ان يأتوا بمثل هذا القرآن لأنه في أعلى طبقات البلاغة^(١).

وهذه الإجابة الموفقة يمكن إنزالها على مقصد الإمام الغزالي، إذ أراد رحمه الله - بهذا القول أن بلاغة القرآن بعيدة عن أن يرقى إليها أحد من البشر، ولكن الله تعالى صرف همم العرب حتى لا تكون شبهة للضعفاء. ضعفاء العقل والإيمان - لا سيما وأنه يبرهن على إعجاز القرآن من جهة عقلية و منطق كلامي.

ومما يدل على أن الوجه الأثبت عند الإمام في الإعجاز إنما هو الإعجاز من حيث النظم والبلاغة، زيادة على ما جاء عنه من أقوال ونصوص دالة على هذا، ما جاء به من لفتات بيانية وتدقيقات أدبية وبلاغية كشف من خلالها عن بعض الأسرار القرآنية في الآيات، وكانت له الوقفات البارعة في استخلاص النكات واستخراجها ما يشهد له بالذوق الرفيع، وبالإطلاع العميق، وبالمعرفة الواسعة في دقة الإعجاز البياني.

وما من شك أن الإعجاز البياني هو الأظهر من بين الأوجه الأخرى للإعجاز، قال الشاطبي: (ومن هنا حصل إعجاز القرآن عند القائلين بأن إعجازه بالفصاحة، فقال تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله﴾^(٢) الآية، وقال تعالى: ﴿أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله﴾^(٣) الآية، وهو لائق أن يكون الإعجاز بالفصاحة لا بغيرها، وإذ لم يأتوا على هذا التقدير إلا من باب ما يستطيعون مثله في الجملة)^(٤).

(١) أ.د فضل عباس، النكت في إعجاز القرآن، تحليل ونقد، ضمن مجلة دراسات، المجلد السادس عشر، العدد العاشر، ١٩٨٩م، ص ١٢٠-١٢١.

(٢) سورة البقرة، ٢٣.

(٣) سورة هود، ١٣.

(٤) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة (٣/٢٩٠).

سادساً: إيراد القراءات الشاذة في التفسير دون التنبيه على شذوذها:

مع أن الغزالي أبان عن رأيه في القراءات الشاذة ولم يعدها قرآناً^(١)، إلا أنه أوردتها في تفسيره في أكثر من موضع في "الإحياء".

ومع أن الغزالي أوردتها على سبيل الاستئناس بها، ولم يكن لها شأن في تفسيره إلا من باب توسيع مدلول الآية وتعميق معناها، ولم يظهر أنه ابتنى عليها حكماً شرعياً، مما يدل على أنها ليست بشيء معتمد عنده إلا أنه لم يبين أنها من القراءات الشاذة أو على الأصح القراءات المدرجة من الصحابي على وجه التفسير، وكان الأليق في هذا المقام أن يشار إلى درجة القراءة ومرتبها ليتبين أمرها للقارئ.

ومن الأمثلة على ذلك:

أ- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾^(٢) الآية، حيث ينقل قراءة ابن عباس - رضي الله عنهما - وهي (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث)، يعني الصديقين، والمحدث: يعني الملهم^(٣)، وهنا استشهد الغزالي بالقراءة التفسيرية الواردة عن ابن عباس رضي الله عنهما - لبيان المعنى، والذي يبدو أن الاستشهاد هنا جاء على سبيل الاستئناس لا على سبيل الاعتضاد.

ب- ﴿ أن لا تطغوا في الميزان ﴾^(٤)، وقد فسّر الغزالي هذه الآية بناء على قراءة تفسيرية وردت عن ابن مسعود - رضي الله عنه - وهي: (وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا

(١) ينظر الغزالي، المستنصفى من علم أصول الفقه، (١/١٩٤).

(٢) سورة الحج، ٥٢.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣/١٣٩).

(٤) الرحمن، ٨.

الميزان) قال : أي لسان الميزان ، فان النقصان والرجحان يظهر ميله^(١) وهنا يوضح المعنى بناء على ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه لمزيد توضيح لمدلول الآية .

ج- وفي قوله تعالى : ﴿ سلام على إيل ياسين ﴾^(٢) ، قال (أي سلام على إلياس ، وقيل : إدريس ، لان في حرف ابن مسعود سلام على إدراسين)^(٣) .

ومما يجدر ذكره هنا أن القراءات الشاذة أو الأحادية أو المدرجة على وجه التفسير (القراءة التفسيرية) لا تعد من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، ولكن ينبغي معرفة أمرها وبيانها للناس، وفي هذا يقول الدكتور محمد علي الحسن: (وأما القراءة الشاذة فيجب القطع بكونها ليست قرآنا ولا من قبيل تفسير القرآن بالقرآن)^(٤).

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٥٤/٢).

(٢) الصافات ، ١٣٠ .

(٣) الغزالي ، إحياء علوم الدين (٣٨٧/١) ، وهذه على ما يبدو لغة وليست قراءة كما جاء في الكشاف(٦٢/٤).

(٤) د. محمد علي الحسن، المنار في علوم القرآن، ص ١٥١-١٥٢، نقلا عن دراسات في مناهج المفسرين للدكتور إبراهيم خليفة ص ٥٨.

الخاتمة

بعد هذه الوقفة في دراسة شخصية الإمام الغزالي العلمية والاجتماعية والبحث في أفكاره وآراءه التي قدمها خدمة لكتاب الله تعالى، والتي فمت بدراستها وجمعتها بغية إبرازها على وجه مستقل، وإن لم تكن منفصلة عن بقية الجوانب الثقافية الأخرى، إذ كان لها مساس مباشر بالموضوع الذي قصدت إليه الدراسة مراعاة لموسوعية فكر الإمام، وشمولية العقلية الفذة التي تمتع بها هذا الرمز، الذي غدا نبزاً ورمزاً من رموز العلم والمعرفة، حرياً بأن يحتذى في نهجه وأسلوبه في التفكير والتحصيل والتأليف.

أقول بعد هذه الدراسة التي أخذت مني الوقت والجهد والبذل، من استقراء وتتبع وتقص وتحليل وعرض ومناقشة، فإنه من المناسب أن أقدم بعض النتائج والاستخلاصات العلمية لهذه الدراسة، على أنه من الضرورة بمكان أن يشار إلى أنه ليس من المقصود في هذا المقام إيراد الخلاصة لكل مبحث، إذ سبق التركيز على هذه النتائج عقب كل موضوع قصدت إليه وبحتت فيه، وإنما المقصود تقييد النتائج المتحصلة من مجموع الدراسة ككل، بما يعد رؤية ذاتية وانطباقاً عاماً للموضوع.

أولاً: في ما يتعلق بشخصية الغزالي الاجتماعية والعلمية والدينية والعصر الذي عاش فيه: يبرز من خلال الدراسة أن الغزالي عاش مجتمعاً سادته التضارب في مناحي الحياة المختلفة بجوانبها المتعددة، إلا أن الظروف المتقلبة لم تحد من عطاء الإمام الغزالي العلمي، فكان متميزاً على الصعيد الاجتماعي والصعيد العلمي والديني، إذ أفاد من معطيات العصر في تكوين ثقافته وشخصيته العلمية، والتي تفوق بها على أقرانه وأهل عصره، ثم إن الدراسة توصلت إلى أن الغزالي كان عاملاً بعلمه.

وقد غدا الغزالي بحراً من بحور العلم، بعيد الشأو في التأليف، حذق المعارف وخاض غمارها، وجد في البذل وسعة الاطلاع في جميع مجالات العلوم، فكان فريد عصره ونسيج وحده.

وقد أملت علي هذه الدراسة انطباعاً وتصوراً عاماً، تمثل في مقدرة الإمام الغزالي على تحليل الآيات القرآنية، وموهبته الرائعة المتميزة في الكشف عن مراد الله - عز وجل - بقدر طاقته البشرية، بما أوتي من قوة في الفكر ومنزلة في الفهم، ومؤهلات أهله لأن يلج هذا الميدان الدقيق، وهذه المهمة الجليلة الخطيرة، وما هذه الاستعدادات والملكات إلا مكرمة إلهية يتفضل بها رب المنة والفضل - جل وعلا - على من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ثانياً: في التفسير وعلوم القرآن: من خلال دراسة جهود الإمام في التفسير وعلوم القرآن، لا يسعني إلا أن أسجل للإمام بكل حب واحترام واعتزاز وتقدير ما قدمه فكره من رأي، وما أمدنا قلمه من نقولات وفهوم، دلت دلالة واضحة على أن الغزالي غداً مفسراً حاذقاً، وعالمياً من علماء القرآن، ولعل ما قمت بدراسته من مؤلفاته المتنوعة في موضوعاتها، والتي صحت نسبتها إليه، ما كان إلا بعض الإشارات والمختصرات والإلماحات من تفسيره الذي حرمت الأجيال وطلاب العلم من رؤيته والاطلاع عليه، ذلكم هو تفسير (ياقوت التأويل في تفسير التنزيل) الذي بلغ بمجموعه أربعين مجلداً.

وإذا كان الغزالي ليس له تفسير مطبوع مشتهر متداول على وجه الاستقلالية، فإنه يمكن القول: إن كتبه (جواهر القرآن)، و (مشكاة الأنوار)، و (إحياء علوم الدين)، و (الحكمة في مخلوقات الله)، هي كتب قيمة عنيت بالتفسير عناية حثيثة بمختلف اتجاهاته وجوانبه، بل ركزت على أصول التفسير القرآني أيضاً، وهذا بدوره يشير إلى أن التفسير أخذ حيزاً واسعاً عند الإمام الغزالي، مما كان له كبير الأثر في إبراز الشخصية العلمية الواعية المفسرة لكتاب الله تعالى.

وأما في ميدان علوم القرآن، فإن الغزالي بدا صدرأ في هذا المجال، مطلعاً على ما ألف فيه، وما بحث فيه من مباحث ومسائل، إذ ثمة تقارب بين أصول الفقه وعلوم القرآن، وإن كان رحمه درس علوم القرآن من وجهة أصولية، ونظر بنظر الأصولي إلى مسائله وفروعه، ولكنه مع هذا كان ناقداً محللاً مناقشاً مجتهداً، فصل في القضايا المهمة لا سيما في كتابة القرآن وآداب تلاوته وفضائله، وموهم التعارض إذ قام بجهود رائعة مشكورة في عرضها.

ثالثاً : أصل الغزالي للتفسير بنظريات وأسس قويمه، وقد لهذا العلم ببيان أصوله العامة؛ -- ففي التفسير بالرأي تحدث الإمام عن شروطه المعتبرة، وعلومه المساعده التي ينبغي أن تكون في حوزة من يتصدى لهذه المهمة العظيمة، وذكر قواعد الاستدلال الصحيح لفهم الآيات القرآنية، وبين ما يجب على المفسر الاحتراز عنه مما يعد من المحاذير الخطيرة والمزالق المبيرة، التي تذهب بالتفسير عن غايته وأهدافه الصحيحة.

- وفي مجال التفسير بالمأثور، أحكم القضية من حيث النظرية، وأظهر أن لا تفسير فوق المأثور، ولا رأي يفوقه، وأن نقطة انطلاق المفسر هي اعتماد المنقول، ومن ثم التوسع في المدلول بالرأي بما يتلاءم والنقل الصحيح، غير أن الإمام بدت عنده هفوات من حيث التطبيق العملي، تمثلت في إيراد ما ضعف من الحديث وما وهن، فكان تقديره في هذا المبحث مثار نقد واعتراض، ولم يكن الغزالي بدعاً من المفسرين، فغيره ممن سبقه ومن جاء بعده وقعوا في الخطأ ذاته.

- في التفسير الإشاري: كان حديث الإمام عن التفسير الإشاري على غاية الدقة والأهمية في هذا الشأن، إذ نال إعجاب الباحثين، لا سيما حديثه عن التخبطات والشطحات الصوفية في التفسير، التي يمجه النقل والعقل مما يكون مدعاة لرد التفسير المنطوي على مثل هذه الأمور، وقد جاء تفسيره معتدلاً في هذا الجانب منضبطاً بضوابطه الشرعية.

- وفي التفسير العلمي: يمكن القول: إن تفسير الغزالي في هذا الجانب كان فتحاً في بابيه وموضوعه، من حيث المنهجية في التأصيل والمسلك العملي، فقد جاء بالأصول العامة للتفسير العلمي واستدل على جوازه وفق قواعد الاستدلال، وأطال النفس في بحث هذه القضية، ولم يكف ببحثها من ناحية نظرية، بل انسحب الأمر في ذلك إلى إنزال القواعد والأصول على التفسير، بحسب معطيات العصر وتنوع الثقافات المختلفة، مما فسح المجال لمن جاء بعده، فاتحاً له الباب على مصراعيه، ليقدّم الجديد والمفيد في هذا الموضوع؛ تحقيقاً لجوانب الهداية الإلهية، حتى غدا ما سجله مثار إعجاب وموضع رضى من قبل العلماء والباحثين الذين ساروا على منواله.

- وفي التفسير اللغوي: ظهر الغزالي لغوياً بارعاً، عالماً بلغة العرب نحوها وشعرها وصرفها وبلاغتها، فلا غرو في ذلك، إذ هو أصولي حاذق، دقيق النظر في استخراج الدقائق اللغوية، إلا أنه لم يتوسع في التفسير اللغوي كثيراً إلا بالمقدار الذي ينفك به اللفظ، ويتضح به المعنى، وتتكشف من خلاله الفائدة.

ومما يجدر ذكره أن الإمام الغزالي لم يكثر من الجوانب البلاغية في كتبه، وإن كان ما وقع بين يدي من تفسير بلاغي لبعض الآيات يشير إلى اطلاعه الواسع ومعرفته النامة بهذا الجانب.

رابعاً: عرض الغزالي لموضوعات على غاية الأهمية من خلال تفسيره لبعض آيات القرآن، فبحث في موضوع العقيدة وتناول أهم الموضوعات فيها وهي: توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية، والمغيبات، والرد على بعض الفرق الإسلامية في بعض قضايا العقيدة الإسلامية، فأجاد في بحثها ودراستها، وحسم الأمر في كثير من القضايا المختلف في شأنها، ثم قرر قواعد أهل السنة والجماعة في فهم العقيدة الإسلامية فهماً صحيحاً، موضحاً أن هذا هو المنهج الصواب في معرفتها.

وفي تفسير آيات الأحكام عرض للفقهاء وأصوله، فبين الأصول الشافعية وفق الأدلة من الكتاب والسنة، وبحث جوانب وموضوعات أصولية دقيقة، وعرض للفقهاء المقارن، إلا أن الإمام كان يميل إلى الفقه الشافعي دون دليل أحياناً، غير أنه في أغلب أحواله يجعل الدليل هو الهادي إلى الصواب.

إلا أنه كان عف اللسان مع من يخالفه من أرباب المذاهب الأخرى، فلم يجرّد اللسان ولم يطلق له العنان في النبيل من مقاماتهم، بل عرف لهم قدرهم وشأنهم.

خامساً: تأثر بالغزالي مفسرون وعلماء كثيرون، كان لهم عناية بالآيات والقضايا القرآنية، أخذ عنه هؤلاء العلماء آراء وأفكاراً على غاية في الأهمية، وأشادوا بعقليته الإمام وعلمه وتقدمه وارتضوا ما نقلوه عنه، إلا أن بعض المفسرين ناقش الغزالي في بعض الآراء وعرض لنقدها.

سادساً: وإذا كان لتفسيره تلك الأهمية والقيمة العلمية مالا يخفى على المتبصر، إلا أن ثمة ملحوظات بدت على تفسيره، وهي لا تعد هفوات بجانب تلك المآثر المتعددة، غير أن الأمانة العلمية وطبيعة البحث العلمي اقتضت تسجيلها ومناقشتها بحسب الأصول والمرجعية العلمية.

أمل أن يكون هذا العمل القليل في ميزان أعماله خالصاً مخلصاً لوجه الله تعالى، قاصداً به رضاه سبحانه، والله المستعان على كل خير وبر.

وأخيراً هو لنا أن لا يخرجك الله رب العالمين.

الطالب: زكريا علي محمود الخضرم.

فهرس الآبات

الصفحة	الآبة	الرقم الآبة
	سورة الفاتحة	١
٢٤٦	﴿الرحمن الرحيم﴾	٣
٢٨٤، ١١٣	﴿مالك يوم الدين﴾	٤
٢٨٤	﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾	٥
٢٨٤	﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾	٧
	سورة البقرة	
٢٦٩	﴿ألم﴾	١
٢٦٩	﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾	٢
٧٦	﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾	٣
١٢٩	﴿الله يستهزئ بهم﴾	١٥
٢٩٩	﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله﴾	٢٣
٢٠٥	﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾	٢٦
٩٧	﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾	٣١
٩٦	﴿وإياي فانتقون﴾	٤١
٢١٥	﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾	٦٠
١٣١	﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾	٩٣
١٦٤	﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾	١٢٠
٢٧٩	﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾	١٢١
١٩٨	﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾	١٥٠

٢٨٣،٢٧٥	﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾	١٥٧
٧٦	﴿وأتى المال على حبه ذوي القربى﴾	١٧٧
٧٣	﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت﴾	١٨٠
٢١٥،٥٥	﴿فعدة من أيام أخر﴾	١٨٤
٢٥٦	﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾	١٨٧
١٣١	﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾	١٩٤
٢١٠	﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾	١٩٥
١٢٩،٩١	﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾	١٩٦
	﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾	١٩٦
١١٠	﴿الحج أشهر معلومات﴾	١٩٧
٢٥٩،١٩٩	﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض﴾	٢٢٢
٢٥٦،٢١٢،١٩٧،١٩٦	﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾	٢٢٢
٢٧٣،		
٢٠٣،٥٢	﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾	٢٣٢
٢٦٤	﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾	٢٣٧
١٣٥	﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾	٢٥٧
٢٦٦،١٠٤	﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه﴾	٢٥٨
٢١٨،٩٢	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾	٢٦٤
٨١	﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾	٢٦٩
٦٢	﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾	٢٧١
٢١٧،١٣٤	﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾	٢٧٣
٩٦	﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾	٢٨١

سورة آل عمران

٣٣	(فيتبعون ما شباه منه)	٧
٢٦١	«هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات»	٧
٣١	«وما يعلم تأويله إلا الله»	٧
١٠٢	«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا»	٨
١٠٠	«ويحذركم الله نفسه»	٣٠
٥١	«قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله»	٣١
٤٣،٤٢	(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب)	٥٩
١٩٦	«ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك»	٧٥
١٤٨	(ويتفكرون في خلق السموات والأرض)	٩١
٢٠٣،١٩٤،٧١	«والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً»	٩٧
٩٦	«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته»	١٠٢
٢١١	«ليس لك من الأمر شيء»	١٢٨
١٨٧	«وسارعوا إلى مغفرة من ربكم»	١٣٣
٢٤٨	«والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس»	١٣٤
٩٠	«والله يحب الصابرين»	١٤٦
٢٨٨	(من بعدما أراكم ما تحبون)	١٥٢
٣٧	«فبما رحمة من الله لنت لهم»	١٥٩
٤٧	(والله يحب المحسنين)	١٧٤
١٤٦	«إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات	١٩٠
	لأولي الأبصار»	
١٥٩	(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا)	٢٠٠

النساء

١٦٣	﴿ولا توتوا السفهاء أموالكم﴾	٥
١٩٥	﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾	١٠
٢٧٨، ٢٧٧	﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾	١٩
٢٧٨	﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾	٢١
٢٠٥	﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾	٢٣
١٢٤	﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾	٢٩
٢٧٥	﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾	٣١
٢٧٨	﴿والصاحب بالجنب﴾	٣٦
٢١، ١٣٥، ٨٧، ٧٥، ٥٣	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾	٤٣
٦		
١٣٥	﴿أو لا مستم النساء﴾	٤٣
١٩٠، ٧٣، ٤٨	﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾	٤٨
٢٠٢	﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾	٥٩
٢٥٠	﴿ولو كان من عند غير الله لو جدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾	٨٢
٨٣	﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾	٨٣
٢٠٥	﴿فتحريم رقبة مؤمنة﴾	٩٢
١٩٠، ٧٣، ٤٨	﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾	٩٣
	﴿فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾	١٠٣
٥٦	﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم﴾	١١٥

١١٥	(وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)	١٧١
	سورة المائدة	
٢٧٣	﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾	٢
٢٠٥	(حرمت عليكم الميتة)	٣
١٩٤	﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم﴾	٦
١٩٦،٥٤	﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً﴾	٣٣
٢٥٧،٢٠٤،٧٢	﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾	٣٨
٢٠٠	﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾	٤٤
١٢٩	﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله﴾	٦٤
١٩٦	﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء﴾	٩١
	الأنعام	
٢٦٥،١٧٩	﴿وهو القاهر فوق عباده﴾	١٨
١٥٣	﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾	٣٨
١٥١	﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾	٧٥
٢٧٣،٢٧٢	﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً﴾	٧٦
٢٩١	﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي﴾	٧٨
١٠٤	﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾	٨٣
٢٠٠	﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾	٩٠
٢٧٦،١٩٦،١٥٧،١١٢	﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى﴾	٩١
١٦٤	﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾	١٢٢

الأعراف

١٨٥	﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾	٨
٢٨٩	﴿ ولأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾	١٦
١٦٦	﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباساً ﴾	٢٦
٢٩	﴿ لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾	٤٩
١٠٩، ١٠٨	﴿ هل ينظرون إلا تأويله ﴾	٥٣
١٠٣	﴿ أفأمنوا مكر الله ﴾	٩٩
١٩٢، ١٩١	﴿ قال رب أرني أنظر إليك ﴾	١٤٣
٢٣٤	﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ﴾	١٤٦
٤٨	﴿ إنا لا نضيع أجر المصلحين ﴾	١٧٠
٦٦، ٤٠	﴿ وأشهدهم على أنفسهم ﴾	١٧٢
٢٧٩	﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾	١٧٩
١٧٨	﴿ والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾	١٨٠
٩٩	﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾	١٩٤

الأنفال

٦٨	﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾	١
٨٦، ٦٨	﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾	٥
٢٥٣	﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾	١٧
١٢٩	﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾	٣٠
٢١٤	﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه ﴾	٤١
٩٩	﴿ ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم ﴾	٤٩
١٥٦	﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾	٦٠

التوبة

٢٧٣	﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين﴾	٥
٢٥٤	﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾	١٤
٢٥٦	﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾	٢٩
٢٨	﴿ورضوان من الله أكبر﴾	٧٢
١٦٤	﴿وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾	١٠٢
١٩٩	﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾	١٠٣
٢١٦	﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾	١٠٨
٢٧٩، ١٠٨	﴿ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم﴾	١٢٢

يونس

٩٩	﴿يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾	٣
١٤١	﴿وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾	٥
١٧٥	﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السع والأبصار﴾	٣١
١٧٤	﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾	٨٤

هود

٢٦٢	﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾	١
١١٤	﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾	٨
٢٩٩	﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾	١٣
١٠٤	﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا﴾	٣٢
٦٧	﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾	٦٩
٢٥٨	﴿أألد وأنا عجوز﴾	٧٢

١٠٣	«وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة»	١٠٢
يوسف		
١٧٤	«وما أنت بمؤمن لنا»	١٧
١٠٢	«فصبر جميل»	١٨
١١٤	«وادكر بعد أمة»	٤٥
١٣٢، ١٣٠، ١٢٩	«واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها»	٨٢
٤١	«عسى اله أن يأتيني بهم جميعاً»	٨٣
١٩١	«فإن الله لا يضيع أجر المحسنين»	٩٠
الرعد		
١٨٣	«قل الله خالق كل شيء»	١٦
١٥٨	«أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها»	١٧
الحجر		
١٨٣، ١٤٢	«فإذا سويته ونفخت فيه من روحي»	٢٩
١٢٤	«وسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس»	٣١-٣٠
٤٨	«ادخلوها بسلام آمنين»	٤٦
١٠٠	«نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم»	٤٩
١٠٠	«وأن عذابي هو العذاب الأليم»	٥٠
النحل		
١٧٨، ١٤٥	«ويخلق ما لا تعلمون»	٨
١٥٠	«وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحمه طرياً»	١٤
١٧٦، ٤٥	«إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون»	٤٠
١٨٠	«يخافون ربهم من فوقهم»	٥٠

٣٢	(ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشبهون)	٥٧
٣٢	﴿ ويجعلون لله ما يكرهون ﴾	٦٢
١١١	(من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين)	٦٦
٩٨	﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾	٧٧
٣٤	﴿ لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾	١٠٣
١١٤	﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾	١٢٠
٩٠	﴿ شاكراً لأنعمه ﴾	١٢١
الإسراء		
٩٠	﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾	٣
١٩٥	﴿ فلا تقل لهما أف ﴾	٢٣
٢١٨	﴿ فإنه كان للأوابين غفورا ﴾	٢٥
١٧٦	(قل لو كان معه الهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سييلاً)	٤٢
٨٦	﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ﴾	٥٩
١٣١	﴿ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾	٧٥
١٨٣، ١٢٦	﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾	٨٥
٢٨	﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ﴾	٩٧
١١٧	(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن)	١١٠
الكهف		
١٢٩	﴿ أحاط بهم سرادقها ﴾	٢٩
٤٧	﴿ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾	٣٠
٢٩٢	(وما أظن الساعة قائمة)	٣٦
١٢٤	(إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه)	٥٠

٢٩١	(ما أشهدتهم خلق السموات والأرض)	٥١
١٢٩	﴿فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض﴾	٧٧
مريم		
١١٥	(فأرسلنا إليها روحنا)	١٦
٤٥	(إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون)	٣٥
١٨٧، ١٥٧، ١٠٣، ٤٧	﴿وإن منكم إلا واردها﴾	٧١
١٩٠		
١٩٠، ١٨٧، ١٥٧، ٤٧	﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾	٧٢
١٠٣	﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾	٨٥
٢٨	﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾	٨٦
طه		
٢٦٥	﴿الرحمن على العرش استوى﴾	٥
١٦٨	﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾	١٤
٣٣	﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾	١٥
٨٤	﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾	٢٤
١٩٠، ١٠٣، ٤٧	﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾	٨٢
١٣٢، ٨٧	﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى﴾	١٢٩
الأنبياء		
١٩٢، ١٧٦	(لو كان فيها الهة إلا الله لفسدنا)	٢٢
١٨٨	﴿ لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾	٢٣
١٤٨	﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾	٣٢
١٨٥	﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾	٤٧

١٦٤	﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾	٥١
٢٠٧، ٨١، ٤١	﴿إذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾	٧٩-٧٨

الحج

٢٩٠	﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾	٥
١٣٦	﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض﴾	١٨
٣٥	﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب﴾	٢٣
٧٢	﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾	٢٩
١٢٩	﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات﴾	٤٠
٣٠٠	﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾	٥٢

المؤمنون

١٥٢	﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾	١٢
٧١	﴿والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة﴾	٦٠
١٧٦	﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله﴾	٩١

النور

٢٥٧	﴿الزانية والزاني﴾	٣
٢٨	﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾	٢٤
٩٥	﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾	٣٠
٥٢	﴿وأنكحوا الإيامى﴾	٣٢

٢٧١،١٢٩	«الله نور السموات والأرض»	٣٥
٩٧	«ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقاه فأولئك هم الفائزون»	٥٢

الفرقان

١٠٣	«وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً»	٢٣
٨٩	«وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر»	٦٢
١٢١،١٠٩	(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً)	٦٣

الشعراء

٤١	(إنا معكم مستمعون)	١٥
١٠٥	«قال فرعون وما رب العالمين»	٢٣
١٤١	«وإذا مرضت فهو يشفين»	٨٠
١٢٤	(فإنهم عدو لي إلا رب العالمين)	٧٧
١٦٦	«إلا من أتى الله بقلب سليم»	٨٩
٢٤٩	«فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون»	٢١٦
١٠٦	(الذي يراك حين تقوم)	٢١٨
١٢١	(والشعراء يتبعهم الغاؤون)	٢٢٤

النمل

٩٨	«وأوتيت من كل شيء»	٢٣
١٨٩	«من جاء بالحسنة فله خير منها»	٨٩
١٩٠	«ومن جاء بالسينة فكبت وجوههم في النار»	٩٠

القصص

١١٤	«وجد عليه أمة من الناس يسقون»	٢٣
١٠٣	«فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين»	٦٧
العنكبوت		
٩٩	«إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه»	١٧
سورة الروم		
٤٥	«أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم	٩
٦٤	«ومن آياته أن خلقكم من تراب»	٢٠
١٤٦	«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون»	٢١
٦٦	«فطرت الله التي فطر الناس عليها»	٣٠
لقمان		
٦٧	«وفصّاله في عامين»	١٤
٢٠٩	«إن أنكر الأصوات لصوت الحمير»	١٩
١٨٥	«ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة»	٢٨
السجدة		
٢١٧	«تتجافى جنوبهم عن المضاجع»	١٦
٢٨	«فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون»	١٧
الأحزاب		
١٠٣	«ليسأل الصادقين عن صدقهم»	٨
١٢٩	«إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة»	٥٧

سبأ

٢٤٧،٩٠ «وقليل من عبادي الشكور» ١٣

فاطر

٢٨٨،٢٠٩ «يزيد في الخلق ما يشاء» ١

١٤١،٩٠ «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل» ١٣

١٠٥،١٠٤ «إنما يخشى الله من عباده العلماء» ٢٨

٦٣،٦٢ «وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية» ٢٩

يس

١٤٥ «سبحان الذي خلق الأزواج كلها» ٣٦

١٤١ «والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» ٣٨

٢٨ «سلام قولا من رب رحيم» ٥٨

١٤١ «وما علمناه الشعر وما ينبغي له» ٦٩

٦٤ «أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة» ٧٧

١٨٤ «قال من يحيي العظام وهي رميم» ٧٨

٢٨٩ «فإذا أنتم منه توقدون» ٨٠

٤٤ «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» ٨٢

الصفات

١٨٦	(فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم إنهم مسؤولون)	٢٣-٢٤
٢٦٠	«قد صدقت الرؤيا»	١٠٥
٢٦٠	«و فديناه بذبح عظيم»	١٠٧
٣٠١	«سلام على آل ياسين»	١٣٠
ص		
٤١	(وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب)	٢١
٢٧٤	«وظن داود أنما فتناه»	٢٤
٩٠	«إنا وجدناه صابرا نعم العبد»	٤٤
٤٣	(قال ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)	٧٥
الزمر		
١٤٩	(وانزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج)	٤
٩٠	«إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب»	١٠
٢٠١	«الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»	١٨
١٦٤	«أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه»	٢٢
٢٦٢	«الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها»	٢٣
٩٩،٦٧	«أليس الله بكاف عبده»	٣٦

٢٧	﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم ما الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾	٤٧
٢٠١	﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾	٥٥
	غافر	
١٠٠	﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾	٣٠
٩٦	﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾	١٩
	فصلت	
١٧٩	﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾	١١
١٥٧	﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾	٣٠
١٩٧	﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله﴾	٣٧
١٠٣	﴿اعملوا ما شئتم﴾	٤٠
١٤٧	﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾	٥٣
	الشورى	
١٧٨، ١٣٠	﴿ليس كمثل شيء﴾	١١
١٠٣	﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾	٢٠
٢٨٨	﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾	٢٦
١٩٠	﴿ألا إن الظالمين في عذاب مقيم﴾	٤٥

١٨٢	(وما كان من البشر أن يكلمه الله إلا وحياً)	٥١
	الزخرف	
١١٤	«إنا وجدنا آباءنا على أمة»	٢٢
٦٦	«ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله»	٨٧
	الأحقاف	
١٢٣	(وإذ لم يهتدوا به فيسقولون هذا إنك قديم)	١١
٦٧	«وحمله وفصاله ثلاثون شهراً»	١٥
٩٨	«تدمر كل شيء بأمر ربها»	٢٥
١٧٤	(فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين* فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)	٣٦-٣٥
	محمد	
٥٠	«وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى»	١٥
	الفتح	
١٩١	«يغفر لمن يشاء»	١٤
٢٠٢	«لقد رضي الله عن المؤمنين»	١٨
٧٧	«سماهم في وجوههم من أثر السجود»	٢٩

الحجرات

- ١١٧ (وقال قرينه هذا ما لدي عتيد) ٢٣
- ١٧٤ (قالت الأعراب أما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) ١٤

ق

- ١٧٥ (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) ٦
- ١١٥ (وقال قرينة هذا ما لدي عتيد * ألقيا في جهنم كل كفار عتيد) ٢٤-٢٣
- ١١٥ (قال قرينة ربنا ما أطفيتة) ٢٧
- ١٠٠ (من خشى الرحمن بالغيب) ٣٣
- ٢٧ (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) ٣٥

الذاريات

- ١٤٩ (والسما ذات الحيك) ٧
- ١٤٨ (وفي السماء رزقكم وما توعدون) ٢٢
- ٦٦ (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) ٢٤
- ٦٧ (فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين) ٢٦
- ١٧٤ (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) ٣٦، ٣٥

٢٩١	﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾	٤٩
١٤٨	﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾	٤٨
الطور		
٢٩	﴿أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون﴾	١٥
٢٩١	﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾	٣٥
النجم		
١٧٧	﴿إن هي إلا أسماء سميتوها﴾	٢٣
الرحمن		
١٤١	﴿الشمس والقمر بحسبان﴾	٥٠
٣٠٠	﴿أن لا تطغوا في الميزان﴾	٨
١٠٣	﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾	٣١
٣٥	﴿ولمن خاف مقام به جنتان﴾	٤٦
الواقعه		
١٣٣	﴿وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون﴾	٢٠، ٢١
١٤٥	﴿وننشئكم في ما لا تعلمون﴾	٦١
١٥٦	﴿لا يمسّه إلا المطهرون﴾	٧٩

الحديد

- ١٧٩ «وهو معكم أينما كنتم» ٤
- ٤٧ «والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون» ١٩
- ١٤٩ «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد» ٢٥

المجادلة

- ١١٥ (وأيدهم بروح منه) ٢٢

الحشر

- ١١١ (فاعتبروا يا أولي الأبصار) ٢
- ١٣٤ «للفقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم» ٨
- ١٢٦ (يحبون من هاجر إليهم) ٩٠
- ١٠٨ «لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله» ١٣
- ٢٣٩، ١٧٣ «الملك القدوس السلام» ٢٣

المتحنة

- ٨٦، ٦٩، ٦٨ «حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم» ٤

الصف

- ٣٩ (إلى المرافق) ١٤

المنافقون

٩٩	﴿ والله خزائن السموات والأرض ﴾	٧
١٤١	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾	٩
١٠٢،٧٦	﴿ وأنفقوا مما رزقناكم ﴾	١٠
<h2>الطلاق</h2>		
٨٨	﴿ ومن قدر عليه رزقه فلينفق ما آتاه الله ﴾	٧
<h2>التحريم</h2>		
٤١	﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾	٤
<h2>الملك</h2>		
١٩٠،١٨٩	﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ﴾	٨
٤٧	﴿ فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ﴾	٩
٢٧٨	﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾	١٤
٢٨	﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه ﴾	٢٢
<h2>سورة القلم</h2>		
١٠٢	﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾	٤٤
<h2>الحاقة</h2>		
١٠٦	﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾	٢٤

الجن

- ١٣ «فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا» ١٩٠،١٨٩،٤٧
- ٢٣ «ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم» ١٩٠،٤٨

القيامة

- ٩-٨ «وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر» ١٤١
- ٢٣-٢٢ «وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة» ١٩١
- ٣٧ « ألم يك نطفة من مني يمى ثم كان علقة فمخلق فسوى » ٦٥
- ٣٩ « فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى » ٦٥

الإنسان

- ١ «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا» ٩٩،٦٤
- ٢ «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج» ٢٨٩،٦٨،٦٤

المرسلات

- ٢٦-٢٥ «ألم نجعل الأرض كفاتا * أحياء وأمواتا» ١٤٨
- ٣٦-٣٥ «هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون» ٢٩

النازعات

- ٢٨ «رفع سمكها فسواها» ١٤٨
- ٤١-٤٠ «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي» ١٠٤

	المأوى	
٣٣	يسألونك عن الساعة	٤٢
	عبس	
٦٣	قتل الإنسان ما أكفره	١٧
	الانفطار	
١٤١	يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك	٦، ٧، ٨
	المطففين	
٢٠٨	ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون	٣-١
١٩٢، ١٣٣	كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون	١٥
	الانشقاق	
٢١٤	إذا السماء انشقت	١
	الأعلى	
١٧٨	سبح اسم ربك الأعلى	١
	الفجر	
٢٣٩، ١٧٣	ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد	٧-٦

	الباء	
٦٥	«ألم نجعل له عينين»	٨
	الشمس	
٢١٧،١٦١	«قد أفلح من زكاها»	٩
	الليل	
١٩٠،١٨٩،٤٧	«لا يصلها إلا الأشقى»	١٥
١٩٠،١٨٩	«الذي كذب وتولى»	١٦
١٢٥	«وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى»	٢٠-١٩
	الضحي	
٧٣	«ولسوف يعطيك ربك فترضى»	٥
	القدر	
١١٥	«تنزل الملائكة والروح فيها»	٤
	البينة	
١٦٥	«رضي الله عنهم ورضوا عنه»	٨
	الزلزلة	
١٩٥،١٣٧،١٠٣	«فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره»	٧

	الفيل	
٢٣٩،١٧٣	﴿الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾	١
	الماعون	
٧٦	﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾	٥
	العصر	
١٩٠،١٠٣،٤٧	« والعصر * إن الإنسان لفي خسر »	٢-١
	الإخلاص	
٢٤٠،١٧٣	﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾	١
	الفلق	
١٠١	﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾	٥

فهرس الأحاديث الشريفة

رقم الصفحة	الحديث
	أ
٧٣	((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي))
٢١٢	((افعلوا كل شيء إلا الجماع))
٨٣	((اللهم فقهه في الدين))
٢١١	((اللهم عليك بأبي جهل))
٩٣	((إن الصدقة بيد الله - عز وجل))
٣٦	((إن لله تسعاً وتسعين اسماً))
٢٠٢	((إن منكم لمحدثين))
١٧٥	((أي الأعمال أفضل))
	ت
٨٤	((تسحروا فإن في السحور بركة))
	خ
٢١٢	((خذي ثياب حيضتك))
٣٥	((الخيمة درة مجوفة))
	ز
٧١	((الزاد والراحلة))
	س
٢١٤	((سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة إذا السماء انشقت))
	ط
٧٢	((الطواف بالبيت صلاة))

ك

- ١٦٨ ((كلمتان حبيبتان إلى الرحمن))
«كلموا الناس بما يعرفون»

ل

- ٧٢ ((لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه))
٧٢ ((لا قطع إلا في ربع دينار))
٧٢ ((لا وصية لوارث))
٩٣ ((لا يقبل الله صدقة منان))
٣٥ ((لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يهوديا أو نصرانيا))
١٢١ ((لئن يمتلئ جوف أحدكم قيما))

م

- ١٦٨ ((ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه))
٨٢ ((من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار))
٢٣٩ ((من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن))
٢١٤ ((من لم يسجدهما فلا يقرأهما))

هـ

- ٩٤ ((هم الاخسرون ورب الكعبة))
٧١ ((هو التوسعة، إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر))

و

- ١٤٨ ((ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم مسح بها سبيلته))

ي

- ٧٣ ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان))

فهرس المصادر والمراجع

- الدكتور أحمد شلبي؛ موسوعة التاريخ الإسلامي؛ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة؛ ط ٨؛ ١٩٨٥ م.
- الدكتور أحمد عمار؛ نظرية الإعجاز القرآني؛ دار الفكر المعاصر - بيروت؛ ودار الفكر - دمشق؛ ط ١؛ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ابن الأثير؛ الإمام عز الدين أبو الحسين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الحكيم؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة، مكتبة الشعب، ط (-)، ت (-).
- _____، الكامل في التاريخ؛ دار الكتاب العربي - بيروت؛ ط ٤، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- الأزهرى، خالد بن عبدالله، شرح التصريح على التلويح على ألفية ابن مالك في النحو لابن هشام، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط (-)، ت (-).
- الأشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر، ت ٣٢٤ هـ، الإبانة عن أصول الديانة، دار الأنصار - القاهرة، ط ١، ١٣٩٧ هـ.
- _____، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ت (-).
- الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، ت (٣٥٦) هـ، كتاب الأغاني، دار الفكر، بيروت، ط ٢، سنة النشر مجهولة.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ت (٥٠٢) هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلالي، مطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.
- الألويسي؛ الإمام محمود بن عبد الله؛ ت (١٢٧٠) هـ؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ ط. د، ن. د.
- الأمدي، علي بن محمد أبو الحسن ت ٦٣١ هـ، الإحكام، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١،

١٤٠٤هـ.

_____، غاية المرام في علم الكلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة، ط(-)، ١٣٩١هـ.

- الإيجي، عضو الدين عبد الرحمن بن أحمد، ت (٧٥٦)هـ، المواقف، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- بابي، د. عزيزة فوال، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، دار صادر - بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

- الباقلاني؛ الإمام أبو بكر محمد بن الطيب؛ ت (٤٠٣)هـ؛ إعجاز القرآن؛ تعليق صلاح عويضة؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- ؛ التقريب والإرشاد؛ تحقيق: عبد الحميد أبو زنيد؛ مؤسسة الرسالة - بيروت؛ ط١؛ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- البخاري؛ الإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، ت (٢٥٦)هـ؛ الجامع الصحيح؛ دار ابن كثير - اليمامة، بيروت؛ ط٣؛ ١٩٨٧م.

- بروكلمان؛ كارل؛ تاريخ التراث العربي؛ نقله إلى العربية عبد الحلیم النجار وآخرون؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ط. د؛ ١٩٩٣م.

- البغدادي، عبد القادر بن عمر، ت (١٠٩٣)هـ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية، دار صادر، بيروت، ط (-)، ت (-).

- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، ت (٤٢٩)هـ، الفرق بين الفرق وبيان والفرقة الناجية، دار الآفاق - الجديدة - بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

- البيجوري، إبراهيم بن محمد، شرح جوهرة التوحيد للعلامة إبراهيم النقاشي، دار الكتب العلمية بيروت، ط(-)، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- البيهقي؛ الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر؛ ت (٤٥٨هـ)؛ الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة؛ دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- _____، الزهد الكبير، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الجنان - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- _____؛ السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا؛ مكتبة دار الباز - مكة المكرمة؛ ط. د؛ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- _____؛ شعب الإيمان؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط١؛ ١٤١٠هـ.
- الترمذي؛ الإمام محمد بن عيسى السلمى؛ ت (٢٧٩هـ)؛ الجامع الصحيح؛ دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ ط. د، ن. د؛ وطبعة المكتبة الإسلامية؛ ط. د؛ ن. د.
- ابن تغري بردي؛ الإمام جمال الدين يوسف الأتابكي؛ ت (٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة؛ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - مصر؛ ط. د؛ ط. د؛ ن. د.
- التفتازاني، د. أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر - القاهرة، ط٣، ١٩٨٣.
- ابن تيمية؛ الإمام أحمد بن عبد الحلیم أبو العباس؛ ت (٧٢٠هـ)؛ بيان تلبیس الجهمیة؛ مطبعة الحكومة - مكة المكرمة؛ ط١؛ ١٣٩٣هـ.
- _____؛ بغية المرئاد في الرد على الفلاسفة والقرامطة والباطنية، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ.
- _____؛ كتب و رسائل و فتاوى ابن تيمية في التفسير؛ تحقيق عبد الرحمن النجدي؛ ط. د، ن. د.
- _____؛ العقيدة الواسطية، الرئاسة العامة لإدارة البحوث والإفتاء - الرياض، ط٢،

١٤١٢هـ.

- _____؛ مجموع الفتاوى؛ مكتبة ابن تيمية؛ ط.د؛ ن. د.
- _____؛ مقدمة في أصول التفسير؛ دار مكتبة الحياة - بيروت؛ ط. د، ن.د.
- الثعالبي؛ الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، ت (٨٧٦) هـ؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن؛ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط.د؛ ن. د.
- الجرجاني؛ الإمام أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن؛ ت (٤٧١) هـ؛ الرسالة الشافية؛ تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام؛ دار المعارف بمصر؛ ط٢؛ ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
- الجرجاني؛ الإمام علي بن محمد بن علي؛ ت (٨١٦) هـ؛ التعريفات؛ تحقيق: إبراهيم الأبياري؛ دار الكتاب العربي - بيروت؛ ط١؛ ١٤٠٥هـ.
- ابن جزى، محمد بن أحمد الكلبي، ت (٢٩٢) هـ، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر، ط(-)، ت (-).
- الجصاص؛ أحمد بن علي الرازي الحنفي، ت (٣٧٠) هـ، أحكام القرآن، تحقيق. محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط (-)، ١٤٠٥هـ.
- ابن جنى؛ الإمام أبو الفتح عثمان؛ ت (٣٩٢) هـ؛ الخصائص؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط. د؛ ن. د.
- ابن الجوزي؛ الإمام عبد الرحمن أبو الفرج؛ ت (٥٩٧) هـ؛ تلبيس إبليس؛ دار الكتاب العربي - بيروت؛ ط١؛ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- _____؛ زاد المسير إلى علم التفسير، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
- _____؛ كتاب الموضوعات؛ دار الفكر - بيروت؛ ط٢؛ ١٩٨٣م.
- _____؛ المنتظم في أخبار الملوك والأمم؛ تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى

عبد القادر عطا؛ ط١؛ دار الكتب العلمية؛ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- الجويني؛ الإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله النيسابوري؛ ت (٤٧٨)هـ؛ العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية؛ تحقيق: أحمد حجازي السقا؛ مكتبة الكليات الأزهرية؛ ط. د؛ ن. د.

- الجمحي، محمد بن سلام، ت (٢٣٢)هـ، طبقات فحول الشعراء، شرح محمود شاكر، مطبعة المدني - القاهرة، ط(-)، ت (-).

- حاجي خليفة؛ الإمام مصطفى بن عبد الله الرومي الحنفي؛ ت (١٠٦٧)هـ؛ كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط. د؛ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- ابن حبان؛ الإمام محمد بن حبان التميمي البستي؛ ت (٢٥٤)هـ؛ صحيح ابن حبان؛ تحقيق: شعيب الأرنؤوطي؛ مؤسسة الرسالة؛ بيروت؛ ط٢؛ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، ت (٨٥٢)هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل - بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- أبو حجر؛ أحمد عمر؛ التفسير العلمي للقرآن في الميزان؛ دار قتيبة - بيروت؛ ط١؛ ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، ت (٤٥٦)هـ، الأحكام، دار الحديث - القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.

- _____، الفصل بين المثل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (-)، ت (-).

- _____؛ المحلي، دار الافاق الجديدة - بيروت، ط (-)، ت (-).

- الحسن؛ الدكتور محمد علي؛ المنار في علوم القرآن، مطبعة الشرق ومكتبتها عمان؛ ط١،
١٩٨٣م.
- حفني، د. عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط٣،
٢٠٠٠م.
- الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، دار ابن قيم
الجوزية الدمام، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- حلمي، أحمد كمال الدين؛ السلاجقة في التاريخ والحضارة؛ مكتبة ذات السلاسل - الكويت؛
ط٢؛ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- الحموي؛ الإمام ياقوت بن عبد الله؛ ت (٦٢٦)هـ، معجم الأديباء؛ دار الكتب العلمية؛
بيروت؛ ط١؛ ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- الحنبلي، إبراهيم بن محمد بن عبد الله، ت (٨٨٤هـ)، المبدع، المكتب الإسلامي - بيروت،
ط(-)، ١٤٠٠هـ.
- _____، معجم البلدان؛ دار صادر؛ بيروت؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ابن خزيمة؛ الإمام محمد بن إسحق السلمي؛ ت (٣١١)هـ؛ صحيح ابن خزيمة؛ المكتب
الإسلامي - بيروت؛ ط. د؛ ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- الخطابي، الإمام أبو سليمان محمد بن محمد بن إبراهيم البستي؛ ت (٣٨٨)هـ، بيان إعجاز
القرآن؛ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن؛ تحقيق: محمد خلف الله محمد سلام زغلول؛
دار المعارف بمصر؛ ط٢؛ ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
- ابن خلكان؛ الإمام أحمد بن محمد؛ ت (٦٨١)هـ؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛
تحقيق: الدكتور إحسان عباس؛ دار صادر - بيروت؛ ط. د؛ ن. د.
- الداني، الإمام عثمان بن سعيد أبو عمرو، ت (٤٤٤)هـ، المحكم في نقط المصاحف؛

- تحقيق: عزت حسن؛ دار الفكر .. دمشق؛ ط٢؛ ١٤٠٧هـ.
- أبو داود؛ الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني؛ ت (٢٧٥)هـ؛ سنن أبي داود؛ دار الفكر، ط. د؛ ن. د.
- الدبوسي، عبيدالله بن عمر بن عيسى، ت (٤٣٢)هـ، الأسرار والفروع في تقويم أدلة الشرع، تحقيق: د. محمود العواظلي، دار المصطفى - القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- دراز؛ الدكتور عبد الله؛ النبأ العظيم؛ دار القلم - الكويت ؛ ط. د؛ ١٩٧٠م.
- الدريني، أ.د فتحى، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الدسوقي، محمد عرفة، حاشية الدسوقي، دار الفكر - بيروت.
- الدمياطي، السيد البكري بن السيد محمد شطا، إعانة الطالبين، دار الفكر - بيروت، ط (-)، ت (-).
- الذهبي؛ الإمام محمد بن أحمد ؛ ت (٧٤٨)هـ، سير أعلام النبلاء؛ تحقيق: شعيب الأرنؤوطي؛ مؤسسة الرسالة؛ بيروت، ط١؛ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- _____؛ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- الذهبي، الدكتور محمد حسين الذهبي؛ التفسير والمفسرون؛ دار إحياء التراث العربي - مصر؛ ط٢؛ ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- الرازي؛ الإمام محمد بن عمر التميمي؛ ت (٦٠٦)هـ؛ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ؛ دار الفكر العربي - بيروت، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، وطبعة دار الكتب العلمية - بيروت، وطبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- _____، المحصول من علم الأصول، جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض، ط ١، ١٤٠٠هـ.
- الرازي؛ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر؛ ت (٧٢١)هـ، مختار الصحاح؛ مكتبة لبنان ناشرون - بيروت؛ طبعة جديدة؛ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- الرماني؛ الإمام أبو الحسن علي بن عيسى؛ ت (٣٨٦) هـ؛ النكت في إعجاز القرآن؛ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن؛ تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام؛ دار المعارف بمصر؛ ط ٢؛ ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨ م.
- الرومي؛ الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن؛ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري؛ مؤسسة الرسالة؛ ط ٣؛ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.
- الروياني؛ الإمام محمد بن هارون؛ ت (٢٠٧)هـ مسند الروياني؛ مؤسسة قرطبة - القاهرة؛ ط ١؛ ١٤١٦هـ.
- د. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ١، ١٩٧٧ م.
- الزبيدي؛ السيد محمد مرتضى؛ ت (١٢٠٥)هـ؛ إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ ط. د؛ ن. د.
- _____، تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر - بيروت، ط (-)، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م.
- الزركشي؛ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله؛ ت (٧٩٤)هـ؛ البرهان في علوم القرآن؛ تحقيق: الدكتور يوسف مرعشلي وآخرون؛ دار المعارف - بيروت؛ ط ٢؛ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٤ م.
- الزركلي؛ خير الدين؛ فهرس الأعلام؛ دار العلم للملايين - بيروت؛ ط ٥؛ ١٩٨٠ م.
- زكي مبارك؛ الأخلاق عند الغزالي؛ دار الجيل - بيروت؛ ط ١؛ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.

حقائق التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي؛ دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ ط ١،
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- أبو زهرة؛ محمد؛ أصول الفقه؛ دار الفكر العربي بيروت؛ ط. د؛ ن. د.
- السبكي؛ الإمام أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين ت (٧٧١هـ)؛ جمع الجوامع في أصول الفقه، تعليق: عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- _____، طبقات الشافعية الكبرى؛ دار المعرفة للطباعة والنشر؛ بيروت؛ لبنان؛ ط. د، ن. د، وطبعة مطبعة دار إحياء الكتب العربية؛ القاهرة؛ تحقيق: د. محمد الحلوة؛ ط. د؛ ن. د.
- السرخسي؛ الإمام محمد بن أبي سهل أبو بكر؛ المبسوط؛ دار المعرفة - بيروت؛ ط. د؛ ١٤٠٦هـ.
- ابن سعد، محمد بن منيع البصري، ت (٢٣٠) هـ، الطبقات الكبرى، دار صادر - بيروت، ط (-)، ت (-).
- أبو السعود؛ الإمام محمد بن محمد العمادي؛ ت (٩٥١)هـ؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؛ دار إحياء التراث العربي . بيروت؛ ط. د؛ ن. د.
- السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، كتاب شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني - القاهرة - ط (-)، ت (-).
- سلقيني؛ الدكتور عبد الله محمد؛ عبد الله بن عباس ومدرسته في التفسير بمكة المكرمة؛ دار السلام؛ ط ١؛ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- السلطان؛ الدكتور فريد مصطفى؛ محمد عزت دروزة وتفسير القرآن الكريم؛ مكتبة الرشيد؛ الرياض؛ ط ١؛ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
- أبو سليمان، الأستاذ الدكتور عبد الوهاب؛ كتابة البحث العلمي (صياغة جديدة)؛ دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١؛ ١٩٩٢م.

العلمية - بيروت، ط ١؛ ١٩٩٢ م.

- السمرقندي؛ الإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، ت (٣٧٥) هـ، بحر العلوم؛ تحقيق: علي معوض وزملاؤه؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ ط ١؛ ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

- السمين الحلبي؛ الإمام أحمد بن يوسف بن عبد الدائم؛ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ؛ تحقيق: محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ ط ١؛ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

- ابن سنان الخفاجي؛ الإمام عبد الله بن محمد بن سعيد؛ ت (٤٦٦) هـ، سر الفصاحة؛ شرح عبد المتعال الصعيدي؛ مطبعة محمد علي صبيح وأولاده - مصر؛ ط. د؛ ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، ت (١٨٠) هـ، ، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت، ط (-)، ت (-).

- السيرافي، أبو محمد يوسف بن المرزبان، شرح شواهد سيبويه، تحقيق: محمد الريح هاشم، دار الجيل - بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

- السيوطي؛ الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر؛ ت (٩١١) هـ؛ الإتيان في علوم القرآن؛ تحقيق: د. مصطفى البغا؛ دار ابن كثير - دمشق؛ ط ٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، وطبعة الحلبي.

- _____، الإكليل في استنباط التنزيل؛ تحقيق: سيف الدين الكاتب؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط ٢؛ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- _____؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور؛ دار الفكر - بيروت؛ ط. د، ١٩٩٣؛ وطبعة دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط ١؛ ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

- _____؛ طبقات المفسرين؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط. د؛ ن. د.

الأوقاف القطرية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- _____؛ لباب النقول في أسباب النزول؛ دار الكتب العلمية بيروت؛ ط. د؛ ن. د.
- سيد قطب؛ في ظلال القرآن؛ دار الشروق - بيروت؛ ط ١٠؛ ١٤٠٢هـ.
- الشاشي، محمد بن أحمد النقال، ت (٥٠٧هـ)، حلية العلماء، مؤسسة الرسالة - دار الأرقم - بيروت - عمان، ط١، ١٤٠٠هـ.
- الشاطبي؛ الإمام أبو إسحق إبراهيم بن موسى اللخمي؛ ت (٧٩٠هـ)؛ الموافقات في أصول الشريعة؛ دار الكتب العلمية - بيروت، وطبعة الشرق الأدنى.
- الشافعي؛ الإمام محمد بن إدريس المطلبي؛ ت (٢٠٤هـ)، أحكام القرآن؛ جمع الإمام أحمد بن الحسين البيهقي؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط. د؛ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- _____، الأم، دار المعرفة - بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.
- _____، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط. د، ن. د.
- الشربيني، محمد الخطيب، الإقناع، دار الفكر - بيروت، ط (-)، ١٤١٥هـ.
- عبد الحميد، حواشي الشرواني، دار الفكر - بيروت، ط (-)، ت (-).
- _____، روضة الطالبين، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- مفني المحتاج، دار الفكر - بيروت - ط(-)، ت (-).
- الشنقيطي؛ محمد الأمين الجكني؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الأصفهاني - جدة، ط. د، ن. د.
- _____، منع جواز المجاز في المنزل للتعب والإعجاز؛ تحقيق سامي بن العربي؛ دار الجيل؛ بيروت - ط١؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- أبو شهبة؛ محمد محمد؛ المدخل لدراسة القرآن الكريم؛ مكتبة السنة - القاهرة؛ ط١؛ ١٤١٢هـ - ١٩٩٤م.

- الدكتور شوقي ضيف؛ عصر الدول والإمارات: مصر والشام؛ دار المعارف - القاهرة؛ ط. د، ١٩٨٤م.
- الشوكاني، الإمام محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: د. شعبان اسماعيل، دار الكتبي - القاهرة، ط. د، ن. د.
- _____، التحف في مذاهب السلف، دار الهجرة - بيروت، ط. ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الشيرازي؛ الإمام إبراهيم بن علي بن يوسف؛ ت (٤٧٦) هـ، طبقات الفقهاء؛ تحقيق: خليل الميس؛ دار القلم - بيروت؛ ط. د؛ ن. د.
- الشيباني؛ الإمام أحمد بن حنبل؛ ت (٢٤١) هـ؛ مسند أحمد؛ مؤسسة قرطبة - مصر؛ ط. د؛ ن. د.
- الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف، طبقات الفقهاء، دار القلم - بيروت، ط (-)، ت (-).
- المذهب، دار الفكر - بيروت، ط (-)، ت (-).
- الصالح، الدكتور صبحي؛ مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين - بيروت؛ ط ١٧؛ ١٩٩٠م.
- الصفدي؛ الإمام صلاح الدين خليل بن أبيك؛ الوافي بالوفيات؛ دار نشر فرانز شتايز بفيسابدن؛ ط. د؛ ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- طاش كبرى زاده؛ الإمام أحمد بن مصطفى؛ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط ١؛ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥؛ وطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية؛ حيدر آباد - الهند؛ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الطبري؛ الإمام محمد بن جرير بن غالب، ت (٣١٠هـ)؛ جامع البيان في تأويل آي القرآن؛ دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت؛ ط ٢؛ ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، وطبعة دار

الفكر - بيروت؛ ١٩٩٣م.

- الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم، ت (٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

- ابن الطيب، أبو الحسن محمد بن علي، المعتمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

- ابن عابدين؛ الإمام محمد علاء أفندي؛ حاشية ابن عابدين على الدر المختار؛ دار الفكر - بيروت؛ ط٢؛ ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

- ابن عاشور؛ محمد الطاهر، التحرير والتنوير؛ الدار التونسية - تونس؛ ١٩٨٤م.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله، ت (٤٦٣هـ)، التمهيد، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الغرب، ط (-)، ١٣٨٧هـ.

- عبد الرحمن بدوي؛ مؤلفات الغزالي؛ وكالة المطبوعات - الكويت، الطبعة الثانية؛ ١٩٧٧م.

- عبد النعيم محمد حسنين؛ سلاجقة إيران والعراق؛ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة؛ ط١؛ ١٩٥٩م.

- العجلوني، إسماعيل بن محمد؛ ت (١١٦٢هـ)؛ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عن ما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس؛ مؤسسة الرسالة - بيروت؛ ط٤؛ ١٤٠٥هـ.

- د. عدنان بدران، البيولوجيا (علم الحياة)؛ منشورات وزارة التربية والتعليم، عمان، ط.د، ١٩٧٤م.

- ابن العربي؛ الإمام أبو بكر بن عبد الله المعافري، ت (٥٤٣هـ)، أحكام القرآن؛ تحقيق: محمد علي البجاوي؛ ط٢؛ ١٩٦٧م.

- ابن عساكر؛ علي بن الحسن؛ ت (٥٧١هـ)؛ تاريخ مدينة دمشق؛ دار البشير؛ ط.د؛ ن.د.

- _____، تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري؛ تحقيق: أحمد

- السقا؛ دار الجيل؛ بيروت؛ ط ١؛ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- العطايف؛ الدكتور أنور عبد الفتاح إبراهيم؛ أضواء على مصطلح الحديث؛ دار الطباعة
المحمدية - القاهرة؛ ط ١؛ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، طبعة وزارة
الأوقاف القطرية، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- د. عفيف عبد الرحمن، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، دار العلوم للنشر، د (-)،
١٤٠٣هـ.
- ابن عقيل، أبو الوفاء علي بن محمد، ت (٥١٣)هـ، الواضح في أصول الفقه، تحقيق:
عبدالله المدني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ابن العماد؛ الإمام عبد الحي بن أحمد؛ ت (١٠٨٩)هـ؛ شذرات الذهب؛ دار إحياء التراث
العربي - بيروت؛ ط. د؛ ن. د.
- عميرة، د بلال سعد، علوم الأرض والبيئة، منشورات وزارة التربية والتعليم - عمان، ط ٢،
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الغزالي؛ حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الطوسي؛ ت (٥٠٥)هـ؛ إحياء علوم
الدين؛ دار الجيل - بيروت؛ ط. د؛ ن. د.
- _____؛ الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط ١؛
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- _____؛ أساس القياس؛ مكتبة العبيكان؛ ط. د؛ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- _____؛ إجماع العوام عن علم الكلام؛ دار الفكر اللبناني - بيروت، ط ١؛ ١٩٩٣م.
- _____؛ الاقتصاد في الاعتقاد؛ تقديم: د. سامي حجازي؛ دار الطباعة المحمدية -
القاهرة؛ ط ١؛ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م؛ وطبعة مكتبة الشرق الجديد - بغداد.

- _____؛ أيها الولد، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، ط٢، ١٩٥٩م.
- _____؛ ثلاث رسائل في المعرفة لم تنشر من قبل؛ تحقيق: د. محمود حمدي زقزوق؛ ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- _____، جواهر القرآن ودرره؛ دار الآفاق الجديدة؛ ط٥؛ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- _____؛ الحكمة في مخلوقات الله - عز وجل -؛ مؤسسة الكتب الثقافية؛ ط١؛ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- _____؛ الدررة الفاخرة في كشف علوم الآخرة؛ مؤسسة الكتب الثقافية؛ ط١؛ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- _____؛ الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل؛ اللجنة الدولية لترجمة الروائع - بيروت؛ ط٢؛ ١٩٥٩م.
- _____؛ فضائح الباطنية؛ دار البشير - العبدلي؛ ط١؛ ١٤٣٢هـ - ١٩٩٣م.
- _____؛ قانون التاويل؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط١؛ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- _____؛ قواعد العقائد؛ تحقيق: د. رضوان السيد؛ دار اقرأ - بيروت؛ ط١؛ ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.
- _____؛ المستصفي من علم الأصول؛ تحقيق: محمد سليمان الأشقر؛ مؤسسة الرسالة - بيروت؛ ط١؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- _____؛ مشكاة الأنوار؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط١؛ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- _____؛ المضمون به على غير أهله؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط١؛ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- _____؛ المعارف العقلية؛ تحقيق: عبد الكريم العثمان؛ دار الفكر - دمشق؛ ط١؛ ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

- _____؛ معيار العلم، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- _____؛ مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء؛ تحقيق: محمد جاسم الحديثي؛ منشورات وزارة الثقافة والإعلام - بغداد؛ ط ١؛ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- _____؛ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى؛ تحقيق: محمد عثمان الخشت؛ مكتبة القرآن - القاهرة؛ ط. د؛ ن. د.
- _____؛ مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- _____؛ المنحول من تعليقات الأصول؛ تحقيق: محمد حسن هيتو؛ دار الفكر - دمشق؛ ط ٢؛ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- _____؛ المنقذ من الضلال؛ مركز الكتاب للنشر - القاهرة؛ ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- _____؛ منهاج العابدين ومعه الكشف والتبيين وبداية الهداية؛ تحقيق: محمد أبو العلا؛ مكتبة الجندي - ط. د؛ ن. د. وطبعة دار البشائر الإسلامية، تحقيق: د. محمود حلوي - بيروت، ط ٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- _____؛ ميزان العمل، دار الكتاب العربي - بيروت؛ ط. د؛ ١٤٠٣هـ.
- _____؛ الوسيط في المذهب؛ طبعة قطر الأولى؛ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م؛ وطبعة دار السلام - القاهرة؛ ط ١؛ ١٤١٧هـ.
- _____؛ أبو علي الحسن بن أحمد، ت (٣٧٧)هـ، الحجة في القراءات السبع، تحقيق بدر الدين قهوجي، دار المأمون للنراث، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- _____؛ فرحات، أ.د. أحمد حسن، معاني المحكم والمتشابه؛ دار عمار - عمان؛ ط ١؛ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- _____؛ علم البيان والبدیع، دار الفرقان - عمان، ط ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- _____، لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، دار النور - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ابن قاضي شهبة، أبو بكر أحمد بن محمد، ت (٨٥١)هـ، طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ خان، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- القرطبي؛ الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح؛ ت (٦٧١)هـ؛ الجامع لأحكام القرآن؛ دار الشعب - القاهرة؛ ط ٢؛ ١٣٧٢هـ
- القرضاوي، الدكتور يوسف؛ الغزالي بين مادحيه وقادحيه؛ دار الوفاء - المنصورة؛ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- القزويني؛ الإمام جلال الدين محمد بن سعد الدين؛ الإيضاح في علوم البلاغة؛ دار إحياء العلوم؛ بيروت؛ ط ٤؛ ١٩٩٨م.
- القشيري، الإمام عبد الكريم بن هوازن، ت (٤٦٥)هـ، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق معروف زريق، دار الجيل - بيروت، ط ٢، ١٤١٠هـ.
- _____، لطائف الإشارات، تحقيق: د. إبراهيم بسيوني، مركز تحقيق السنن والهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٨٣م.
- القضاعي؛ الإمام محمد بن سلامة بن جعفر؛ ت (٤٥٤)هـ؛ مسند الشهاب؛ مؤسسة الرسالة - بيروت؛ ط ١؛ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- القطان؛ د. مناع؛ مباحث في علوم القرآن؛ مؤسسة الرسالة - بيروت؛ ط ٢٢؛ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. ٥٤٩٣٢٥
- القضاة، د. محمد عصام وزملاؤه، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس للنشر - عمان، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- القفطي؛ الإمام علي بن يوسف؛ إنباه الرواة على أنباه النحاة؛ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم؛ دار الفكر العربي - القاهرة؛ ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت؛ ط ١؛ ١٩٨٦م.
- القنوجي؛ صديق حسن؛ ت (١٣٩٨)هـ؛ أجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم؛ دار الكتب العلمية؛ ط. د؛ ١٩٨٧م.
- القيسي؛ الدكتور مروان إبراهيم، التحفة السنوية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية؛ منشورات جامعة اليرموك؛ ط ١؛ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ابن قيم الجوزية، الإمام محمد بن أبي بكر الزرعي؛ ت (٧٥١)هـ؛ الروح؛ دار الكتب العلمية؛ ط. د، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- _____، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، دار العاصمة - الرياض، ط ٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- _____، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- الكاساني، الإمام علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي، ت (٥٨٧)هـ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ابن كثير؛ الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي؛ ت (٧٧٤)هـ؛ البداية والنهاية؛ مكتبة المعارف - بيروت؛ ط. د، ن. د، وطبعة المطبعة السلفية؛ ط ١؛ ١٣١٥هـ - ١٩٣٢م.
- _____، تفسير القرآن العظيم؛ تقديم: عبد القادر الأرناؤوط؛ دار الفيحاء - دمشق؛ دار السلام - الرياض، ط ١؛ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- _____، جامع المسانيد والسنن الهادي إلى أقوم سنن، دار الفكر - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ابن ماجه؛ الإمام محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني؛ ت (٢٧٥)هـ، سنن ابن ماجه؛

السلام - الرياض، ط ١؛ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- _____، جامع المسانيد والسنن الهادي إلى أقوم سنن، دار الفكر - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- ابن ماجه؛ الإمام محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني؛ ت (٢٧٥)هـ، سنن ابن ماجه؛ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر؛ بيروت؛ ط. د؛ ن. د.

- الإمام مالك بن أنس؛ الموطأ ويليه إسعاف المبطل للسيوطي؛ دار الجيل؛ بيروت؛ دار الآفاق الجديدة - المغرب؛ ط ٢؛ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- المبارك؛ محمد؛ الإسلام والفكر العلمي؛ دار الفكر العربي - بيروت، ط ١؛ ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- المباركفوري؛ محمد بن عبد الرحمن أبو العلا؛ تحفة الأحوزي؛ ت (١٣٥٣)هـ؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط. د؛ ن. د.

- المتنبّي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، ت (٣٥٤) هـ، ديوان المتنبّي، تحقيق: الشيخ ناصيف اليازجي، دار الجيل - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- المحتسب، د. عبد المجيد عبد السلام، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، دار البيسارق - عمان، ط ٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ط. د. ١٩٧٢م.

- المراكشي؛ عبد الواحد؛ المعجب في تلخيص أخبار المغرب؛ تحقيق الأستاذ: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة؛ ط. د؛ ١٩٦٣م.

- الإمام مسلم بن الحجاج القشيري؛ ت (٢٥٦)هـ؛ صحيح مسلم بشرح النووي؛ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط ١؛ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- د. مصطفى المشني؛ ابن العربي وكتابه أحكام القرآن؛ دار الجيل - بيروت؛ ودار عمار -

- _____؛ فيض القدير؛ المكتبة التجارية الكبرى - مصر؛ ط ١؛ ١٣٥٦هـ.
- المنذري، الإمام عبد العظيم بن عبد القوي؛ ت (٦٥٦)هـ؛ الترغيب والترهيب؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط ١؛ ١٤١٧هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، ت (٧١١)هـ، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ١، ت (-).
- النابغة، زياد بن معاوية، ديوان النابغة، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ط (-)، ت (-).
- النسائي؛ الإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن؛ ت (٣٠٣)هـ؛ السنن الكبرى؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط ١؛ ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- النسفي، أبو عبدالله بن أحمد بن محمد، ت (٧١٠)هـ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٤٥م.
- النووي؛ الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف الدين؛ ت (٦٧٦)هـ؛ التبيان في آداب حملة القرآن؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ١٩٩٣م؛ ط. د.
- _____؛ المجموع؛ دار الفكر - بيروت؛ ط ١؛ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- النيسابوي، الإمام الحسن بن محمد القمي؛ ت (٧٢٨) هـ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- النيسابوي؛ الإمام عبد الله بن علي بن الجارود؛ ت (٣٠٧) هـ؛ المنتقى؛ مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت؛ ط ١؛ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- النيسابوي؛ الإمام محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم؛ ت (٤٠٥)هـ؛ المستدرک علی الصحیحین؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- الهروي، القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، دار ابن كثير - دمشق، ط ١، ١٩٩٠م.
- الهيثمي، الإمام علي بن أبي بكر؛ ت (٨٠٧)هـ؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد؛ دار الريان-

research showed his method in interpretation by opinion. The fourth research showed his method in lexical interpretation. The fifth research has shown his method in scientific interpretation. The sixth research has demonstrated his method in mystical (Sufi) interpretation. And the seventh research demonstrated his method in objective interpretation.

The third chapter is a demonstration of interoperation's topics at Imam Al-Ghazali; and this chapter is studied in three researches:

The first research showed its effect in interpretation of verses of creed. The second research studied its effect in interpretation of verses of judgments (sources). The third research demonstrated to his method in interpretation of verses of morals.

The fourth chapter is dedicated for study of Qur'an sciences at Imam Al-Ghazali. And it was come in preface and five researches, the preface talked about the birth of Qura'n sciences until the sixth Hejira Century.

The first research has studied the talking about Qur'an and recitation's etiquette. The second research has cleared the surpluses of Qur'an. The third research has shown its effect in miracle of Qur'an. The fourth research showed the illusory of conflict and difference at Al-Ghazali. And the fifth one was around the repeal at Al-Ghazali.

The fifth chapter was around the scientific value of Al-Ghazali's opinions in interpretation and Qur'an sciences, and this was dealt with three researches:

The first one was about the effect of Al-Ghazali on the interpreters and scientists. The second was studies the importance of Al-Ghazali's opinions in interpretation and Qura'n sciences. And the third research was studied the attainments on Imam Al-Ghazli in interpretation and Qur'an sciences.

At last the study included a conclusion which has the highlighted results which the researcher has reached to.

الرسائل الجامعية:

- الباحث عدنان محمد يوسف يعقوب، منهج الإمام الغزالي في التفسير في إحياء علوم الدين، رسالة ماجستير في التفسير، نوقشت في جامعة آل البيت، ١٩٩٨م.

الدوريات:

- مجلة المسلم المعاصر: العدد ٨٠، السنة العشرون، المحرم - صفر - ربيع الأول ١٤١٧هـ - مايو - يونيه - ١٩٩٦م.
- البيئة؛ مجلة الرسالة الخالدة؛ العدد الخامس، ربيع الثاني ١٣٨٢هـ - سبتمبر - ١٩٦٢م، المغرب.
- وعد الحق، مجلة شهرية تعني بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر، السنة التاسعة والثلاثون، العدد ٣٣٣، ذو القعدة - مارس ١٩٩٨م، المغرب، والعدد ٣٤٣.
- دراسات، المجلد السادس عشر، العدد العاشر، ١٩٨٩، الجامعة الأردنية.
- مؤته للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثالث، ١٩٩٥م.
- جامعة قطر، بحوث ومقالات بأقلام نخبة من أعضاء هيئة التدريس، الإمام الغزالي الذكرى المئوية التاسعة لوفاته، ١٩٨٦م.

ABSTRACT

Interpretation and Qura'n Sciences at Books of Imam Abu Hamed Al-Ghazali (*Study and Analysis*)

Prepared by:

Zakaryia Ali Mahmoud Al-Khader

Supervised by:

Dr. Mustafa Ibrahim Al-Mashni

In this study the researcher have introduced one of Islamic bright heritage eminent man, who has remarkable role in service of Qur'an and its sciences, this man is Imam Abu Hamed Al-Ghazali.

The study was dealt with the efforts of Imam Al-Ghazali in interpretation and Qur'an Sciences in his various printed and current books, according to reliable research and methodology rules in scientific research field.

The research studied many simple terms were made in five chapters as follows:

The first chapter was devoted to study and analysis biography of Imama Al-Ghazali in three researches:

The first research studies the personal life of Imam Al-Ghazali, and the second research dealt with his era and environment and its effect on him, and the third research studies the scientific culture of Imam AL-Ghazali.

The second chapter studied the method of Imam Al-Ghazali in interpretation, and dividing to seven researches as follows:

The first research studies his sources in interpretation. The second research demonstrated his method in interpretation by transmitted. The third

research showed his method in interpretation by opinion. The fourth research showed his method in lexical interpretation. The fifth research has shown his method in scientific interpretation. The sixth research has demonstrated his method in mystical (Sufi) interpretation. And the seventh research demonstrated his method in objective interpretation.

The third chapter is a demonstration of interoperation's topics at Imam Al-Ghazali; and this chapter is studied in three researches:

The first research showed its effect in interpretation of verses of creed. The second research studied its effect in interpretation of verses of judgments (sources). The third research demonstrated to his method in interpretation of verses of morals.

The fourth chapter is dedicated for study of Qur'an sciences at Imam Al-Ghazali. And it was come in preface and five researches, the preface talked about the birth of Qur'an sciences until the sixth Hejira Century.

The first research has studied the talking about Qur'an and recitation's etiquette. The second research has cleared the surpluses of Qur'an. The third research has shown its effect in miracle of Qur'an. The fourth research showed the illusory of conflict and difference at Al-Ghazali. And the fifth one was around the repeal at Al-Ghazali.

The fifth chapter was around the scientific value of Al-Ghazali's opinions in interpretation and Qur'an sciences, and this was dealt with three researches:

The first one was about the effect of Al-Ghazali on the interpreters and scientists. The second was studies the importance of Al-Ghazali's opinions in interpretation and Qur'an sciences. And the third research was studied the attainments on Imam Al-Ghazali in interpretation and Qur'an sciences.

At last the study included a conclusion which has the highlighted results which the researcher has reached to.